

علي مولا

الابداع العالم

مسرح فيكتور هيغو

لوکریس کے پورجیا

« مأساة من ثلاثة فصول »

الملك سے یلہو

« مأساة من خمسة فصول »

ترجمہ: حسن یندیم



١٥٢٦٦٢

الإبداع العالمي مسرحية



المكتبة الوطنية والارشيف للجمهورية الإسلامية لى كى لى

١٩٨٤

مسرح قیکتور هیجو

لوکریس بوریا . مأساة من ثلاثة فصول

الملاح یلزو . مأساة من خمسة فصول

حسن ندیم

نقد الأدب

كانت حياة فيكتور هيجو ملحمة عنيفة ، اضطرت فيها آراؤه الفنية واتجاهاته الاجتماعية والسياسية وآراء العصر التي اصطلح عليها النقاد وأرباب الفكر ورواد الاجتماع . فلا عجب أن كابد هيجو في أثنائها كثيرا من العنت والاضطهاد ، حتى ارتفع الى ذروة المجد والفخار ابان حياة عاشها في كد وعمل متواصلين ، فلم يترك عقله الجبار في كره وفره بابا من أبواب النشاط الا طرقة ، فمن شعر الى تاريخ ، ومن قصص الى نقد فني وسياسي ، ومن مسرحيات الى فلسفة ، كل أولئك كان يعبر عن بداهته الفنية ويشف عن احساسه العريق وشعوره العميق ، مما جعله يسود بعبقريته وشخصيته جميع أدباء القرن التاسع عشر الى حد يصح معه أن يسمى ذلك العصر بعصر فيكتور هيجو .

لقد ظهرت في فرنسا في مستهل القرن التاسع عشر حركة أدبية أخذت تتجه رويدا رويدا الى التجديد في مجالات الفكر ، وهي الحركة المسماة بالحركة الرومانسية ، بيد أن جميع الذين كانوا يقومون بهذه الحركة لم تكن لهم مبادئ ولا قواعد ثابتة ولا مذهب معين ولا مدرسة ينتمون اليها ، وكل ما كان يصل بعضهم ببعض ان هو الا ايجاد نهضة حديثة للفن والأدب والتجديد فيهما . ولما كان لابد لمثل هذه الحركة من رائد يتزعمها ويعمل على نموها لكي تأخذ طريقها في الظهور والانتشار فقد تقدم فيكتور هيجو بمقدمة مسرحية كرومويل وفيها وحد هذه الحركة ودعمها ، ووضع

لها برنامجها وحدد اتجاهاتها ، فقد أبان شاعرنا في هذه المقدمة أن الإلهام الناشئ عن العبقرية والشعور الشخصي النخالص ينبغي أن يحلا محل القواعد العنيفة التي كانت أسسا للشعر من قديم الزمان . فنراه في مستهلها يثور على هذه القيود القديمة التي وضعها الشعراء والأدباء الأقدمون للشعر والمسرح ، وينادى بحرية الكاتب المطلقة في آرائه وأفكاره وفق أهوائه وميوله وبذلك يعود الفن الى الحقيقة والطبيعة والحياة ، وكما ان في الحياة تناقضا حيث انها تجمع ما بين الفرح والحزن فعلى الكاتب أن يجمع كذلك في مسرحية واحدة ما بين الأحداث المضحكة والأحداث المبكية ولا داعى اطلاقا لذلك التقيد العتيق الذى اصطلح عليه الأقدمون وهو تقسيم المسرحيات الى لونين : ملهاة ومأساة وعدم الجمع بينهما في صعيد واحد . ولقد رأى هيجو بثاقب فكره أن الحقيقة والواقع اللذين تختلط فيهما السخرية والسمو هما خير ما يجعل للمسرحية تلك الروعة الأخاذة . اذن فليجعل مسرحياته مستقاة من تلك الحقائق الطبيعية في الحياة بلا تقيد الا بما يتطلبه الفن من اختيار وما تقتضيه العبقرية من تحوير .

قدم هيجو مسرحيته كروهويل بهذه المقدمة فظفرت بنجاح باهر فى المحافل الأدبية أكثر مما ظفرت به المسرحية ذاتها لأنها لم تمثل على المسرح لما فيها من اطالة رغم جمال شعرها . وفى السنة التالية قدم مسرحية أخرى مقتبسة من رواية انجليزية أسماها « أمى روبر » وقد عرضت بمسرح الأوديون ولم تصادف نجاحا يذكر . ثم عاد بعد فترة من الزمن الى الكتابة للمسرح بعزيمة أمضى وحماس أشد فكتب مسرحية « ماريون دى لورم » شعرا فى أربعة وعشرين يوما، الا أن الرقابة الملكية لم توافق على عرضها وهكذا قدر لهذه المسرحية أن تدفن وهى وليدة فى مهدها لم تطلع عليها شمس الصباح . غير أن كاتبنا صمم على تأليف رواية أخرى تحظى بالظهور على خشبة المسرح ولم يحل عام ١٨٢٩ حتى كان قد أخرج درة مسرحياته « هرنانى » وهى تلك الدرّة الخالدة التى أحدثت فى عالم الأدب والمسرح هزة عنيفة . وبعد ثورة يوليو ١٨٣٠ ألغيت الرقابة على المسرح ومثلت .

مسرحية ماريون دي لورم عام ١٨٣١ فكان نجاحها عظيما وتقبلها الشعب بحماس فائق . وفي السنة التالية خرجت الى دنيا الأدب مسرحية « الملك يلهو » فلم تنل نجاحا ملحوظا وأوقفت الحكومة عرضها بعد أول عرض لها اذ أنها تعرض على قتل الملك الفاسد . وفي عام ١٨٣٣ قدم كاتبنا الى المسرح مسرحية نثرية هي « لوكريس بورجيا » فصادفت نجاحا منقطع النظير أنسى الناس ما أصاب سابقاتها من تعثر أو فشل .

لقد نهل فيكتور هيجو موضوع مسرحية لوكريس بورجيا من عيون التاريخ القريبة ، فمن الثابت أن أسرة بورجيا هي أسرة ايطالية عاشت بين ربوع ايطاليا في غضون القرن الخامس عشر . وبرغم امتداد حياتها الى القرن السادس عشر فقد اقتصر دورها التاريخي فيما بين عام ١٤٥٥ وعام ١٥٠٤ . وهذه الأسرة تنحدر من أصل اسباني وتتنسب الى مدينة بورجا في مقاطعة أراجون . ولقد بدأ نجمها يتألق على أثر انتخاب الفونس بورجيا أسقف فالنس لمنصب البابوية عام ١٤٥٥ باسم كاليست الثالث ومنذ ذلك الحين بدأ واضحا للعيان أن هذه الأسرة الأجنبية قد وضعت نصب أعينها تحقيق مطمح واحد هو جمع شتات ايطاليا الوسطى تحت سلطانها . وحين انتخب ابن أخيه رودريج بورجيا لكرسي البابوية عام ١٤٩٢ ولقب بالبابا اسكندر السادس تضاعفت مطامع الأسرة وتدفقت أمجادها . فلقد أنجب البابا من زوجته روزا فانوزا ابنه البكر جان بورجيا وقد حصل فيما بعد من ملك اسبانيا على دوقية جانديا ثم سيزار بورجيا وهو أحب الأبناء الى أبيه وقد اتهم بقتل أخيه لغيرته منه وتزوج من ابنة ملك نافار وسمى بدوق فالنتينوا ثم جوفري بورجيا وقد بنى بابنه دوق كالابريا وأصبح أمير اسكيلاس ثم ابنة وحيدة هي لوكريس بورجيا .

ولدت لوكريس بورجيا عام ١٤٨٠ واقرنت بأول أزواجها جان سفورزا شريف بيزارو عام ١٤٩٣ ثم طلقت منه بأمر من أبيها البابا عام ١٤٩٧ . وحدث في السنة التالية من طلاقها وقبل زواجها للمرة الثانية من الفونس دوق بيزاليا

ابن أمير أراجون أن أنجبت طفلا اعترف به والدها ابنا له
ثم ما لبث أن اعترف به ابنا لأخيها سيزار ومن هنا نشأ
اتهام لوكريس بورجيا بجريمة زنا مزدوجة . وفي عام
١٥٠٠ طعن زوجها الثاني في غرفته الخاصة بيد أخيها
سيزار ثم تزوجت للمرة الثالثة من الفونس ديست أمير
فرار وجمعت من حولها بطانة من لوامع أهل الفكر والفن
والأدب وأدركتها المنية بمدينة فرار عام ١٥١٩ ولم يكن لها
بوجه عام أى نشاط سياسى .

والحق أن فيكتور هيجو قد عرض فى مسرحيته شخصية
لوكريس بورجيا عرضا مهينا بغيضا ورسم أبعاد صورتها
بالوان داكنة سوداء ، وان كانت لا تبدو على هذا النحو من
القبح والبشاعة فى نظر معاصريها . فقد أجمع هؤلاء على
اطراء جمالها ورقتها وصفاء ذهنها وهم يذهبون فى تبرير
سلوكها الى أنها كانت أداة طيعة فى يد أبيها وأخيها وان لم
يكن ثمة شك فى أنها كانت نموذجا صارخا لوضاعة الأخلاق
وسوء السيرة فى بيئة فاجرة فاسدة ، وصمت بالخسة
والفدر والخيانة وشغف باراقة الدماء ودس السم للابرياء ،
مما أسهب فى وصفه وسرد تفاصيله تابع الكنيسة بورشار
فى يومياته .

يطيب للناشرين دائما أن يجمعوا مسرحيتى الملك يلهو
ولوكريس بورجيا فى كتاب واحد ، ويطيب للنقاد وكذلك
أن يقرنوا بين هاتين المسرحيتين وان اختلفتا فى الشكل
والموضوع والاتجاه بحيث كان مولد الأولى تاريخا سياسيا
بارزا ومولد الثانية تاريخا أدبيا هاما فى حياة الكاتب .
الا أننا نزعم ذلك أن المسرحيتين وان اختلفتا شكلا وموضوعا
واتجاها كما أسلفنا القول فقد ارتبطتا فى ذهن المؤلف برباط
وثيق . فقد نبعت فكرة الأولى وفكرة الثانية فى وقت واحد
من عاطفة واحدة . فماذا كانت الفكرة العميقة الدفينة بين
ثنائيا مسرحية الملك يلهو ؟

إذا تناولنا التشوه الجسدى فى أكمل الصور وأبشعها
ووضعناه حيث يبرز بمزيد من الجلاء فى رجل فى الدرك
الأسفل من أوساط المجتمع الانسانى وألقينا على هذا المخلوق

التعس أضواء المتناقضات من كل صوب ثم غرسنا في أعماقه نفساً زودناها بأسمى وأطهر عاطفة يمكن أن يستشعرها رجل - هي عاطفة الأبوة - فماذا يكون من أمره ؟

ان هذه العاطفة السامية - عاطفة الأبوة - حين تستكين وتحظى بالدفع وفي ظروف معينة لا يلبث أن تغير من نظرنا الى هذا المخلوق الفاسد . فنرى هذا الحقير كبيراً وهذا الأشوه وسيماً ، وتلك هي الفكرة الأصيلة في مسرحية الملك يلهو . وما هي اذن الفكرة الأصيلة الدفينة في مسرحية لوكريس بورجيا ؟

اذا تناولنا التشوه الخلقي في أكمل صورة وأبشعها ووضعناه حيث يبرز بمزيد من الجلاء - في قلب امرأة - واحطناه بكافة امكانيات الجمال الجسدي وأبهة الملك ، تلك الامكانيات التي تهون على المرأة مقارفة الجريمة ، ثم مزجنا هذا التشوه الخلقي بعاطفة سامية طاهرة - هي عاطفة الأمومة - أسمى وأطهر عاطفة يمكن أن تستشعرها امرأة وجعلنا من هذه المخلوقة الضارية أما - فماذا يكون من أمرها ؟

ان هذه المخلوقة المتوحشة لا تلبث أن تثير في نفوسنا كامن الشجن وتستنزف الدمع مدراراً من مآقي العيون . فتمس هذه النفس الشوهاء في أنظارنا أقرب ما يكون الى الجمال والصفاء . وهكذا تطهر عاطفة الأمومة نفسية المرأة الشريرة ، وتلك هي الفكرة الأصيلة في قصة لوكريس بورجيا .

لقد كان من عادة الأقدمين من أعلام المسرح الفرنسي - أمثال كورني وموليير - أن يتولوا الرد على ما يثار حول مؤلفاتهم من نقد وأن يضمنوا مقدماتهم شروحا وتفسيرات نعين على توجيه القراء ، أما فيكتور هيجو مؤلف هذه الدراما فلا يرى نفسه أهلاً لاحتذاء حذو هؤلاء الرواد ، فنراه يلوذ بالصمت أمام أسنة النقد . على أن النقاد كانوا - والحق يقال يترفقون في تقديمهم واعتراضاتهم عليه

باستثناء حالات نادرة ، وليس من شك فى قدرة كاتبنا على الرد على أكثر من اعتراض ، فعلى الذين يرون أن جينارو - مثلا - قد انساق ببلاهة وسلامة طوية للموت بسموم الدوق فى الفصل الثانى من المسرحية يمكنه القول بأن جينارو - وهو شخصية من ابداع الكاتب ونسج خياله - ما كان ليطلب منه أن يكون أكثر واقعية وأشد حذرا من دروسوس تلك الشخصية التاريخية التى كتب عنها تأسيت - أما الذين يعيبون على المؤلف مغالاته فى تصوير ما قارفته لوكريس بورجيا من موبقات وآثام فيستطيع أن يحيلهم الى ما كتبه فى هذا الصدد المؤرخان تومازى وجيشياردىنى ، أما الذين يأخذون عليه استناده الى بعض مرددات شعبيه هى أقرب ما يكون الى الخرافة فيما يتصل بموت أزواج لوكريس ما غدت لدى الشعراء حقائق ثابتة وأن ينوه مرة أخرى بورجيا فحسبه أن يجيبهم بأن أساطير الشعوب كثيرا ما غدت لدى الشعراء حقائق ثابتة وأن ينوه مرة أخرى بتأسيت وهو مؤرخ عظيم كان جديرا به أن يتحقق من صحة الأحداث قبل إيرادها أكثر من الكاتب الدرامى . لقد كان فى مقدور هيجو أن يدفع بدقائق تفسيراته الى أبعد مدى وأن يناقش مع النقاد عناصر مسرحيته واحدا بعد واحد ، غير أنه كان يشعر بمزيد من الارتياح فى شكران النقاد على ملاحظاتهم . أما عن ردوده على ما يعن لهم من نقد فهو يؤثر أن يستنبطها القارئ من خلال المسرحية بدلا من أن يجدها فى سطور المقدمة .

ولعل القارئ يغفر ليفيكتور هيجو قلة اهتمامه بالناحية الجمالية فى هذا الكتاب ، فلقد قصد فيه الى أن يعالج نوعا آخر من الأفكار لا تقل فى نظره شأنًا عن غيرها، أفكار يود أن يثيرها ويعمقها فى مسرحيته عن لوكريس بورجيا . فهو يرى أن الأعمال الأدبية لابد أن تعالج الموضوعات الاجتماعية وكل مسرحية ينبغي أن تشكل خطوة ايجابية فى هذا السبيل . وهو بهذا ينبه الأذهان الى ما للمسرح من قيمة ضخمة لا تقف عند حد ، بل تضطرد نموا باضطراد نمو الحضارة والمدنية ، فالمسرح هو منصة

الخطيب ومنبر الواعظ يتولى خطاب الجماهير بقوة وبصوت مدوى .

لقد آمن هيجو حق الايمان بمدى أهمية المسرح وجدية رسالته ، فهو يعلم أن المسرحية - دون أن تخرج عن حدود الفن الأصيل - لابد أن تضطلع برسالة وطنية واجتماعية أو سياسية ، وهو حين يرى كل مساء جماهير الشعب الواعية ، تلك الجماهير التي اتخذت من مدينة باريس كعبة التقدم ومنارة العرفان ، تتكدس زرافات أمام ستار سينحسر بعد لحظات عن أفكاره ، يحس . . وهو الشاعر المزهف - بأنه شيء لا يذكر بجانب ما يديه الحشد من شغف وفضول الى معرفة تلك الأفكار ، وأن عبقريته ان كانت لا تساوى شيئا فلا أقل من أن تكون أمانته هي رأس ماله - ولهذا نراه يسأل نفسه بقوة عن المغزى الفلسفى فى كل ما يكتب لأنه يعتبر نفسه مسئولاً عنه كل المسئولية ولا يود أن يترك للجمهور ثغرة يسأله منها حساباً فى ذات يوم عما لقنه من دروس . وهو يرى أن هذه الحشود لا يجب أن تغادر قاعة المسرح دون أن تحمل معها دروساً أخلاقية عميقة . وهو لهذا لا يجب أن يقدم الى المسرح سوى موضوعات زاخرة بالعبرة والموعظة فهو يعتمد فى مسرحيته هذه أن يرى الناس تابوت الموتى فى قاعة اللواتم وأن يسمعهم صلاة الموتى خلال أناشيد العبت والشراب وأن يقدم اليهم بردة الراهب الى جوار قناع الكرنفال ، انه يعلم أن الفن وحده ، الفن المجرد ، الفن بكل مفهومه ، لا يتطلب من الكاتب كل ذلك ، بيد أنه يرى أن رسالة المسرح بصفة خاصة لا ينبغي أن تقتصر على تحقيق مقتضيات الفن وشروطه فحسب .

أما عن جراح الانسانية وآلامها فان الكاتب حين يتصدى لها فى مسرحية من مسرحياته فهو يحاول أن يلقي على ما يعتبر عريها من بشاعة وقبح نقاباً لحمته وسداه المواساة والحكمة ، فنراه فى مسرحيته هذه يوسد فى أعماق لوكريس بورجيا الآثمة أحشاء أم تنبض تحناناً وعظفاً . وهكذا يقدو هيجو ناعم البال مستريح الضمير الى آثاره ، فالمسرحية التي ينشدها ويسعى الى ابرازها هي التي تعالج

كل شيء ولا تتدنس بشيء • فنحن اذا آثرنا فى كل المخلوقات
قيما خلقية سمحاء فلن نجد بينها ثمة بغيض أو أشوه ،
واذا نحن مزجنا بأبشع الأشياء قبسا من الدين غدا هذا
الشيء مقدسا طهورا •

وبعد • فهذه مسرحية الملك يلهو ثم مسرحية لوكريس
بورجيا ، وهى تلك الميلودراما التى فتنت حين عرضها ألباب
الجماهير ، فكان تصفيقهم أثناء العرض يشق عنان السماء ،
وبلغ حماسهم لها غايته حين غادر المؤلف قاعة المسرح بعد
انتهاء العرض ، فحلوا الخيل من عربته وجروها بأيديهم
مهللين له هاتفين ، حتى اذا ما بلغ داره تخلص بجهد جهيد
من تلك المظاهرة الصاخبة التى ظلت - الى فترة طويلة -
موضع حديث الناس •

حسن نديم

لوکریس بورجیا

مأساة من ثلاثة فصول

أشخاص المسرحية

دونا لوكريس بورجيا

دون ألفونس ديست

جيناو

جوبيتا

مافيو أورسيني

جيبو ليفريتو

دون أبوستولو جازيلا

اسكانيو بروتشي

اولوفرنو فيتيللو

روستيجللو

استولفو

الأميرة نيجروني

حارس الباب

لفيف من الرهبان

طائفة من النبلاء والحجاب والحراس

المكان : مدينة فينيسيا وامارة فرار

الزمان : مستهل القرن السادس عشر

الفصل الأول

مهانة فوق مهانة

القسم الأول

حفل ساهر في شرفة قصر بارباريجو بمدينة
فينيسيا ، يختلف المتكبرون بين آونة
وأخرى الى الشرفة التي تخيم عليها الظلال
والخضرة ، ويمتد على جانبيها القصر الذي
غمرته الأنوار الباهرة وانبعث منه انغام
الموسيقى . في المؤخرة تجرى قناة زويكا
تتهادى على صفحتها من حين الى حين بين
استار الظلام زوارق الجندول ، تشيع منها
اصواء خافتة ، وتحمل على ظهرها المتكبرين
والعازفين . يسير في مؤخرة المسرح زودق
من هذه الزوارق ، تواكب انغام مرحلة تارة
وانغام حزينة تارة أخرى تتلاشى وتبدأ كلما
نات ، وفي الخلف تبدو فينيسيا في ضوء
القمر .

المشهد الأول

لفيف من النبلاء الشبان في ثياب فاخرة ،
يتجاذبون أطراف الحديث في شرفة القصر وفي
يد كل منهم قنائه .

جوييتا - جينارو في ذى ضابط - دون
أبوستولو جازيلا - مافيو أورسيني اسكانيو
بتروتشي - أولوفرنو فيتيلووزو - جيوليفريتو

أولوفرنو : أننا نعيش في عصر شاعت الآثام فيه ، مما كف الألسن عن
التشديق بهذه الجريمة ، وإن لم يقع قط من قبل - بلا جدال -
ما يبرز هذا الحادث غموضاً وهولاً .

اسكانيو : حادث غامض قارقه اناس غامضون .

جينيو : أما عن نفسي ، فأنا محبط يا سادتي بوقائع الحادث - لقد
استقيتها من ابن عمي نيافة الكاردينال كاربال وهو أعلم الناس
بها . لعلكم تعرفون الكاردينال كاربال وتعلمون من أمر نزاعه
المشرف مع الكاردينال رياربو بشأن اعلان الحرب على شارل
السابع ملك فرنسا .

جينارو : (متثابراً) لقد بدأ جيو يروي لنا أقاصيصه . أما عن نفسي
فلن أصغى اليه ، لا سيما أنني مرهق بما فيه الكفاية .

مافيو : هذه الشئون لا تعنيك يا جينارو ، ولعل السبب غاية في
البساطة ، فأنت ضابط مضامر باسل ، دعيت باسم وهمي ،
ولا تعرف لك أبا أو أما ، إلا مرء في انك سليل دوحة نبيلة ،
فذلك ما يجلوه أسلوبك في امتشاق الحسام ، وإن كان ما ينضج
بعراقة أصلك هو بسالتك في القتال كالليث . أقسم أننا رفاق
سلاح ولا أقصد مما أقول اساءة اليك . لقد أنقذت حياتي في
واقعة ريميئي ، وانجيتك بدوري على جسر فيسانس . لقد تعاهدنا

على أن نكون يدا واحدة فى مجابهة المخاطر وفى مجالات اللهو على السواء ، وأن يثار كل منا لصاحبه اذا لزم الأمر ، فليس لى من عدو غير عدوك ، وليس لك من عدو غير عدوى . لقد تنبأ لنا العراف أن كلينا سيموت فى يوم واحد ويلقى نفس الميتة . ولقد نقدناه دنائير عشرة ثمنا لنبوءته . فما نحن بأصدقاء بل نحن أخوة . الا انك أولا وأخيرا سعيد باسمك جينارو بلا لقب ، لا تنتسب لأحد ، ولا تجر وراءك شيئا من تلك الأرزاء التى كثيرا ما تؤل الى المرء بالوراثة ، وتتصل بالأسماء التاريخية . ما أسعدك يا رفيقى ! لا يعينك ما يجرى وما جرى ما دمت تجد على الدوام رجالا لا تقاثلهم ونساء تستمتع بهن ، فلا شأن لك يا فتى الأعلام بسير الأسر وتاريخ المدائن ، لأنك عديم الأسرة والوطن . أما عنا فالأمر جد مختلف يا جينارو ، فمن حقنا أن نهتم بأحداث زماننا ، لأن آباءنا وأمهاتنا قد اختلطوا بهذه المآسى ، ولا تزال أسرنا جميعا على وجه التقريب تنزف دما ، حدثنا بما تعلم يا جيبو .

جينارو : (مستلقيا على مقعده كمن يتأهب للنوم) عليكم بإيقاظي حين يفرغ جيبو من حديثه .

جيبو : اليكم البيان : كان ذلك فى عام ألف وأربعمائة وكذا وتسعين .

جوبيتا : (من أحد أركان المسرح) وسبعة وتسعين .

جيبو : هذا صحيح . سبعة وتسعين ، وفى ليلة خميس .

جوبيتا : لا بل فى ليلة أرباء .

جيبو : أصبت فيما تقول . فى تلك الليلة رأى أحد ملاحى نهر التيبر ، وكان مستلقيا على قاربه بحذاء الشاطئ فى حراسة بضاعته ، رأى مشهدا مخيفا ، كان ذلك تحت كنيسة سانتا هيبير وينمو بقليل ، وكانت الساعة قرابة الخامسة بعد منتصف الليل ، حين رأى الملاح فى جنح الليل رجلين قادمين من الطريق الواقع على يسار الكنيسة ، يسيران هنا وهناك على الأقدام فى حيرة وقلق ثم ظهر بعدهما رجلان آخران ، تبعهما ثلاثة آخرين ، فصار مجموعهم سبعة رجال بينهم واحد فقط يمتطى جوادا . كان الليل حالك السواد ولم يكن بين نافذات الدور المظلة على التيبر سوى نافذة مضيئة واحدة . دنا الرجال السبعة من الشاطئ ، وأدار الراكب

ردف حصانه تجاه النهر ، وعند ذاك أبصر الملاح فى وضوح على هذا
الردف ساقين تتدليان من جانب ورأسا وساعدين تتدلى من الجانب
الآخر كانت جثة رجل ، وحمل اثنان من الراجلين الجثمان بينما
كان رفاقهما يرقبون مشارف الشوارع ، وأخذوا يؤرجحانه بقوة
مرتين أو ثلاث مرات ، ثم ألقيا به فى عرض التيبر ، واذ صفت
الجثة وجه الماء وجه الفارس الى الرجلين سؤالاً أجابا عليه قائلين :
نعم يا مولاي ، وحينذاك اتجه الفارس صوب التيبر ، ورأى شيئاً
أسود طافياً على صفحة اليم ، فسأل عما يكون هذا الشيء ،
فأجابه أحد الرجلين قائلاً : هذا يا مولاي معطف الأمير الراحل ،
وألقي واحد من الجماعة ببعض الحجارة على المعطف فغاص فى
الماء ، وما لبثوا أن انصرفوا سوياً حين فرغوا من هذه المهمة ،
سالكين الطريق الموصل الى سان جاك . هذا ما شهده الملاح .

مافيو : لا شك فى أنه حادث غامض . أكان من ذوى المكانة هذا
الذى ألقى به هكذا فى اليم ؟ ان صورة هذا الجواد تثير فى نفسى
شعوراً غريباً . قاتل يعتلى سرج الجواد وقتيل مسجى على ردفه .
جوبيتا : كان الشقيقان يمتطيان هذا الجواد .

جيبو : لقد ذكرت ذلك يا سيد دى بلفيرانا ، كانت الجنة جثة جان بورجيا
وكان الفارس سيزار بورجيا .

مافيو : يا لها من أسرة أبالسة ، أسرة بورجيا هذه ! خبرنى يا جيبو ،
لم قتل الأخ أخاه على هذا النحو ؟

جيبو : هذا ما لن أبوح لك به ، ان سبب الجريمة من البشاعة بمكان ،
مما يجعل مجرد ذكره خطيئة جزاءها الموت .

جوبيتا : سأذكره لك بلسانى . لقد قتل سيزار كاردينال فالنس أخاه
دوق جانديا لأن الشقيقين وقعا فى غرام امرأة واحدة .

مافيو : ومن تكون هذه المرأة ؟

جوبيتا : (من مؤخرة المسرح دائماً) شقيقتهما .

جيبو : كفى يا سيد بلفيرانا ، لا تنطق أمامنا باسم تلك المرأة الضارية ،
فما من أسرة من أسرنا الا وأثختها هذه المرأة بجرح عميق .

مافيو : ألم يكن هناك أيضاً ثمة طفل اختلط بهذا كله ؟

٧٨

جيبو : أجل . . طفل لا أود أن أذكر سوى اسم أبيه : جان بورجيا .
مافيو : لعل هذا الطفل قد صار اليوم رجلا ؟

أولوفرتو : لقد اختفى .

جيبو : ترى هل سيزار هو الذى أفلح فى سرقة الطفل من أمه أم الأم هى التى أفلحت فى سرقة من سيزار بورجيا ، ذلك ما لم يعلمه أحد .

دون أبوستولو : ان كانت الأم هى التى أخفت ولدها فقد أحسنت صنعا ، فمنذ أصبح سيزار بورجيا كاردينال فالنس دوقا لفالنتينوا قتل كما تعلمون - فضلا عن أخيه جان - ابنى أخيه أولاد جيفرى بورجيا أمير سكيلاتش ، وابن عمه الكاردينال فرانسوا بورجيا ، لقد جن الرجل بقتل ذوى قرباه .

جيبو : يا لله ! لعله يود أن يكون وحده الحى الباقى من آل بورجيا حتى تؤول اليه جميع أملاك البابا .

اسكانيو : وهذه الشقيقة التى تأبى أن تذكر اسمها يا جيبو ، أما مضت فى تلك الآونة ذاتها فى ركب خفى الى دير سان سيكت ، لتحبس فيه دون أن يدرى أحد لذلك سببا ؟

جيبو : أعتقد أن الصديق فيما تقول . وكان ذلك كيما تنفصل عن السيد جان سفورزا زوجها الثانى .

مافيو : وما اسم هذا الملاح الذى شهد هذه الواقعة برمتها ؟
جيبو : لا أعرف .

جوبيتا : انه يدعى جورجيو شيافون . وكان يعمل فى نقل الخشب عبر نهر التيبر الى مدينة ريبيتا .

مافيو : (محدثا اسكانيو بصوت هامس) هاك اسباني يعلم عن سيرنا أكثر مما نعلم نحن معشر الرومان .

اسكانيو : (هامسا) اننى مثلك فى ريبة من أمر هذا السيد دى بلفيرانا . وحرى بنا أن نوغل فى بحث هذه الموضوعات . فقد تنطوى بين ثناياها أمور خطيرة .

جيبو : آه يا سادتي ! ترى فى أى زمان نعيش ؟ خبرونى عن ثمة مخلوق يستطيع أن يؤمن حياته لبضعة أيام فى ايطاليا المنكودة ، مع ما يجتاحها من أوبئة وحروب وشورور يقارفها آل بورجيا ؟

دون ابوستولو : وبهذه المناسبة ، أرى لزما علينا أيها النبلاء أن ننخرط بكامل هيئتنا فى البعثة التى أوفدتها جمهورية فينيسيا لتهنئة دوق فرار على استرداد ريمينى من آل مالاتيستا . متى رحيلنا الى فرار ؟

أولوفرنو : بعد غد ولا ريب . لعلكم تعلمون أن المبعوثين قد عينا ، وهما بتوبولو من مجلس الأعيان وجريمانى أمير الأسطول .

دون ابوستولو : أيرافقهما الضابط جينارو ؟

مافيو : ما فى ذلك شك ، جينارو وأنا ، فنحن لا نفترق أبدا .

اسكانيو : لى ملاحظة هامة أسوقها اليكم - أيها السادة - لقد استأثر القوم دوننا بالنبيد الاسبانى .

مافيو : لنعد الى القصر . هيا بنا يا جينارو . (مخاطبا جيبو) لقد نام فعلا خلال روايتك يا جيبو .
(ينصرف الجميع ما خلا جوبيتا)

المشهد الثانى

جوبيتا ثم دونا لوكريزيا - جينارو (نائما)

جوبيتا : (محدثا نفسه) نعم ، اننى أعلم منهم ببواطن الأمور ، وهم بهذا يهمسون . اننى أعلم منهم ببواطن الأمور ، ولكن دونا لوكريزيا تعلم من هذه الأمور أكثر مما أعلم ، والسيد دى فالنتينو يعلم أكثر مما تعلم دونا لوكريزيا ، والبابا اسكندر الثالث يعلم أكثر مما يعلمه الشيطان . (متطلعا الى جينارو) هكذا يستسلم لسلطان الكرى هؤلاء الشبان .

(تدخل دونا لوكريزيا وعلى وجهها قناع • تلمح جينارو نائما •
فتمضى تتأمله فى غبطة وجلال) •

دونا لوكريزيا : (محدثة نفسها) انه نائم ، لابد أن الحفل قد أتعبه •
ليت شعرى ما أجمله ! (ملتفتة) جوبيتا •

جوبيتا : اخفى صوتك يا سيدتى • اننى لا أدعى ها هنا جوبيتا بل
الكونت دى بلفيرانا ، نبيل قسطلانى • أما أنت فالمركية دى
بونتيكوادراتو ، نبيلة نابولييه ، ينبغي ألا يبدو على أحدنا أنه
يعرف الآخر ، أو ليست هذه أوامر سموك ؟ انك لست ها هنا فى
بلدك ، بل أنت فى فينيسيا •

دونا لوكريزيا : الحق ما تقول يا جوبيتا • ولكن الشرفة خالية الا من
هذا الشاب النائم ، ومن ثم نستطيع الحديث لبرهة •

جوبيتا : كما يروق لسموك • وان كنت أنصحك ألا تخلعى قناعك
أبدا • فقد يتعرف القوم عليك •

دونا لوكريزيا : وماذا يضيرنى ؟ لئن جهلوا حقيقة أمرى فما من شىء
أخافه ، وان عرفوا الحقيقة فأحرى بهم أن يخافونى •

جوبيتا : نحن فى فينيسيا يا سيدتى • ان أعداءك ها هنا كثيرون ، وهم
أعداء طلقاء • لا مراء فى أن جمهورية فينيسيا لن تسمح لامرء
بأن يتناول على شخص سموك ، ولكن قد ينالك ثمة اساءة •

دونا لوكريزيا : أراك على صواب ، وان اسمى ليثير الهول حقا •

جوبيتا : ان من معنا هنا ليسوا من مواطنى فينيسيا فحسب ، بل هم
خليط من أهل روما ونابولى ولومبارديا ، انهم ايطاليون من سائر
أرجاء ايطاليا •

دونا لوكريزيا : وايطاليا بأسرها تمقتنى • الحق ما تقول ، ومع كل
فلايد أن يتبدل الحال غير الحال ، فما خلقت للشر والأذى ، ذلك
ما أشعر به الآن أكثر من أى وقت مضى • لقد جرفنى التيار اسوة
بأهلى وعشيرتى • جوبيتا !

جوبيتا : لبيك يا سيدتى •

دونا لوكريزيا : أبعث على الفور الى حكومتنا فى سبوليت بما سنأمرك به •

جوبيتا : مرى يا مولاتى ، فان لدى على الدوام بغال أربعة مسرجة ،
وأربعة من العدائين رهن اشارة السفر .

دونا لوكريزيا : ماذا فعلوا بجالياس أكابولى ؟

جوبيتا : انه مازال خلف القضبان ينتظر أمر سموك بدق عنقه .

دونا لوكريزيا : وجفرى بوند لمونت ؟

جوبيتا : فى سجنه لم تقض بعد باعدامه .

دونا لوكريزيا : وما نفريد دى كيرزولا ؟

جوبيتا : لم يعدم بعد هو أيضا .

دونا لوكريزيا : سباداكابا ؟

جوبيتا : تنفيذا لما أمرت ينبغى أن يجرع السم على مذبح انقرايين يوم
عيد الفصح . وسوف يحل هذا اليوم بعد ستة أسابيع . سيدتى،
اننا فى حفل تنكرى !

دونا لوكريزيا : وبيرا كابوا ؟

جوبيتا : انه مازال حتى الساعة أسقف ليزارو ونائب حاكمها . بيد أنه
سيغدو حفنة من تراب قبل انقضاء الشهر ، فان البابا أبانا المقدس
قد أمر بالقاء القبض عليه بناء على شكوكا ، وهو يحتجزه بين
سراديب الفاتيكان تحت حراسة مشددة .

دونا لوكريزيا : جوبيتا ! اكتب من فورك الى الأب المقدس واخطره
بالتماس العفو عن بيير كابرا ، ثم أمرك باطلاق سراح أكابولى
ومانفريد دى كيرزولا ، واخلاء سبيل بوندلمونت وسبادا كابا .

جوبيتا : على رسلك يا سيدتى ! دعينى ألتقط أنفاسى ، ما هذه الأوامر
التي تلقينها على ؟ رباه ! أرى السماء تمطر مغفرة وتبرد مرحمة ،
اننى غريق فى خضم الرحمة ، ولن أفلت من هذا الطوفان المخيف
من الأعمال الصالحة .

دونا لوكريزيا : صالحة أم طالحة ، ماذا يضريك أنت طالما أنقذك عليه
أجرا ؟

جوبيتا : ان العمل الصالح لأشق أداء من العمل الطالح . وا أسفاه !
يا لشقوتك يا جوبيتا ! أما وقد دخل الآن فى روعك انك قد
غدوت رحيمة ، ترى ماذا سيكون من أمرى أنا ؟

دونا لوكريزيا : اصغ الى يا جوبيتا ! انك أقدم أمنائى وأخلصهم .

جوبيتا : لقد حظيت فى الواقع بشرف معاونتك خلال خمسة عشر عاما .

دونا لوكريزيا : حسنا ، خبرنى يا جوبيتا ، خبرنى يا صديقى وشريكى القديم ! أما بدأت تحس بحاجة الى تغيير أسلوب حياتك ؟ ألسنت متعطشا الى عناية الله تدركنا - أنا وأنت - بقدر ما حلت بنا لعنته ؟ أما كفاك جرما ؟

جوبيتا : أرى انك قد غدت أتنقى أميرة فى الوجود !

دونا لوكريزيا : أما بدأ يثقل كاهلك صيتنا المشترك ، صيتنا الفاضح ، صيتنا فى سفك الدماء ودس السم للناس ؟

جوبيتا : مطلقا . واننى كثيرا ما أسمع الدهماء فى تجوالى بين شوارع سبوليت وهم ينشدون حولى : هو ذا جوبيتا ، جوبيتا السم ، جوبيتا الخنجر ، جوبيتا المقصلة ! ذلك لأنهم أضفوا على اسمى اكليلا وضاء من الألقاب ، انهم يرددون هذا كله ، وحين لا تردده الأفواه تردده الأعين . ولكن ماذا يضيرنى مما يرددون ؟ لقد اعتدت صيتى المقيت كما اعتاد جند البابا خدمة القديس .

دونا لوكريزيا : ولكن ، ألا تشعر بأن جميع الصفات المزدولة التى رميت بها ، وأرمى بها أنا أيضا ، قد توقظ البغض والزراية فى قلب انسان تصبو الى محبته ؟ أما أحببت فى الورى أحدا ؟

جوبيتا : اننى مشوق يا سيدتى الى معرفة من تحبين .

دونا لوكريزيا : وهذا تعرف عن الحب؟ اننى صريحة معك ، فلن أحدثك عن أبى أو أخى أو زوجى أو عشاقى .

جوبيتا : ولكنى لا أرى غير هؤلاء من يرتجى محبته .

دونا لوكريزيا : بل هناك شئ آخر يا جوبيتا .

جوبيتا : آه فهمت ! لعلك تشبثين بالفضيلة والتقى خالصا لوجه الله !

دونا لوكريزيا : ولم لا ، يا جوبيتا ، وقد حل اليوم فى ايطاليا ، فى ايطاليا الباغية المنكودة ، ثمة قلب صاف نبيل ، قلب زاهر بالرجولة الفاضلة ، قلب ملاك تحت درع جندي ! لم لا ، ولم يبق لى - أنا المرأة الشقية الممقوته ، المحقرة ، البغيضة ، الملعونة من الخلق الخالق ! أنا الانسانة البائسة رغم سطوتى واقتدارى ، لم يبق لى فى وقفة المحنة التى تحتضر فيها نفسى بين مرارة الألم غير فكرة

واحدة ، وأمنية واحدة ، ووسيلة واحدة ، هي أن أستحق وأحظى قبل أن تحين منيتي ببعض المكانة - يا جوبيتا - وبشيء من عطف هذا القلب الأبى الطاهر وتقديره ! فما عاد يلح على من الفكر غير مطمئنى فى أن أشعر ذات يوم بهذا القلب مستجيبا لقلبى فى نشوة وانطلاق . أفهمت اذن يا جوبيتا ، لم أتوق الى التكفير عن ماضى ، وأظهر سمعتى وأمحو الوصمات التى أحملها أينما حللت ؟ وأستبدل بالصورة المشينة الدامية التى تقرنها ايطاليا باسمى صورة أخرى قوامها المجد والتوبة والفضيلة ؟

جوبيتا : يا لله ! الى أى حبر من الأخبار سعت اليوم يا سيدتى ؟

دونا لوكريزيا : دع السخرية جانبا يا جوبيتا . لقد راودتنى هذه الخواطر منذ أمد بعيد وما صارحتك بها ، فحين يجرف المراء تيار الجريمة لا يستطيع التوقف حين يشاء ، ان الملكين يصطرعان فى أعماقى - ملك الخير وملك الشر - وانى أرى الغلبة فى نهاية المطاف للملك الخير .

جوبيتا : اذن « نمجذك يا رب ، تعظم نفسى الرب » ! أرايت يا سيدتى أننى لم أعد أفهمك ، وأنتك غدوت منذ حين فى عينى طلسما ؟ فمنذ شهر وسموك تعلنين انك راحلة الى سبوليت ، وانك قد استأذنت فى السفر زوجك مولاي دون ألفونس ديست ، وهو الذى بلغت به السذاجة أن يهيم بك كما يهيم الحمام بأليفته ويغار عليك كما يغار النمر الكاسر . وهكذا غادرت يا مولاتى فرار ، وقدمت سرا الى فينيسيا بلا حاشية تقريبا ، فانتحلت اسما زائفا نابوليا وانتحلت بدورى اسما اسبانيا ، حتى اذا ما حللت فى فينيسيا افترقت عني وأمرتني أن أتجاهلك ، ثم أخذت تنطلقين الى محافل الموسيقى واللهو ، واغتنمت فرصة أعياد الكرنفال لتجولى فى كافة الأرجاء محجبة عن الخلق متنكرة ، تحدثنى بقدر بين الأبواب المغلقة ، ثم تسفر هذه المهزلة أخيرا عن عهد تقطعينه على ! أو ليس هذا أمرا عجيبا ومثيرا ؟ لقد مسخت اسمك وزيك ، وها أنا ذا أراك تمسخين روحك . أقسم بشرفى انك تجاوزت حدود المهزلة ، واننى فى حيرة من أمرى ، ترى ما الذى حدا بسموك الى سلوك هذا المسلك ؟

دونا لوكريزيا : (تمسك بذراع جوبيتا بعنف وتجره قريبا من جينارو النائم) أرايت هذا الشاب ؟

جوبيتا : ما هو بغريب عني ، فأنا أعلم حق العلم انك تلاحقيه مستترة
خلف قناعك منذ حللت في فينيسيا .

دونا لوكريزيا : وماذا ترى فيه ؟

جوبيتا : أرى فيه شابا نائما وهو جالس على مقعد ، وربما نام وهو واقف
لو أنه كان ثالثا في هذه المساجلة الأخلاقية المثالية التي دارت
بينى وبين سموك .

دونا لوكريزيا : ألا تراه رائع الحسن ؟

جوبيتا : ربما بدا أكثر حسنا لو لم تكن عيناه مغمضتين . ان وجهها
بلا عينين كقصر بلا نوافذ .

دونا لوكريزيا : آه لو تدرى مبلغ حبي له !

جوبيتا : هذا من شأن زوجك دون الفونس . وان كان من واجبي
يا سيدتى اخبارك بألا جدوى من محاولتك ، فهذا الشاب - كما
قيل لى - يهيم بفتاة جميلة تدعى فياميتا .

دونا لوكريزيا : وهل تبادلته الفتاة حبا بحب ؟

جوبيتا : هكذا يزعمون .

دونا لوكريزيا : حسنا ، غاية المنى أن أعلم بأنه قرير العين سعيد !

جوبيتا : وهذا أسلوب غريب قلما كان من أساليبك . كنت أحسبك
غيورة ..

دونا لوكريزيا : (متأملة جينارو) ما أنبل محياهم !

جوبيتا : أرى أنه يشبه شخصا ما ...

دونا لوكريزيا : (محتدة) لا تحدثنى عنى ترى أنه يشبهه ودعنى لحالى
(ينصرف جوبيتا ، وتظل دونا لوكريزيا بضع لحظات تتطلع فى
نشوة حاملة الى جينارو ، فلا تفتن الى قدوم رجلين مقنعين دلفا من
مؤخرة المسرح وأخذاً يسترقان النظر اليها) .

دونا لوكريزيا : (ظانة أنها وحدها) انه هو اذن ! لقد قدر لى أخيرا أن
أراه لحظه بلا ثمة خطر ! كلا ، ما تخيلته أجمل من هذه الصورة !
رب جنبنى أسى محنة أصادفها من جراء شعوره ذات يوم بمقتى
وازدرائى ، وأنت تعلم بأنه حبى الوحيد تحت سمائك ، اننى
لا اجترئ على خلع قناعى ، ولكن لا بد لى أن اكفك دمعى (تخلع

قناعها لتجفف دمة • يتحدث الرجلان المقنعان بصوت خفيض بينما تتهدى دونا لوكريزيا وهي تتأمل جينارو ! •

المقنع الأول : حسبي هذا • وفي وسعي الآن العودة الى فرار ، فما قدمت الى فينيسيا ألا لأتأكد من خيانتها ، ولقد رأيت ما فيه الكفاية ، ولا ينبغي أن يطول غيابي عن فرار - هذا الشاب عشيقها • ماذا يدعى يا روستيجللو ؟

المقنع الثاني : انه يدعى جينارو ! وهو ضابط مغامر باسل ، غديم الأبوين ، ولا يعرف له أصل وهو يعمل حاليا في خدمة جمهورية فينيسيا •

المقنع الأول : زين له القدوم الى فرار :

المقنع الثاني : هذا ما سيكون تلقائيا يا مولاي ، فبعد غد سيأتي الى فرار مع ليف من رفاقه الذين يشكلون سفارة المبعوثين تيوبولد وجريمانى •

المقنع الأول : حسنا ، لقد تبيننت صحة ما ورد الى من تقارير ، وأؤكد لك أنني رأيت بعيني ما فيه الكفاية ، والآن في استطاعتنا العودة (ينصرفان) •

دونا لوكريزيا : (معقودة الساعدين ، وكأنها جاثية أمام جينارو) اللهم هب له من السعادة بقدر ما هيئات لي من شقاء !

(تطبع على جبين جينارو قبلة فيهب من سباته مذعورا) •

(قابضا بيديه على لوكريزيا الواجفة) قبلة وامرأة ، قسما بشرفي يا سيدتي لو كنت ملكة ، وكنت بدوري شاعرا ، لصال وجال في هذا المجال شاعر فرنسا ألان شارتييه ، لكنتي لا أعلم من أنت ، أما أنا فلست سوى جندي بسيط •

دونا لوكريزيا : دعنى يا سيد جينارو !

جينارو : محال يا سيدتي •

دونا لوكريزيا : أرى قادما •

(تتوارى وفي اثرها جينارو)

المشهد الثالث

جيبو ثم مافيو

جيبو : (دالفا من الجهة المقابلة) ما هذا الوجه ؟ انها هى بعينها ! عجبا :
أهذه المرأة هنا فى فينيسيا يا مافيو ؟

مافيو : (دالفا) ماذا ؟

جيبو : دعنى أحدثك عن لقاء غريب .
(يهمس فى أذن مافيو)

مافيو : أوافق أنت مما تقول ؟

جيبو : وثوقى من أننا هنا فى قصر بارباريجو ولسنا فى قصر لابيا .

مافيو : أكانت تبث جينارو هواها ؟

جيبو : نعم .

مافيو : لا بد أن أخلص أخى من نسيج العنكبوت .

جيبو : هيا نبلغ رفاقنا .

(ينصرف الرجلان ، ويظل المسرح خاليا بضع لحظات ، فلا يرى
الرائى فى مؤخرته سوى عدد من قوارب الجندول ، تتهاذى بين
الفينه والفينه على أنغام الموسيقى ، ثم يدخل جينارو ودونا لوكريزيا
وعلى وجه كل منهما قناع) .

المشهد الرابع

جينارو - دونا لوكريزيا

دونا لوكريزيا : هذه الشرفة مظلمة موحشه ، ومن ثم استطيع خلع
قناعي . أود أن ترى وجهى يا جينارو (تخلع قناعها) .

جينارو : ما أجملك !

دونا لوكريزيا : أمعن النظر يا جينارو ، وخبرنى ان كنت أثير امتعاضك .

جينارو : تثيرين امتعاضى ؟ ان الأمر على النقيض يا سيدتى ، فأننى أشعر
فى قرارة نفسى بما يجذبنى اليك .

دونا لوكريزيا : ترى فى وسعك أن تحببى ؟

جينارو : ولم لا ؟ وان كنت أصارحك يا سيدتى بأن هناك ثمة امرأة
سيفوق حبى لها على الدوام حبى لك .

دونا لوكريزيا : (باسمه) أعرف ذلك . انها الصغيرة فيامتيا .

جينارو : كلا .

دونا لوكريزيا : من تراها اذن ؟

جينارو : أمى !

دونا لوكريزيا : أمك . أمك . أى عزيزى جينارو . أراك شغوفاً بأمك .
أليس كذلك ؟ .

جينارو : وان كنت لم أرها قط . لعل ذلك يبدو لك أمراً غريباً فى بابه .
أليس كذلك ؟ عجباً ، لا أدرى لم أميل الى مصارحتك بذات نفسى ؟
سأفضى اليك بسر لم أفض به الى أحد من قبل ، حتى الى مافيو
أورسينى رفيقى فى السلاح . عجيب أن يأنس المرء الى الغير من
أول لقاء ، وان خيل الى أننى لا ألقاك لأول مرة . اننى ضابط لا
يعرف له أهل أو عشيرة ، ترعرعت فى كنف صياد من كالابرو .
كنت أعتقد أننى ابنه ، ويوم بلغت السادسة عشرة من عمرى أنبأنى
الصياد بأنه ليس أبى ، وبعد حين جاءنى سيد قلدى شارة
الفرسان ، وقفل راجعاً دون أن يرفع حافة خوذته . ثم وفد الى
بعد ذلك رجل يتشجع بالسواد يحمل الى رساله . فضضت
الرسالة ، فإذا هى كتاب من أمى ، أمى التى لا أعرفها ، أمى التى
أتمثلها فى خاطرى انسانة كريمة حانية وديعة جميلة مثلك ، أمى
التي بلغ حبى لها مبلغ العبادة ! لقد علمت من هذه الرسالة التى
خلت من التوقيع أننى سليل بيت عريق ، وأن أمى انسانة عائرة
الحظ شقية . لهف عليك يا أماه !

دونا لوكريزيا : ما أطيب قلبك يا جينارو !

جينارو : ومنذ ذاك الحين جعلت من نفسى محارباً مغامراً ، فلما كنت عظيم
الجاه بحسبى فقد أردت أن أكون كذلك بسيفى أيضاً ، وطفقت
أجوب إيطاليا طولاً وعرضاً ، وفى غرة كل شهر ، وأينما كنت ،
يفد الى ذلك الرسول ذاته ، فيناولنى رسالة من أمى ويتلقى ردى

عليها ، ثم ينصرف دون أن يفوه بكلمة ، ودون أن أحدثه بكلمة ،
لأنه أصم أبكم .

دونا لوكريزيا : وهكذا لا تعلم عن آلك شيئا ؟

جينارو : أعلم أن لى أما وأنها عاترة الحظ شقية ، واننى لأنزل عن حياتى
فى هذه الدنيا لأراها باكية ، ثم عن حياتى فى الآخرة لأراها باسمه ،
وهذا كل ما أعلم .

دونا لوكريزيا : وماذا تصنع برسائلها ؟

جينارو : اننى أحتفظ بها جميعا هنا ، على قلبى . اننا معشر المحاربين
كثيرا ما تتعرض صدورنا لطعن السيوف ، ورسائل الأم لنا خير
درع .

دونا لوكريزيا : ما اكرم نفسك ؟

جينارو : أتودين رؤية خطها ؟ اليك رسالة من رسائلها .

(يخرج من صديرتيه ورقة يقبلها ثم يناولها لدونا لوكريزيا)
اقرئى هذا .

دونا لوكريزيا : (قارئة) لا تحاول التعرف على يا عزيزى جينارو قبل
أن يحين الحين . اننى امرأة جديرة بالعطف والرثاء ، عليك أن
تتجنب طريقى ، فأنا محاطة بأقارب قد خلت أفئدتهم من الرحمة ،
قد يقتلوك كما قتلوا أباك من قبل . أما عن سر مولدك يا بنى فاننى
أود أن أستاذثر به دونك ، فلو أنك عرفته لألفيته أليما وخطيرا فى
آن واحد ، مما يجعلك لا تستطيع السكوت عليه . ان الشباب
سرعان ما يثق بالغير ، وانك لا تدرك المخاطر التى تحيط بك كما
أدركتها . ومن يدرى ؟ فقد تصر على مجابهة تلك المخاطر بدافع
من اقدام الشباب ، وقد ينفلت لسانك أو تنساق للحدس
والتخمين ، فلا تعيش بعد ذلك أكثر من يومين . كلا ، لن أبوح
لك بهذا السر ، وحسبك أن تعلم أن لك أما تعبدك وتسهر الليل
وتقوم النهار على حياتك . أى جينارو الحبيب ، أى بنى ، انك كل
من أحببت فى هذا الوجود ، وان قلبى لينفطر أسى حين أفكر فيك .
(تتوقف لحظة عن القراءة كي تخفى دمعها)

جينارو : ما أرق نبراتك وأنت تتلين الرسالة ! حتى ليخيل الى سامعك
أنك لا تقرئين وانما تتحدثين أواه ، أراك تبكين ؟ انك يا سيدتى
طيبة القلب رحيمة ، وانى أحبك لأنك تبكين تأثرا بما كتبته أمتى .

(يسترد الرسالة ويقبلها مرة أخرى ثم يعيدها الى صدره) نعم ،
أرأيت يا سيدتى ؟ لقد أحاطت الجرائم العديدة بمهدى • لهفى عليك
يا أمأه ! لعلك تدركين الآن يا سيدتى لم لا تجتذبني مجالات اللهو
والهوى كثيرا ، فكل همى هو أمى •

ما أسعدنى لو استطعت خلاص أمى ، والقيام على خدمتها والشأر
لها ومواساتها ! اما عن الغرام فموعدى معه فيما بعد • لقد جعلت
نصب عيني فى كافة أفعالى أن أكون جديرا بأمى • انى أرى كثيرا
من المحاربين فقراء الى النخوة والضمير ، يتقاتلون فى سبيل
الشیطان بعد أن قاتلوا فى سبيل القديسين ! أما عن نفسى فاننى
لا أدافع الا عن قضايا الحق ، وأود لو أستطيع أن أضع ذات يوم
تحت قدمى أمى سيفاً مخلصاً خالصاً كسيف الأباطرة • أو تدرين
يا سيدتى ، لقد عرض على منصب كبير فى بلاط الفاجرة لوكريس
بورجيا ، لكننى رفضت •

دونا لوكريزيا : أى جينارو ! كن رحيما بالأشرار ، فأنت لا تعلم خبيثة
نفوسهم •

جينارو : لا رحمة عندى لمن خلا قلبه من الرحمة • ولكن دعينا من هذا
يا سيدتى • أما وقد ذكرت لك الآن من أكون ، فخبيرنى بدورك
من تكونين ؟

دونا لوكريزيا : امراً تحبك يا جينارو •

جينارو : ولكن ما اسمك ؟

دونا لوكريزيا : لا تسألنى مزيداً على ما ذكرت لك •

(على ضوء المشاعل يدخل مافيو وجيبو فى صخب ، فتسارع
لوكريزيا بارتداء قناعها)

المشهد الخامس

الأشخاص أنفسهم - مافيو أورسينى - جيبو
ليفريتو - اسكانيو بروتشى - اولوفرنو
فيتيلوزو - دون ايوستولوجازيلا - ليف من
النبلاء والسيدات - حجاب يحملون المشاعل •

مافيو : (حاملاً مشعلاً) جينارو ، أتريد أن تعرف من تطارحها الهوى ؟

دونا لوكريزيا : (محدثه نفسها من خلف القناع) يا لعدالة السماء !
جينارو : أنتم جميعا رفاقي . ولكنى أقسم أن من يمس قناع هذه المرأة
لهو غلام أخرق ، ان قناع المرأة مقدس كوجه الرجل .
مافيو : ينبغى قبل كل شيء أن تكون المرأة امرأة بمعنى الكلمة . جينارو ،
اننا لا نقصد الى اهانة هذه المرأة ، وانما نريد فقط أن نذكر لها
أسماءنا .

(يخطو خطوة نحو لوكريزيا) سيدتى ، أنا مافيو أورسيني شقيق
دون جرافينا وهو من قتله زبائنتك ليلا بينما كان يغط فى سباته .
جيبو : أنا جيبو ليفيريتو ، ابن اخ ليفيريتو بتروتشلى ، وهو من أجهزت
عليه بطعنة خنجر فى أقبية الفاتيكان .

اسكانيو : سيدتى ، أنا اسكانيو بتروتشى ، ابن عم باندولفو بتروتشى
شريف سين ، هذا الذى قتلته حتى يتيسر لك احتلال مدينته .

اولوفرنو : سيدتى ، أنا من يدعى الوفرنو فيتيللوزو ، ابن أخ جودابيانى ،
من أسقيته السم فى احدى الولايم بعد ما سلبتيه بالغدر والخيانة
قلعة الامارة المنيفة فى بومبيتو .

سؤن أبو ستولو : سيدتى ، لقد قضيت باعدام دون فرانسيسكو عم دون
ألفونس داراجون ثالث أزواجك ، وهو الذى أمرت بقتله بضربة
رمح على قمة الدرج فى كنيسة القديس بطرس أنا دون
أبو ستولوجازيللا ابن الأول وابن عم الثانى .

دونا لوكريزيا : رباه !

جينارو : من تكون هذه المرأة ؟

مافيو : أما وقد ذكرنا لك يا سيدتى أسماءنا ، أتودين أن نفصح عن
اسمك ؟

دونا لوكريزيا : لا ، لا . ناشدتك الرحمة يا سادة ، لا تذكروا اسمى
أمامه .

مافيو : (جاذبا قناعها) اخلعى قناعك يا سيدتى لنرى ان كان وجهك
لا تزال فيه حمرة الحجل !

دون ابوستولو : جينارو ، ان هذه المرأة التى تطارحها الهوى لهى امرأة
باغية فاجرة .

جيو : قارفت الزنا مع الأقربين جميعا . فزنت مع أخويها اللذين تقاتلا
على حبها !

دونا لوكريزيا : المغفرة !

اسكانيو : وزنت مع أبيها البابا !

دونا لوكريزيا : الرحمة !

اولوفرنو : وانها لتزني مع أولادها ان كان لها ولد . ولكن السماء تصن
على الوحوش بالانجاب .

دونا لوكريزنا : كفى ، كفى !

مافيو : أتود أن تعرف من هي يا جينارو ؟

دونا لوكريزيا : الرحمة ، الرحمة ، يا سادتي !

مافيو : جينارو ، أتود أن تعرف من هذه المرأة ؟

دونا لوكريزيا : (زاحفه على الأرض الى ركبتى جينارو) لا تسمح لهم
يا عزيزى جينارو !

مافيو : (باسطا ذراعه) انها لوكريس بوجيا !

جينارو : (وهو يدفعها بيده) تبا لك !

(تخر لوكريس بوجيا مغشيا عليها تحت قدميه)

القسم الثاني

ساحة مدينة فراز - على اليمين قصر له
شرفة محلاة بالشباك ذات باب صغير ، في
اسفل الشرفة ترس حجري كبير يعمل شعاعا
نقشت تحته بأحرف كبيرة بارزة من النحاس
كلمة « بورجيا » . وعلى اليسار بيت صغير
يطل بابه على الساحة ، وفي المؤخرة دور
وابراج .

المشهد الأول

دونا لوكريزيا - جوبيتا

دونا لوكريزيا : أأعددت كل ما يلزم لهذا المساء يا جوبيتا ؟

جوبيتا : نعم يا سيدتي .

دونا لوكريزيا : وهل سيأتي الخمسة جميعا

جوبيتا : الخمسة جميعا يا سيدتي .

دونا لوكريزيا : لقد أساءوا الى بضراوة يا جوبيتا !

جوبيتا : واسفاه ! لم أكن وقتئذ حاضرا .

دونا لوكريزيا : كانوا بلا رحمة !

جوبيتا : أجهروا لك باسمك هكذا بصوت عال ؟

دونا لوكريزيا : انهم لم يجهروا باسمي يا جوبيتا ، بل بصقوا في وجهي .

جوبيتا : في وسط الحفل ؟

دونا لوكريزيا : وأمام جينارو .

جوبيتا : أرى فى مغادرتهم فينيسيا وقدمهم الى فرار حماقة وغرورا .
وان لم يكن لهم فى الحقيقة به من ذلك ، فقد اختارهم مجلس الأعيان
ضمن الوفد الذى قدم فى الأسبوع الماضى .

دونا لوكريزيا : واحسرتاه ! لقد غدا الآن يمقتنى ويزدرينى . وعليهم
يقع هذا الوزر . سأنتقم منهم يا جوبيتا .

جوبيتا : حبذا هذا القول السديد . لعلك برئت - ولله الحمد - من نزوة
الرحمة . اننى أشعر بمزيد من الارتياح نحو سموك حين تكونين
على سجيتك شأنك الآن ، فعندئذ ألتقى فى القليل بنفسى . أرايت
يا سيدتى الى أن البحيرة هى نقيض الجزيرة ، وأن البرج نقيض
البشر ، والقناة نقيض الجسر ، ويشرفنى أن أكون نقيض الانسان
الفاضل .

دونا لوكريزيا : ان جينارو معهم ، فحذار أن يصيبه ثمة مكروه !

جوبيتا : لو أصبحت امرأة فاضلة ، وأصبحت بدورى رجلا فاضلا ،
لكان فى ذلك منتهى الوحشية .

دونا لوكريزيا : حذار أن يصيب جينارو أى مكروه ! هذا ما أمرك به .
جوبيتا : اطمئنى .

دونا لوكريزيا : على أننى مشوقه الى رؤيته مرة أخرى .

جوبيتا : سبحان الله ! انك ترينه كل يوم يا صاحبة السمو . لقد أغريت
الحاجب كيما يقنع سيده بالاقامة فى هذا البيت قبالة شرفتك ،
ومن خلال قضبان الشرفه تخطين كل يوم بشرف لا مثيل له ، شرف
رؤية السيد المذكور فى غدوه ورواحه .

دونا لوكريزيا : أقول لك يا جوبيتا أننى أتوق الى الحديث معه .

جوبيتا : ما من شئ أيسر من هذا الأمر ، ابعثى اليه بتابعك استولفو
فيخبره بأن سموك فى انتظاره اليوم بالقصر ، فى الساعة كذا .

دونا لوكريزيا : هذا ما سيكون يا جوبيتا ، ولكن أترأه يحضر ؟

جوبيتا : عودى يا سيدتى . أظنه سيمر عما قليل من هنا بصحبة الاغرار
الذين تحدثنا عنهم .

دونا لوكريزيا : أychسبونك دائما الكونت بلفيرانا ؟

جوبيتا : انهم يحسبوننى اسبانيا من قمة رأسى الى أخمص قدمى . اننى
من صفوة أصدقائهم واقترض منهم نقودا .

دونا لوكريزيا : نقودا ! ولماذا .

جوبيتا : يا لله ! للحصول عليها . فما من شئ يبرز الطابع الاسبانى
فى المرء أكثر من ظهوره بمظهر المتسول ، وأن يجذب الشيطان من
ذنبه .

دونا لوكريزيا : (محدثة نفسها) جنب اللهم جينارو الحبيب كل مكروه !
جوبيتا : وبهذه المناسبة يا سيدتى ، قفزت الى خاطرى فكرة .

دونا لوكريزيا : وما هى ؟

جوبيتا : أرى من اللازم أن يلحم ذنب الشيطان ويحكم ربط فقراته ،
حتى يحتمل الجموع الغفيرة التى لا تكف عن جذبه .

دونا لوكريزيا : انك تلتمس فى كل الظروف مجالا للسخرية والدعابة .
جوبيتا : هذا أسلوب كغيره من الأساليب .

دونا لوكريزيا : أعتقد أنهم وصلوا . فكر فى كل شئ .
(تعود الى القصر من باب صغير تحت الشرفة) .

المشهد الثانى

جوبيتا (يحدث نفسه)

ترى من يكون جينارو هذا ؟ وماذا تبغى منه بحق الشيطان ؟ اننى
لا أقف على كافة أسرار هذه السيدة ، وهذا أمر جد طبيعى . غير
أن هذا السر بالذات يثير فضولى . أقسم أنها لا تثق بى هذه المرة ،
ولذا ينبغى ألا يدور بخلدتها أننى مفيدةا فى هذا المجال ، ولها أن
تففيه من تأمرها مع جينارو كما تشاء . ولكن ما أغربه من أسلوب
امرأة فى عشق رجل ، وبخاصة اذا كانت العاشقة هى ابنة رودريجو
بورجيا ، من جرت فى عروقها دماء الغوانى ودماء البابا ! سبحان
الله ! لقد غدت سيدتى لوكريس أفلاطونية فى حبها ، ولن أستغرب

بعد اليوم شيئا ، ولو جاء من ينبئنى بأن البابا اسكندر السادس
قد آمن بالله !

(يطل على الشارع المجاور) ها هم أولاء شباب كرنفال فينيسيا
المجانين ، ما أروع تلك الفكرة التي خطرت لهم ، فإذا هم يغادرون
أيضا محايدة ويقدمون الى فرار بعد ما إهانوا بضراوة أميرة فرار !
ولو كنت فى موقعهم لتخلفت بلا شك عن صحبة مبعوثى فينيسيا .
ولكن تلك هى شيمة الشباب ، فمن بين سائر الحلائق أنسوا الى
أنياب الذئب فتدافعوا اليها راضين مغتبطين .

(يدخل النبلاء الشبان دون أن يفتنوا بادی الأمر الى وجود
جوبيتا ، وكان يرصد حركاتهم من مخبئه خلف أحد أعمدة الشرفة -
يتحدث الشبان فى قلق بصوت خفيض) .

المشهد الثالث

جوبيتا - مافيو - جيبو - اسكانيو
دون أبو ستولو - أولوفيرنو .

مافيو : (فى همس) قولوا ما شئتم أيها السادة ، ولكن ما كان فى وسعنا
التخلف عن الحضور الى فرار بعدما طعنا لوكريس بوجيا فى
صميم قواذها .

دون أبوستولو : وماذا نملك من أمرنا ؟ لقد بعث بنا الى هنا مجلس
الأعيان ، وما من سبيل للتنصل من أوامر مجلس أعيان فينيسيا
الموقر . لا أخفى عليك يا مافيو أن موكريزيا بوجيا هى فى الواقع
عدو مرهوب الجانب ، وهى الأمرة الناهية فى هذا البلد .

جيبو : وماذا تراها فاعلة بنا يا أبوستولو ؟ ألسنا من عمال جمهورية
فينيسيا ؟ ألسنا من أعضاء وفدها ؟ ان المساس بشعرة من رؤوسنا
معناه اعلان الحرب على عاهلنا ، وفرار لا تقدم باختيارها على
استنفار فينيسيا .

جینارو : (لا يشارك فى الحديث بل يبدو حالما فى ركن من أركان المسرح)
أماه ! أماه ! من يخبرنى بما أستطيعه من أجل أمى الشقية ؟

مافيو : فى وسعهم يا جيبو أن يواروك التراب دون أن يمسوا شعرة من رأسك ، فهناك ثمة سموم تحقق أغراض آل بورجيا دون ما ضجيج أو صخب ، وبأفضل مما يحققه الفأس والخنجر . لعلك لا تنسى تلك الوسيلة التى قضى بها اسكندر الثالث على السلطان زيزيمى أخ باجازيه .

أولوفرنو : وعلى كثيرين غيره .

دون أبوستولو : أما عن أخ باجازيه فقصته تثير الأسى والعجب ، لقد أدخل البابا فى روعة أن شارل ملك فرنسا قد دس له السم يوم تغذيا سويا ، فصديق زيزيمى الخبر وتقبل من يدى لوكريس بورجيا الجميلتين ترياقا زائفا مكن باجازيه من الخلاص منه فى مدى ساعتين من الزمان .

جيبو : يخيّل الى أن هذا التركي المغوار لم يكن يفقه شيئا فى السياسة .

مافيو : نعم ، ان لدى آل بورجيا سموما تقضى على المرء فى يوم أو شهر أو عام حسبما يشاؤون . انها سموم فظيعة تزيد طلاوة الحمر ، مما يجعلك تفرغ القنينة فى جوفك بلذة ونشوة ، فإذا بك تحتضر بينما تعتقد أنك ثمل ، ومن يسقى هذا السم يعروه الهزال فجأة وتتجدد بشرته ، وتفور عيناه ، ويسقط شعره ، وتتفتت أسنانه تفتت الزجاج الهش اذا اصطدم بالخبز ، فتراه وقد فقد القدرة على السير والتنفس ، يزحف على الأرض ويلهث ، يعاف المرح والكرى ويرتجف تحت الشمس فى عز الظهيرة ، ويبدو كهلا وهو بعد فى شرخ الشباب ، وهكذا يحتضر ردحا من الزمن ؛ ثم لا يابث أن يسلم الروح ، حتى اذا قضى نحبه تذكر الناس أنه قد شرب قدحا من النبيذ القبرصى منذ ستة أشهر أو عام على مائدة آل بورجيا . (ملتفتا) انظروا يا سادتي الى مونت فيلترو ، لعلكم تعرفونه ، انه من أهل هذه المدينة ، ويمر الساعة بهذه المحنة . ها هو ذا يسير هناك فى مؤخرة الساحة ، انظروا اليه (يسير فى مؤخرة المسرح رجل أبيض الشعر ، نحيل القوام ، يترنج ويعرج ، متكئا على عصاه وقد التف بمعطف) .

اسكانيو : لهفى عليك يا مونت فيلترو !

دون أبوستولو : كم يبلغ من العمر ؟

مافيو : هو من سنى - فى الثامنة والعشرين من عمره .

أولوفرنو : لقد رأيته فى العام الماضى ، وكان وجهه بلون الورد ، يفيض
كوجهك بشرا ونضارة .

مافيو : لقد تناول العشاء منذ ثلاثة أشهر على مائدة البابا - أبينا المقدس
فى كرمته فى بلفيدير .

اسكانيو : با للفضاعة !

مافيو : نعم ، ان القوم يرددون أغرب القصص عن عشاء آل بورجيا !

اسكانيو : انها ولائم فاجرة ، لا يكبح جماحها كايح ، وجل توابلها
السموم .

مافيو : أرايتم يا سادتي كيف أوحشت من حولنا الساحة ، ان الشعب
لا يخاطر مثلنا بالاقتراب من قصر الامارة خشية أن تنضح من
الجلدان تلك السموم التى تطبخ فيه ليل نهار .

اسكانيو : لعلمكم تعلمون أن المبعوثين قد حظيا بالأمس بمقابلة سمو
الدوق ، ومن ثم فان مهمتنا وشيكة النهاية ، أن الوفد يضم
خمسين فارسا ، وانسحابنا من هذا الحشد لن يفتن اليه أحد ،
وأرى من الحكمة أن نرحل عن فرار .

مافيو : وفى يومنا هذا .

جيبو : ليكن رحيلنا فى الغد يا سادة ، فلقد دعيت للعشاء هذا المساء
على مائدة الأميرة نيجروني . اننى وله بهذه الأميرة ، ولا أحب
الظهور بمظهر الهارب من أجمل نساء فرار .

أولوفرنو : أمدعو أنت للعشاء هذا المساء لدى الأميرة نيجروني ؟

جيبو : نعم .

أولوفرنو : وأنا مدعو كذلك .

اسكانيو : وأنا أيضا .

دون أبوستولو : وأنا أيضا .

مافيو : وأنا أيضا .

جوبيتا : (دالفا من خلف الأعمدة) وأنا أيضا أيها السادة .

جيبو : ها هو ذا السيد بلفيرانا - حسنا ، لنذهب كلنا سويا ، ستكون
بلا شك سهرة ممتعة . طاب يومك يا سيد دى بلفيرانا .

جوبيتا : أطل الله عمرك يا سيد جيبو .

مافيو : (مخاطبا جيبو فى صوت خافت) مازلت أتوجس خيفة يا جيبو ،
لئن طاوعتني تخلفنا عن حضور هذه المأدبة . انى لا أطمئن كثيرا
الى مجاملات هذا المدعو بلفيرانا .

جيبو : (هامسا) أنت مجنون يامافيو . ان الأميرة نيجرونى ساحرة
خلابة ، وأصارحك بأننى متيم بها . أما عن السيد بلفيرانا فهو من
خيار الناس ، لقد استخبرت عنه وعن ذويه ، وعلمت أن أبى كان
مع أبيه فى حصار غرناطة عام ألف وأربعمائة وكذا وثمانين .

مافيو : ما هذا بدليل على أنه ابن الرجل الذى صاحب أباك .

جيبو : لك مطلق الحرية يامافيو فى عدم تلبية هذه الدعوة .

مافيو : سأذهب ما دمت ذاهبا انت .

جيبو : مرحى ، مرحى . وأنت يا جينارو ألسنت من زمرتنا هذا المساء ؟

اسكانيو : ألم تدعوك الأميرة نيجرونى ؟

جينارو : كلا ربما حبستنى الأميرة غير ذى شأن .

مافيو : (باسم) لعلك ذاهب وحدك يا أخى الى لقاء غرام . أليس
كذلك ؟

جيبو : وبهذه المناسبة حدثنا قليلا عما قالته لك بالأمس السيدة
لوكريس . بيد انها قد جنت بحبك . لا بد أنها حدثتك عن هذا
طويلا . لقد أتاح لها ما ساد الحفل الراقص من تحرر ومجون
فرصة ذهبية . ان النساء لا يضعن على وجوههن قناعا الا ليعرين
بمزيد من القحة نفوسهن . وجه مقنع ونفس عارية . (تنصت
دونا لوكريزيا من شرفتها الى هذا الحديث منذ لحظات ، وقد
تركت احدى ضلف الباب مفتوحة الى منتصفها) .

مافيو : لعلك جئت تقيم هنا فى مواجهة شرفتها يا جينارو .

دون أبوستولو : وفى ذلك من الخطر يا رفيقى . يقال ان دوق فرار
الميجل يغار على زوجه غير حياء .

أولو فرنو : خبرنا يا جينارو الى أى مدى بلغت فى مغامرتك مع لوكريس
بورجيا ؟

جينارو : لئن عاودتم سؤالى عن هذه المرأة البغيضة يا سادة فسوف
تضوى ثمة سيوف تحت الشمس .

دونا لوكريزيا : (من شرفتها) واحسرتاه !

مافيو : هذه مداعبة يا جينارو ليس غير . ان خيل الى ألا تثريب عني !
اذا حدثناك عن هذه المرأة وقد حملت ألوان شعارها .

جينارو : ماذا تعنى بقولك ؟

مافيو : (مشيرا الى الوشاح الذى يتشح به) هذا الوشاح ؟

جيبو : ان ألوانه فى الواقع هى نفس ألوان لوكرىس بورجيا .

جينارو : ولكن فياميتا هى التى بعثت الى به .

مافيو : هذا ما تعتقده ، لأن لوكرىس أمرتهم أن يذكروا لك ذلك ، بينما

هى التى طرزت بيدها هذا الوشاح من أجلك .

جينارو : أوافق أنت مما تقول ياما فيو ؟ ممن عرفت ؟

مافيو : من حاجبك الذى أسلمك الوشاح . لقد كسبته الى صفها .

جينارو : الى الجحيم !

(ينزع الوشاح ويمزقه ويطأه بقدميه)

دونا لوكرىزيا : (على حدة) واحسرتاه !

تغلق ضلفة الباب وتنسحب .

مافيو : ولكن المرأة جميلة على أية حال .

جيبو : نعم ، وان كان يشوب جمالها ثمة غبرة .

جينارو : أواه ، لعنة الله على من تدعى لوكرىس بورجيا . أتزعمون أنها

تعبنى ؟ حسنا ، ليكن فى هذا عذابها ، انها لتثير فزعى ! نعم انها

تثير فزعى ! أو تعلم ياما فيو أن الأمور تجرى دائما على هذا النحو ،

فليس من سبيل للرجل منا الى تجاهل امرأة تحبه ، فاما أن يبادلها

حبا بحب واما أن يمقتها . وأنى لهذه المرأة أن تكون موضع

حب ؟ هذا الى أن هذا الصنف من النساء كلما أثقل بحبه على

رجل زاد مقت الرجل له . ان هذه المرأة تطاردنى وتحاصرنى

وتضيق الخناق على - ليت شعرى ، كيف قدر لى أن أكون جديرا

بحب امرأة كلوكرىس بورجيا ؟ أليس فى ذلك طامة كبرى وعار ؟

فمنذ تلك الليلة التى جهرتم فيها باسمها - لا يمكنكم أن تصدقوا

الى أى حد صار مجرد تفكيرى فى هذه المرأة الفاجرة أمرا اذا .

كنت فيما مضى لا أرى لوكرىس بورجيا الا عن بعد ، عبر آلاف

الفراسخ ، كمارد رهيب يحثم على صدر ايطاليا بأسرها ، أو كشبح

يقض مضجع العالم طرا ، أما اليوم فقد أصبح هذا الشبح يستأثر

بى دون سائر الخلق ، يفد الى فيجلس الى سريرى . ان هذا

لشئ مخيف . آه ياما فيو انها قاتلة السيد دى جرافينا ، انها قاتلة

أخيك . حسنا ، سأنزل منزلته من نفسك ، وسأثأر له من قاتلته .
هذا هو قصرها الكريه ، قصر الدعارة والخيانة والاعتقال ، قصر
الزنى والفسوق والكبائر جميعا ، قصر لوكريس بورجيا . ان
وصمة العار التى لا أستطيع أن أدمغ بها جبهة هذه المرأة سأدمغ
بها فى أقل القليل جبهة قصرها .

(يرتقى المقعد الحجري الجاثم تحت الشرفة ، ويزيل بنصل
خنجره الحرف الأول من اسم بورجيا المنقوش على الجدار بحيث
لا يبقى منه سوى لفظ أورجيا ومعناه الاغراق فى الرذيلة) .

مافيو : جينارو ، ان هذا الحرف الذى أزلته من اسم السيدة لوكريس
معناه زوال رأسك من بين كتفيك .

جوبيتا : يا سيد جينارو ، لقد أتيت فعلة مريبة ستسفر فى الغد عن
تعذيب نصف سكان المدينة .

جينارو : سأسلم نفسى اذا هم بحثوا عن الفاعل .

جوبيتا : (محدثا نفسه) هذا والله ما أصبو اليه وما سوف يخرج
سيدتى لوكريس .

(يذرع الساحة منذ لحظات رجلان يتشحان بالسواد ويتلصقان)

مافيو : أنظروا أيها السادة ، أرى وجوها عابسة تتطلع الينا بشئ من
الفضول ، فمن الحكمة أن نفترق . اياك أن تأتى مزيدا من الحماسة
يا أخى جينارو !

جينارو : اطمئن بالا يامافيو . هات يدك - أيها السادة أرجو لكم ذروة
البهجة فى سهرة الليلة .
(يدخل ويتفرق الآخرون)

المشهد الرابع

رجلان يتشحان بالسواد

الرجل الأول : ماذا تفعل هاهنا بحق الشيطان يا روستيجللو ؟

الرجل الثانى : أنتظر حتى أرى ما تصنع يا استوفولو .

الرجل الأول : حقا ؟
الرجل الثاني : وأنت ماذا تصنع هنا يا استوفولو ؟
الرجل الأول : انتظر حتى أرى ما تصنع يا روستيجيللو .
الرجل الثاني : من تبغى اذن يا استوفولو ؟
الرجل الأول : الرجل الذى دخل هناك توا . وأنت من تبغى ؟
الرجل الثاني : الشخص ذاته .
الرجل الأول : يا للشيطان !
الرجل الثاني : ماذا تريد به ؟
الرجل الأول : احضاره للأميرة ، وأنت ؟
الرجل الثاني : أريد أن اقتاده الى الأمير .
الرجل الأول : يا للشيطان !
الرجل الثاني : ماذا ينتظره لدى الأميرة ؟
الرجل الأول : الهوى والمتعة بلا شك ، ولدى الأمير ؟
الرجل الثاني : المقصلة فيما أظن .
الرجل الأول : وما العمل ؟ محال أن يكون لدى الأمير ولدى الأميرة فى آن واحد محبوب سعيد فى ناحية ، ومقضى باعدامه فى ناحية أخرى .
الرجل الثاني : هذا دينار . لنجر القرعة ، ونرى من منا يفوز بالرجل .
الرجل الأول : وهو كذلك .
الرجل الثاني : أقسم لو خسرت القرعة لأذكرن بسذاجة للأمير أننى وجدت العصفور قد نزع من العش . والأمر عندى سواء فما يتعلق بصوالح الأمير .
(يقذف بالدينار فى الهواء)
الرجل الأول : الظهر لى .
الرجل الثاني : (محدقا فى الأرض) انه الوجه .
الرجل الأول : سيعدم الرجل . خذه معك . وداعا .
الرجل الثاني : طاب مسأوك .
(واذا يختفى الرجل الأول ، يفتح الرجل الثاني الباب الصغير الواقع تحت الشرفة وينفذ منه . يعود بعد برهة ومعه أربعة من العسس ، ثم يذهب بصحبتهم فيدق باب البيت الذى دلف اليه جينارو ، ويسدل الستار .

الفصل الثانى الزوجان

القسم الأول

(قاعة بقصر الأمانة فى فرار) فرشت
بطنافس جلدية من صناعة المجر ، موشاة
بنقوش عربية مذهبة وأثاث فاخر من الطراز
الايطالى فى اخريات القرن الخامس عشر . أما
كرسى العرش فمصنوع من المخمل الأحمر
مطرز عليه شعار آل « است » وبجواره منضدة
مغطاة بالمحمل الأحمر أيضا . فى المؤخرة باب
كبير ، والى اليمين باب صغير والى اليسار
باب آخر خفى ، ترى من خلفه ومن خلال
مفصورة أعدت على المسرح قمة سلم لولبى
الشكل يهبط الى السرداب ، يسرى اليه الضوء
من نافذة طويلة ضيقة ذات قضبان) .

المشهد الأول

دون ألفونس ديست فى حلة من
الوان شـعـاره وفى صحبته
روسيتجللو فى كسوة ذات الوان
وان كانت من فهاش أقل جودة .

روسيتجللو : مولاى الأمير ، هذه أوامرك الأولى نفذتها ، وأنا فى انتظار
غيرها .

دون ألفونس : خذ هذا المفتاح ، وامضى الى بهونوما ، عد جميع المسطحات
المأطورة على الجدران الخشبية بادئا بتلك اللوحة الكبيرة القريبة من
الباب ، وهى اللوحة التى تمثل هرقل ابن جوبيتير وهو أحد
أحدادى ، حتى اذا بلغت الاطار الرابع والعشرين سترى فرجة صغيرة
خبيثة فى قم ثعبان مذهب من صنع ميلانو ، وهذه لوحة أشمار
بنقشها لودفيك مور . أولج المفتاح فى هذه الفرجة ، فيدور الاطار
على محوره كما يدور الباب ، وهناك فى الخزانة الخفية التى يغطيها
الأطار ، وعلى صفحة من البللور ستجد قنينة من الذهب وأخرى
من الفضة وكأسين من الميناء . فى القنينة الفضية ماء قراح ، وفى
القنينة الذهبية نبيذ معد ، عليك أن تأتى بالصفحة دون أن تعبت
بما عليها الى المكتب المجاور لهذه القاعة . روسيتجللو ، لعلك
سمعت ذات يوم عن أناس تصطك أسنانهم من فرط الهول وهم
يتحدثون عن سم آل بورجيا المشهور ، وما هو الا مسحوق أبيض
براق كغبار رخام كرار ، اذا ما مزج بالنبيذ أحال نبيذ رومورانتين
الى نبيذ سيراكوز ، فحذار أن تمس القنينة الذهبية .

روسيتجللو : أهذا كل ما فى الأمر يا مولاى ؟

دون ألفونس : كلا . . ستتشعج أجود سيوفك ثم تمضى الى مكتبى ،
وتظل واقفا وراء الباب بحيث تسمع كل ما يدور هنا . وعليك أن
تدخل عند أول اشارة منى اليك بهذا الجرس الفضى الذى تعرف
رينيه (مشيرا الى جرس صغير فوق المنضدة) . فإذا ناديت فى
بساطة ، روسيتجللو ، فعليك بالدخول حاملا الصفحة ، أما اذا
هزرت الجرس فادخل والسيف فى يدك .

روسيتجللو : كفى يا مولاى .

دون ألفونس : احمل سيفك مجردا من غمده حتى لا تتكبد عناء سله .

روسييتجللو : حسنا .

دون ألفونس : روسييتجللو ، بل أحمل سيفين ، فقد يتحطم أحدهما .
والآن انصرف .

(ينصرف روسييتجللو من الباب الصغير) .

حاجب : (داخلا من باب المؤخرة) سيدتى الأميرة تريد أن تتحدث الى
مولاي الأمير .

دون ألفونس : دعها تدخل .

المشهد الثاني

دون ألفونس - دونا لوكريزيا

دونا لوكريزيا : (قادمة في ثورة عارمة) سيدى . سيدى ! هذا أمر
مهمين أمر مخز ، أمر بشع . أتعلم ماذا صنع واحد من رعاياك
يا دون ألفونس ؟ لقد شوه اسم زوجك المنقوش تحت شعار أسرتى
على واجهة قصر ك . ولقد حدث ذلك علانية وفى وضع النهار .
أما عن الفاعل فمجهول لدى . لكن الحادث جد مهمين وجد جرى .
لقد جعل من اسمى لافته للخزى والعار ، وهذا شعبك يا سيدى ،
شعب فرار ، أخط شعوب إيطاليا ، يهمل هناك فى سخرية حول
شعارى ، كما يهمل حول وتد شد اليه أحد المذنبين . ألا يدور
بخلدك يا دون ألفونس أننى أتقزز من هذه الأوضاع وأننى أؤثر
الموت مرة واحدة بطعنة خنجر على موتى ألف مرة بلذعات سامة من
السخرية والقذف ؟ أننى أعامل فى امارتك يا سيدى معاملة
شاذة ، ولقد بدأت أضيق ذرعا بتلك الحال . وانى أراك تبدو
ساكنا ناعم البال بينما يمرغون فى أحوال مدينتك سمعة زوجك
بعد أن مزقتها أنياب القذف والبهتان . لابد من ترضية مدوية عما
جرى . وهذه ارادتى أخطر ك بها يا سيدى الدوق فتها للقصاص .
ألا ترى فيما يجرى أمورا جسيمة ذات بال ؟ أنظن مثلا ألا سنهلى من
جاء فى هذا الوجود ، وأن فى وسع زوجى أن يتخلى عن وصفه حامى

وفارسي ؟ كلا يا فولاي ، من له زوجة فعليه حمايتها ، ومن قدم يده فلا بد أن يقدم ساعده أيضا ، فالزوج هو العماد والسند . اننى

أصلى فى كل يوم امانات جديدة ولا أراك قط تحرك ساكنا .
أما تلطخك الأحوال التى يطمسوننى بها يا دون ألفونس ؟ هيا ،
أستحلفك بحياتى وأناشدك أن تحتد بعض الشيء . أود أن أراك
مرة فى العمر غاضبا من أجلى يا سيدى ! انك تصارحنى أحيانا
بكلفك بى ، فليكن كلفك بمجدى أيضا . أولست غيورا ؟ فلتكن
غيرتك على سمعتى . اذا كنت قد ضاعفت ببائنتى ما آل اليك من
مقاطعات ، واذا كنت بزواجى منك قد حملت اليك - ليس الوردة
الذهبية وبركة الأب المقدس فحسب - وانما حملت اليك أيضا
ما وسع ملكك فى الأرض . سمين وريمينى وسيزنيا وسبوليت
وبيومينيو ، وزودتك من المدائن بما يزيد على ما تقتنى من قصور
ومن الدوقيات بما يفوق ما لديك من بارونيات ، واذا كنت بذلك
قد جعلت منك أعظم أمراء ايطاليا شأنا فما ذلك بسبب يحدوك
يا سيدى الى أن تدع شعبك يسخر منى ويشهر بى ويسبى ، وأن
تدع امارتك قرار تشير بالبنان لأوروبا بأسرها الى زوجك كآقحر
وأوضع من خادمة حجاب سواس خيلك . أقول لك ما هذا بسبب
يجعل شعبك لا يملك أن يرانى بين ظهرائيه دون أن يهتف : آه ،
ها هى ذى المرأة الآئمة ولهذا فاننى أطلبك يا سيدى بتعقب جريمة
اليوم والقصاص لى بما يليق بمقامى والا شكوتك الى البابا ،
والا شكوتك الى أخى فالانتينوا ، وهو مرابط هناك فى مدينة
بورلى وبصحبتة خمسة عشر ألفا من المحاربين . والآن عليك أن تقدر
ما اذا كان الأمر يستحق منك عناء النهوض من مقعدك أم لا .

دون ألفونس : سيدتى ، اننى على علم بالجريمة التى تشكين منها .

دونا لوكرىزيا : كيف هذا يا سيدى ؟ أأكون على علم بالجريمة ولا يكتشف
الجانى ؟

دون ألفونس : واكتشف الجانى .

دونا لوكرىزيا : سبحان الله ! واذا ما اكتشف الجانى فكيف لا يقبض
عليه ؟

دون ألفونس : وألقى القبض عليه يا سيدتى .

دونا لوكريزيا : أما وقد ألقى القبض على الجانى ، فلماذا – وحقى لديك – لم يلق جزاءه بعد ؟

دون ألفونس : سىلقى جزاءه على الفور ، لكنى أردت قبل كل شيء أن استطلع رأيك فى شأن الجزاء .

دونا لوكريزيا : لقد أحسنت صنعا يا مولاي ، أين هو ؟

دون ألفونس : هنا .

دونا لوكريزيا : هنا ؟ حسنا ، ليكن مصيره عبرة لغيره ، لعائك تعلم يا سيدى أنها جريمة عيب فى الذات الأميرية ، وفى مثل هذه الجرائم لابد من قطع رأس المدبر ويد المنفذ . ويحى ! أهو هنا ؟ حسنا ، أريد أن أراه .

دون ألفونس : هذا أمر يسير . (مناديا) بوتبستا !

(يظهر الحاجب) .

دونا لوكريزيا : كلمة أخرى يا سيدى قبل أن يؤذن للمذنب بالدخول . اعطنى عهدا يا ألفونس – كأمر يحمل التاج على مفرقة – بأنه لن ينصرف من هنا حيا ؟ مهما كان شأنه وسواء أكان من رعييتك أو من آل بيتك .

دون ألفونس : لك منى هذا العهد . أوعيت ما أقول يا سيدتى ؟

دونا لوكريزيا : حسنا ، لقد وعيته بلا شك . جيئوا به الآن . أريد أن أحاوره بنفسى . رباه ! ماذا جنيت على أهل فرار حتى ألقى منهم مثل هذا الاضطهاد ؟

دون ألفونس : (مخاطبا الحاجب) أدخل السجن .

(ينفرج باب المؤخرة ويبدو جينارو منزوع السلاح بين حارسين من حملة الحراب . وفى ذات الآونة يرى روسيتجللو وهو يرتقى درج المتصورة الصغيرة القائمة على اليسار خلف الباب الخلفى ، حاملا فى يده صفحة عليها قنينة ذهبية وأخرى فضية وكأسان . يضع الصفحة على دعامة النافذة ، ثم يستل سيفه ويتوارى خلف الباب .

المشهد الثالث

نفس الأشخاص - جينارو

دونا لوكريزيا : (على حدة) جينارو !

دون ألفونس : (يدنو منها وعلى فمه ابتسامة ثم يهمس) أتعرفين هذا الرجل ؟

دونا لوكريزيا : (على حدة) رباه ، ما أعجبه من قدر !

(تتطلع الى جينارو فى قلق ثم تحول بصرها عنه) .

جينارو : سيدى الدوق . أنا ضابط صغير ، وانى أسألك بكل ما ينبغي لك من اجلال واحترام ، لقد أمرت بالقبض على فى مسكنى هذا الصباح فما مرادك منى ؟

دون ألفونس : أيها الضابط ، لقد قورفت صباح اليوم جريمة عيب فى الذات الأميرية ، فشوه أحدهم فى جرأة ووقاحة اسم زوجنا المحبوبة وابنة عمتنا لوكريس بورجيا ، وكان منقوشا على واجهة قصرنا الأميرى ونحن نفتش عن الجانى .

دونا لوكريزيا : ليس هذا هو الجانى ! هناك ثمة خطأ يا دون ألفونس .
انه ليس هذا الشاب .

دون ألفونس : وكيف علمت ؟

دونا لوكريزيا : أنا واثقة مما أقول . ان هذا الشاب من فينيسيا وليس من فرار ، ولذا ...

دون ألفونس : وما دلالة ذلك ؟

دونا لوكريزيا : لقد وقع الحادث هذا الصباح ، وأنا أعلم أنه كان فى تلك الأثناء لدى من تدعى فياميتا .

جينارو : كلا يا سيدتى .

دون ألفونس : ها قد تبين لسلموك كذب ما نمى الى علمك ، دعينى أسأله ... أيها الضابط ، هل أنت الذى ارتكبت هذا الجرم ؟

دونا لوكريزيا : (ذاهلة) اننى أختنق هنا ! هواء ! هواء ! انى بحاجة الى استنشاق بعض الهواء !

(تمضى الى النافذة ، واذا تمر بجوار جينارو تهمس اليه فى عجله)
قل أنك لست هذا الشخص !

دون الفونس : (على حدة) لقد همست اليه .

جينارو : دون ألفونس ، لقد لقننى صادة السمك فى كالابر ، أولئك الذين قاموا على تنشئتي وغمروني وأنا بعد طفل صغير فى ماء البحر ، حتى يخلقوا منى انسانا قويا وجسورا ، لقننى هؤلاء حكمة قد يغامر من يعمل بها بحياته ولكن ليس بشرفه ، افعل ما تقول وقل ما تفعل . يا دون ألفونس ، أنا من تبحث عنه .

دون الفونس : (ملتفتا الى دونا لوكريزيا) سيدتى ، لك عهدى الذى قطعتك لك كأمر يحمل التاج عى مفرقه .

دونا لوكريزيا : سيدى ، لى كلمتان أود أن أقولهما لك على انفراد .
(يومئ الأمير الى الحاجب والحارسين بالانصراف برفقة السجين الى قاعة مجاورة) .

المشهد الرابع

دونا لوكريزيا - دون الفونس

دون الفونس : ماذا تريدن أن تقولى يا سيدتى ؟

دونا لوكريزيا : أريد أن أقول لك يا دون ألفونس أنتى لا أروم موت هذا الشاب .

دون الفونس : منذ لحظات فقط ، أقبلت على كالعاصفة الهوجاء ، نائرة باكية ، وشكوت لى مما لحق بك من مهانة ، وطالبت بين الصياح والسباب برأس الجانى ، وسألتنى عهد الأمراء ألا ينصرف من لدنى حيا ، فقطعت لك هذا العهد بأمانة وصدق ، والآن لا تودين موته .
قسما بالمسيح يا سيدتى ان هذا لأمر عجاب !

دونا لوكريزيا : لا أريد أن يموت هذا الشاب يا سيدى الدوق !

دون الفونس : سيدتى ، ليس من شيمة النبلاء ذوى الحسب العريق مثلى أن يجعلوا عهودهم رهنا بأى شىء ، لقد أعطيت كلمتى ولن أسحبها .

لقد أقسمت بشرفي لأميتهن هذا المذنب فهو ميت لا محالة ، ولك أن تختارى وسيلة موته .

دونا لوكريزيا : (في لهجة مرحلة تفيض عذوبة) على رسلك يا دون ألفونس ، ان ما يدعو اليه كلانا هو فى الحق ضرب من الجنون . أشهد أننى امرأة حمقاء . لقد دللتى والداى ، وكان الناس منذ نعومة اطفارى يستجيبون لكل نزواتى ، فماذا تنتظر منى ؟ اللهم الا أن لا أرغب الآن فيما كنت أرغب فيه من ربع ساعة ، ولعلك تعلم حق العلم يا دون ألفونس أن هذا هو شأنى دائما . هبا ، تعال اجلس هنا بجوارى ودعنا نتحدث قليلا فى حنان وصدق كآليفين ، بل كصديقين حميمين .

دون ألفونس : (مصطنعا اللطف من جانبه) أنت سيدتى ومولاتى يا دونا لوكريزيا ، واننى لجد سعيد اذ يطيب لك وجودى لحظة تحت قدميك . (يجلس بالقرب منها) .

دونا لوكريزيا : ما أحلى الوفاق والوئام . أو تعلم أننى لازلت أحبك كما أحببتك فى أول يوم من زواجنا ؟ ذلك اليوم الذى شهد دخولك الرائع الى روما بين أخى السيد فالنتينو وأخيك السيد الكاردينال ديست . كنت فى شرفة الكنيسة المدرجة ومازلت أذكر جوادك الأبيض الجميل المطهم بالذهب ، وطلعتك البهية كملك يعتلى صهوته !

دون ألفونس : وكنت بدورك يا سيدتى رائعة الحسن باهرة السنى وأنت جالسة فى مقصورتك التى صنعت من الدمقس المحلى بالفضة .

دونا لوكريزيا : آه ، لا تتحدث عنى يا مولاي حين أحدثك عن نفسك ، لامراء فى أن سائر أميرات أوروبا قد حسدتنى على اقترانى بخير فوارس المسيحية ، أما عن نفسى فأننى أخلص لك الحب كما لو كنت فى ربيعى الثامن عشر ، أنت تعلم أننى أحبك ، ولا أخالك فى ريب مما أقول . اليس كذلك يا ألفونس ؟ اننى أبدو أحيانا جافبه بل وشاردة أيضا ، وهذا مرده الى خلقى وليس الى قلبى . اصغ الى يا ألفونس ، لو انك نهرتنى على ذلك برفق لانصلح حالى على الفور . ما أجمل حبنا ! هات يدك ، قبلنى يا دون ألفونس ! ان ما أفكر فيه الآن فى الواقع ، وما أراه مضحكا للغاية ، هو أن أميرين مثلنا ، يتربعان جنبا الى جنب على أجمل عروش الدنيا ، أميرين تؤلف بين

قلوبهما أواصر الحب كادا يعتركان من أجل ضابط فينيسي صغير
ومغامر مسكين ! يجدر بنا أن نطرد هذا الرجل وأن نكف الحديث
عنه . لينذهب هذا المستهتر حيث يشاء . أليس كذلك يا دون ألفونس ؟
ان الأسد وأنشاه لا يتغاضبان على بعوضة . أتعلم يا مولاي ، لو منح
تاج الامارة فى مسابقة لأجمل فرسان دوقيتك فرار لما ظفر به
أحد سواك . انتظرنى حتى أذهب فأطلب باسمك الى بوتستا أن
يطرد المدعو جينارو من فرار بأسرع ما يمكن .

دون ألفونس : ما من شئ يدعو الى العجلة !

دونا لوكريزيا : (سادية الفرح) أود ألا أشغل الفكر بعد الآن فى هذا
الشأن . دعنى يا سيدى أنهى هذا الموضوع وفق رغبتى .

دون الفونس : بل يجب انهاؤه وفق رغبتى أنا .

دونا لوكريزيا : ولكن على أية حال ياعزيزى الفونس ، مامن مبرر يدعوك
الى طلب الموت لهذا الرجل .

دون الفونس : وعهدى الذى قطعه لك ؟ ان لقسم الملوك قداسة .

دونا لوكريزيا : هذا كلام قد يجوز على الشعب ، أما أن توجهه الى
يا ألفونس ، فهذا مالا ينطلى على أحد منا . قلقد عاهد الأب المقدس
شارل الثامن ملك فرنسا على الأبقاء على حياة زيزيمى وقداسته
هو الذى أجهز عليه ، ثم تعهد السيد دى فالنتينوا بتسليم نفسه
رهينة الى شارل الثامن ذاته غير أنه فر هاربا من المعسكر الفرنسى
حين استطاع الى ذلك سبيلا . وأنت نفسك تعهدت ببرد مقاطعة
سين الى آل بتروتشى ولكنك لم تفعل ، وما كان لك أن تفعل .
ان تاريخ الدول حافل بهذه المواقف ، ولن تعيش الدول أو الملوك
يوما واحدا ان هى انجزت عهودها العقيمة . ولا أخفى عليك
يا ألفونس أن القسم لا يعد ملزما الا حين لامناص من البربه .

دون الفونس : ومع ذلك فالقسم يادونا لوكريزيا ...

دونا لوكريزيا : لاتدل الى بمثل هذه المبررات البغيضة ، فلست بالمرأة
الغبية ، وأولى بك أن تصارحنى ياعزيزى الفونس ، ان كان هناك
ما يثير حفيظتك على جينارو . كلا ؟ حسنا ، هب لى حياته بعد اذ
وهبت لى راضيا بماته . ماذا يضريك ان كان يروق لى الصفيح
عنه ؟ أنا التى أهينت .

- **دون الفونس :** ولهذا السبب عينه - وهو اهانتة لك - لا أريد يا حبيبتي العفو عنه !

- **دونا لوكريزيا :** ان كنت صادقاً في حبك لى يا ألفونس فلن يطول رفضك لما طلبت . قد يلذ لى أن أبذل من جانبي سعى ينطوى على الرحمة ، وتلك وسيلة تكسبني محبة شعبك وهذا ما أصبو اليه ، الرحمة يا الفونس وما أدراك ما الرحمة ! ، انها تجعل الملوك أقرب ما يكون شبيهاً بعيسى المسيح . فلنكن ملوكاً رحماً . ان فى إيطاليا التعسة ما يكفيها من الطغاة - ناهيك بنا - من البارون نائب البابا الى البابا نائب الله . لنضع لهذا الأمر خاتمة يا عزيزى الفونس اطلق سراح جنياروا ! لك أن تحسبها ان شئت نزوة ، لكنها نزوة لها قداستها وجلالها حين تتمخض عن انقاذ رأس انسان .

- **دون الفونس :** لا أستطيع يا عزيزتى لوكريس .

- **دونا لوكريزيا :** لا تستطيع ؟ ولماذا لا تستطيع أن تهبنى شيئاً لا وزن له وهو حياة هذا الضابط ؟

- **دون الفونس :** تسأليننى لماذا يا حبيبتي ؟

- **دونا لوكريزيا :** نعم . لماذا ؟

- **دون الفونس :** لأن هذا الضابط هو عشيقك يا سيدتى !

- **دونا لوكريزيا :** يا للسماء !

- **دون الفونس :** لأنك ذهبت تبحثين عنه فى فينيسيا ، وقد تذهبين للبحث عنه فى جهنم ! ولأننى تعقبتك بينما كنت تتعقبينه فرأيتك تطاردينه وأنت متنكرة لاهته كما الذئبة تطارد فريستها ! ولأنك كنت تطوقينه منذ هنيهة بنظرة تفيض بالدمع والأسى . ولاشك عندى فى أنك فرطت له فى عرضك يا سيدتى ! ولما كان فى مثل هذا العار والفجور الكفاية ، فقد آن الأوان لكى أثار لشرفى وأجرى حول مضجعى بركة من الدم . أوعيت ما أقول ياسيدتى ؟

- **دونا لوكريزيا :** دون الفونس ...

- **دون الفونس :** اصمتى . لك أن تسهرى من الساعة على حياة عشاقك يالوكريس ، ولك أن تقيمى على باب الدخول الى مخدعك من يرووك من الحجاب ، أما باب الخروج منه فسوف يقوم عليه من الآن حارس توليت بنفسى اختياره ، ألا وهو الجلاد .

دونا لوكريزيا : مولاي . أقسم لك ...

دون الفونس : لاتقسمي فان ايمانك ان جازت فعلى الشعب وحدة ، ولاتدلى الى بمثل هذه المبررات البغيضة .

دونا لوكريزيا : لو كنت تعلم ...

دون الفونس : أنصتى الى يا سيدتى . اننى أمقت آل بورجيا جميعا - وهم اسرتك اللعينة - وفى مقدمتهم أنت ، أنت التى أحببت بجنون! لابد لى أخيرا من مصارحتك ، لقد كان حدثا مشينا وعجيبا لم يسمع به من قبل أن تتحالف فى شخصينا أسرة است - من سمث قدرا على أسرتى فالوا وتيودور - مع أسرة بورجيا وهى التى لا تحصل حتى هذا اللقب ، بل ننتسب الى لينزولى أولينزوليو ولايعرف أيهما الأصح ! ألا أننى أبغض أخاك سيزار ، من تلتطخ وجهه بوصمات طبيعية من الدماء وهو قاتل أخيك جان . واننى لأبغض أمك روزافانوزا ، تلك الغانية الاسبانية العجوز التى دنست شرف روما بعدما دنست شرف فالانس ! أما عن ابنى أخيك الزائعين دوقى سرمونيتو ونيبى فيالهما والله من دوقين ! خلقتهما دوقيتان سلييتان ! دعينى أكمل حديثى . اننى أبغض أباك الذى يتربع على كرسى البابوية ويقتنى سربا من الجوارى أسوة بباجازيه سلطان الترك . اننى أمقت أباك الزنديق ، من أتخم السجن بعلية القوم والمجمع المقدس باللصوص ، حتى ليتساءل من يراهم بهم جميعا فى أرديتهم الحمراء - مجرمين وكرادلة - من منهم المجرمون ومن منهم الكرادلة ! والآن لك أن تنصرفى !

دونا لوكريزيا : مولاي ... اننى أضرع اليك ، وأنا معقودة اليدين جاثية تحت قدميك ، وأستحلفك بالمسيح ومريم البتول أن تبقى على حياة هذا الضابط .

دون الفونس : هذا هو الحب بعينه ! فى وسعك ياسيدتى أن تصنعى بجثته ما يحلو لك ! لقد اقتضت مشيئتى أن يتم الخلاص منه قبل أن يمضى من الزمن ساعة !

دونا لوكريزيا : رحمة بجينارو !

دون الفونس : لو أنك استطعت أن تقرئى آيات العزم الكامن فى نفسى لما أطلت خديتك عنه وقد مات وانتهى .

دونا لوكريزيا : (ناهضة من مقعدها) حذار يا دون الفونس . حذاريا
دوق فرار يا رابع أزواجى !

دون الفونس : لا تتظاهرى بارهابى ياسيدتى ، فأنا والله لا أخافك !
انى عليم بأساليبك ، ومن ثم فلن أجرع السم كما تجرعه زوجك
الأول ، هذا النبيل الاسبانى المسكين الذى لا أعرف له اسما ولا أنت
أيضا ، ولن أتعرض للطرد كما تعرض زوجك الثانى ، هذا الغبى
« جان سفوزا » أمير بيزارو ، ولن يكون مصرعى بطعنات الحراب
على درج السلم كما حدث لزوجك الثالث دون الفونس أمير أراجون ،
هذا الفتى الهزيل الذى لم تخصب دماء الأرض كأنما كانت ماء
قراحا ! على رسلك يا سيدتى ، فأنا رجل بمعنى الكلمة ، يشيع
اسم هرقل بين أسرتى . وقسما بالسماء ، لدى من الجند
بقدر ما تسع مدينتى وامارتى وأنا نفسى واحد منهم ، هذا الى أننى
لم أبع بعد - كما فعل من قبل ملك نابولى المسكين - مدفعيتى
العظيمة للبابا أبليك المقدس !

دونا لوكريزيا : سوف تندم على هذا القول ياسيدى . لعلك نسيت
من أنا ...

دون الفونس : انى أعلم حق العلم من أنت ، ولكنى أعلم كذلك أين أنت .
أنت ابنة البابا ولكنك لست فى روما ، وأنت حاكمة سبولى
ولكنك لست فى سبولى . انما أنت زوج الفونس دوق فرار
وخادمته ، وأنت هنا فى فرار !

(تتطلع دونا لوكريزيا الى الدوق وهى شاحبة الوجه من
فرط الفزع والغضب ، وتتقهقر فى بطاء أمامه حتى تصل الى المقعد ،
فتتهالك عليه متداعية واهنة) آه ، لعلك تدهشين يا سيدتى
اذ أمسيت تخافيننى وأنا الذى كنت حتى الساعة أخافك . سأعمل
على دوام تلك الحال ولقد بدأت الصراع ، وهذا أول عاشق يقع فى
قبضة يدى ، وسوف يموت .

دونا لوكريزيا : (فى صوت حائر) دعنا نحكم العقل قليلا يادون الفونس
ان كان هذا الرجل هو الذى عاب فى ذاتى ، فليس من المعقول
ان يكون فى الوقت عينه عشيقى .

دون الفونس : ولم لا ؟ ربما فعل ما فعل فى ثورة غضب أو غيظ أو
غيره ! قد يكون هو الآخر غيورا من أدرانى ؟ أريد أن يموت هذا

الرجل وتلك هي رغبتى ! ان القصر زاخر بالجنود المخلصين
الذين لا يعرفون مولى سوى ، ومن ثم لن يستطيع الهرب ، ولن
تستطيعى الوقوف فى سبيلى ياسيدتى ، ولقد تركت لسموك حرية
اختيار وسيلة قتله فاتخذى قرارك ..

دونا أوكريزيا : (معقودة اليدين) رباه رباه ! رباه !

دون الفونس : ألا تجيبين ؟ سأمر بقتله بطعنة سيف فى الغرفة المجاورة
(يهم بالخروج فتمسك بذراعه)

دونا لوكريزيا : مكانك !

دون الفونس : أتفضلين ان تصبى له بنفسك قدحا من نبيد سيراكيوز ؟

دونا لوكريزيا : جيناروا !

دون الفونس : لابد من موته .

دونا لوكريزيا : ليس بطعنة سيف !

دون الفونس : لا تهمنى الوسيلة كثيرا .

دونا لوكريزيا : لتكن الوسيلة الأخرى !

دون الفونس : اذن فاحرصى على الا تخطئى ، وان تصبى له بنفسك

من القنينة الذهبية التى تعرفينها . سأباشر العملية بنفسى على
أية حال ، فلا تتوهمى اننى تاركك وحدك .

دونا لوكريزيا : سأفعل ما تشاء .

دون الفونس : بوتيسا !

(يظهر حارس الباب) أدخل السجين

دونا لوكريزيا : ما أظفلك من رجل يا سيدى !

المشهد الخامس

نفس الأشخاص - جينارو - الحراس

دون الفونس : ما هذا الذى أسمع يا جينارو ؟ ماذا صنعت هذا الصباح
لملك أقدمت على فعلتك هذه عن تحد وطيش وليس عن سوء
قصد ، مما حمل سيدتى الأميرة على العفو عنك ، هذا الى اننى

ألمس فيك شجاعة وبسالة ، وإذا كان ذلك كذلك ، فقسما بأمي
في مقدورك أن تعود سالما الى فينيسيا ، فلا يرضى الله أن أحرّم
جمهورية فينيسيا العظيمة من خادم وفي ، أو أحرّم المسيحية من
ساعد أمين يحمل السيف مخلصا في خدمتها ، بينما الوثنيون
وأعراب المغرب يدنون من شواطئ جزيرتي قبرص وكريت !

جينارو : نعم الرأي يا مولاي . واني مصارحك بأنني ما كنت أتوقع
هذه الخاتمة ، فشكرا لك يا صاحب السمو . ان الرحمة شيمة
الملوك . والله يرحم في السماء من رحم الناس على الأرض .

دون ألفونس : أترى خدمة الجمهورية مجزية أيها الضابط ؟ وكم تدر
عليك في سنى اليسر والعسر ؟

جينارو : اني أتولى أمر جماعة من خمسين فارسا يا مولاي ، أقوم
بالانفاق عليهم وكسائهم ، وتنقذني جمهوريتنا الموقرة ألفى دينار
من الذهب في العام ، فضلا عن الغنائم والأسلاب .

دون ألفونس : وإذا منحتك أربعة آلاف ، فهل تقبل الدخول في خدمتي ؟
جينارو : لا أستطيع يا مولاي ، فلا تزال أمامي خدمة الجمهورية خمسة
أعوام . وقد ارتبطت .

دون ألفونس : ارتبطت ! وكيف ؟

جينارو : بقسمي .

دون ألفونس : (بصوت خفيض الى دونا لوكريزيا) يبدو أن هؤلاء
القوم يبرون بالقسم يا سيدتي (بصوت مرتفع) لنترك الحديث
في هذا الموضوع يا سيد جينارو .

جينارو : مولاي . ما أقدمت على مجبنة في يوم من الأيام بغية الظفر
بالنجاة ، ولكن بما أنك أبقيت على حياتي ، فلا بأس من أن أذكر
لك الآن هذه الواقعة . لعلك تتذكر حصار فاينزا منذ عامين ،
حيث تعرض للردى والدك - سمو الدوق هرقل ديست - بيد
اثنين من الرماة من آل فالنتينوا ، وكانا يقصدان الى قتله ، فأنقذ
حياته جندي مغامر .

دون ألفونس : نعم . وما استطاع أحد الاهتداء الى هذا الجندي .

جينارو : أنا ذلك الجندي يا مولاي .

دون ألفونس : يالله ! أقسم أنها لمأثرة جديرة بحسن الجزاء أيها
الضابط ، ألا قبلت مني هذا الكيس من النقود الذهبية ؟

جينارو : اننا نقسم حين نلتحق بخدمة الجمهورية على ألا نقبل مالا من أمير أجنبي ، ولكن اذا أذنت لي يا مولاي أخذت الكيس ووزعت ما فيه باسمي على هؤلاء الجنود البواسل • (مشيرا الى الحراس) •
دون الفونس : لك ما تريد • (يتناول جينارو الكيس) ولكن على شرط أن تحتسى معي بعد اذا أصبحنا صديقين حميمين كأسا من نبيذ سيراكيوز ، وفقا لتقليد قديم سار عليه آبائي وأجدادي •

جينارو : بكل سرور يا مولاي •

دون الفونس : ولكي أحتفى بك كما ينبغي لمن أنقذ حياة أبي ، فقد اقتضت ارادتي أن تملأ لك الكأس سيدتي الدوقة بنفسها (ينحني جينارو في احترام ، ثم يمضي الى مؤخرة المسرح ليوزع المال على الجنود • ينادي الدوق) روستيجللو !
(يظهر روستيجللو حاملا الصفحة)

ضع الصفحة هناك ، على تلك المنضدة - حسنا •

(يجذب دونا لوكريزيا من يدها) سيدتي ، أنصتي لما أقول لهذا الرجل - روستيجللو ، عد الى مكمنك خلف الباب ، واستل سيفك ، فاذا سمعت رنين هذا الجرس فادخل • انصرف •
(ينصرف روستيجللو ، ويرى وقد اتخذ مكانه خلف الباب) ، سيدتي ، هيا ؛ صبي بنفسك كأسا لهذا الشاب ، وعليك أن تصبي له مما في القنينة الذهبية •

دونا لوكريزيا : (شاحبة الوجه في صوت خافت) ليت شعري ! لو كنت تعلم ماذا تصنع الآن ، ، ومدى بشاعة ما تصنع ، لارتعدت فرائصك من هوله مهما كنت فظا غليظ القلب يا مولاي !

دون الفونس : عليك أن تتحققى من القنينة - حسنا ، أيها الضابط !

(يعود جينارو أدراجه الى مقدمة المسرح بعد فراغه من توزيع المال - يصب الدوق لنفسه في احدى الكأسين المصنوعين من الميناء مما في القنينة الفضية ثم يتناول الكأس ويرفعها الى شفثيه)

جينارو : اننى جد ممنون من عطفك السابغ يا مولاي •

دون الفونس : سيدتي ، املئى كأسا للسيد جينارو ، كم تبلغ من العمر أيها الضابط ؟

جينارو : (يتناول الكأس الأخرى ويقدمها الى الدوقة) عشرون عاما •

دون الفونس : (بصوت خافت الى الدوقة وهي تحاول أن تأخذ القنينة الفضية) خذى القنينة الذهبية يا سيدتى .
(تتناول القنينة الذهبية بيد مرتجفة)
أهكذا ؟ لابد أنك تحب !

جينارو : ومن منا لم تصبه سهام الحب ؟

دون الفونس : أرايت يا سيدتى ؟ لعلها كانت قسوة منا أن نحرم هذا الضابط من الحياة والحب وشمس إيطاليا ونضارة العمر فى سن العشرين ، ومن حرفته المجيدة كمحارب ومغامر ، تلك الحرفة التى بدأت بها سائر البيوتات الملكية ، ثم من الأعياد والحفلات التنكرية ومغاني فينيسيا المرحه وهي مسرح خديعة الكثيرين من الأزواج والغيد الحسان . وربما أوقعن فى حبائل جهنم هذا الشاب ، ولا مناص من وقوعهن فى شرك حبه . أليس كذلك يا سيدتى ؟ املئى للضابط كأسا . (فى صوت خفيض) ان ترددت أمرت بدخول روستيجللو .

(تصب الكأس لجينارو دون أن تنبس ببنت شفة)

جينارو : شكرا لك يا مولاي اذ أبقيت على حياتى من أجل أمى التعسة .
دونا لوكريزيا : (على حدة) يا للهول ؟

دون الفونس : (وهو يشرب) فى صحتك أيها الضابط . ولتعش سنين عديدة .

جينارو : وانى أسأل لك الله المثل يا مولاي . (يشرب)

دونا لوكريزيا : (على حدة) يا للسماء !

دون الفونس : (على حدة) قضى الأمر !

(فى صوت مرتفع) والآن أتركك يا عزيزى الضابط ، ولك أن تعود الى فينيسيا حين تشاء .

(فى صوت خافت الى دونا لوكريزيا) لعلك تشكريننى ياسيدتى اذ هيأت لك فرصة الانفراد به . لا مراة فى أنك ترومين وداعه .
عيشى معه - ان شئت - آخر لحظات حياته .

(ينصرف والحراس فى اثره)

المشهد السادس

دونا لوكريزيا - جينارو

(لا يزال روستيجللو قابعا فى المقصورة وراء الباب الخلفى)

دونا لوكريزيا : جينارو ! انك مسموم !

جينارو : مسموم يا سيدتى !

دونا لوكريزيا : أجل مسموم .

جينارو : كان على أن أرتاب فى الأمر وقد صبيت لى النبيذ بيدك .

دونا لوكريزيا : أواه ! لا تثر أحزاني يا جينارو ، ولا تسلبنى بقية من جلد مازلت فى حاجة اليه لبضع لحظات . اصغ الى ، ان الدوق يفار منك ، ويظن أنك عشيقى ، وهو لم يدع لى من خيار آخر الا أن أراك مطعونا بخنجر بيد روستيجللو أو أن أسكب لك السم الزعاف بيدى ، انه سم مخيف يا جينارو ، يشحب لمجرد التفكير فى أذاه وجه كل ايطالى يعى تاريخ السنوات العشرين الأخيرة .

جينارو : نعم ، سم آل بورجيا .

دونا لوكريزيا : لقد تجرعتة . وما من أحد فى العالم يعرف ترياقا لهذا المزيج العجيب سوى البابا والسيد دى فالتينوا وأنا . أنظر ، أرايت هذه القنينة التى أطمها دائما خبيثة فى حزامى ؟ هذه القنينة يا جينارو وهى الحياة ، هى العافية ، هى النجاة والسلامة . قطرة واحدة منها على شفتيك فيها نجاتك !

(تريد أن تقرب القنينة من شفتى جينارو فيتراجع)

جينارو : (محملا فى وجهها) من أدرانى يا سيدتى ؟ فقد يكون مافيه هو السم بعينه ؟

دونا لوكريزيا : (تتهاك بلا وعى على مقعدها) يا الهى ، يا الهى !

جينارو : أو لست لوكريس بورجيا ؟ أتظنين اننى لا أذكر قصة شقيق باجازيه ؟ نعم اننى أعى قسطا من التاريخ . لقد أدخلو فى روعه هو الآخر أن شارل السابع قد دس له السم ، ثم أسقى ترياقا كان فيه مماته . أما اليد التى قدمت اليه الترياق فهى اليد التى تحمل الى هذه القنينة ، وأما اللسان الذى دعا الى تجرعه فهو الذى يحدثنى !

دونا لوكريزيا : يا لى من امرأة شقية !

جينارو : أصغى الى ياسيدتى • اننى لا أغتر بمظاهر حبك • ما من شك فى أنك تنوين بى شرا مستطيرا ، فهذا مالا يحتاج الى بيان ، ولامراء فى أنك تعلمين حقيقة أمرى ، وانى لأقرأ على وجهك الساعة أنك على بينة منه ، ومن اليسير على أن أدرك أن ثمة دافع لا يقهر قد منعك من مصارحتى بتلك الحقيقة • لابد أن أسرتك على معرفة بأسرتى وربما لا تقصدين من محاولة قتلى الآن بالسسم الانتقام منى ، بل الانتقام من أمى ، من يدري ؟

دونا لوكريزيا : أمك يا جينارو ! لعلك تراها على غير حقيقتها • ما قولك ان هى لم تكن سوى امرأة باغية على شاكلتى ؟

جينارو : لا تفترى عليها • كلا ، فليست أمى بامرأة على شاكلتك أيتها السيدة لوكريزيا ! ويحى ! اننى لأشعر بها فى فؤادى وأتمثلها فى خاطرى على حقيقتها • اننى أحمل صورتها منذ خرجت الى الدنيا ، وما كنت لأحبها بهذا القدر لو لم تكن جديرة بى • ان قلب الأبى لا يخطئ الحكم على شخص أمه ، ولو كان لدى أدنى شك فى أنها تشبهك لكرهتها • كلا ، ان ثمة هاتف فى أعماقى يهتف بأن أمى ليست من أبالسة الزنى بذوى القربى أو قتل الناس بالسسم كأمثالك من حسان العصر – رباه ! اننى أو من بهذا كل الايمان ، فلئن كانت تحت القبة الزرقاء ثمة امرأة بريئة ، امرأة فاضلة ، امرأة تقية فهى أمى ! انها لكذلك ولاشئ غير ذلك • انك تعرفينها بلا شك أيتها السيدة لوكريزيا ، ولن تكذبيننى فيما أقول أبدا !

دونا لوكريزيا : كلا ، اننى لا أعرف هذه المرأة أو هذه الأم يا جينارو •

جينارو : ولكن ، ليت شعرى ! الى من أسوق مثل هذا الحديث ؟ وماذا يعنى من أفراح الأمومة وأتراحها ؟ انك – على ما يقال – لم تنجبى ولعلك بهذا سعيدة قريرة العين ، فلو كان لك أبناء لما كان لهم الا أن يبرءوا منك وينكروك ياسيدتى • فما من شقى نبذته السماء يرغب فى مثل هذه الأم أو يتمنى أن يكون ابن لوكريس بورجيا ، وأن يناديها بقوله : يا أمى ! أو اه !

دونا لوكريزيا : على رسلك يا جينارو ! انك مسموم ، وقد يعود الدوق – وهو يحسبك ميتا – بين آونة وأخرى • ما كان على الا أن أفكر فى

نجاتك ، وأن أهبيء لك سبيل الهرب ، لكنك تردد أمامي عبارات -
بالغة الفظاعة ، فلا أملك لدى سماعها إلا أن أجمد في مكاني
مشدوهة مذعورة .

جينارو : سيدتي ...

**دونا لوكريزيا : كفى ، لابد أن نضع لهذا الموقف حدا . لك أن تغلظ لي
القول وأن تسمقني تحت وطأة زرايتك ، ولكن لاتنسى أنك مسموم ،
وعليك أن تتجرع هذا الترياق فوراً .**

**جينارو : ترى من أصدق ياسيدتي ؟ لامراء في أن الدوق يضمّر لي الوفاء
لأنني أنقذت أباه ، أما أنت فقد أهنتك ، وفي ذلك ما يدعوك الى
الانتقام مني .**

**دونا لوكريزيا : أترى أنني أنتقم منك يا جينارو ؟ ألا انني أبذل حياتي
بأسرها لأطيل من حياتك ساعة ، وانني لأريق كل دمي حتى لاتذرف
من عينك دمعة ، وأقتعد الأشواك كيما أجلسك على عرش ، وأرضي
بعذاب السعير فداء لأوهي مسراتك ، دون ثمة تردد أو تدمر ؛
سعيدة ناعمة البال بتفجيل قدميك يا عزيزي جينارو ! أواه ؟
لن تعرف شيئاً عن فؤادي الكسير سوى أنك تملأ شغافه ! أي
جينارو ، ان الدقائق تمضي والسم يسرى في عروقك ، وعمّا قليل
ستحس به وبعدها يحم قضاؤك . ان الحياة تفتح أمامك في هذه
الآونة سيبلين مظلّمين ، بيد أن سلوك أحدهما يستغرق منك
دقائق تقل عدداً عما يستغرقه سلوك الآخر من سنين ، ومن ثم
يتعين عليك أن تقرر أي السبلين تسلك . الاختيار رهيب ، فدع لي
أمر توجيهك رحمة بي وبنفسك يا جينارو . اشرب بسرعة
ناشدتك الله .**

**جينارو : ليس في ذلك من بأس . واذا كان في الأمر ثمة جريمة فوزرها
واقع على أم رأسك . ومهما يكن من أمر ، وسواء كنت صادقة
فيما ذكرت أم كاذبة ، فان حياتي لا تساوي عناء هذا الجدل
الطويل . هات .**

(يتناول القنينة ويشرب)

**دونا لوكريزيا : لقد نجوت ! والآن عليك أن تنطلق الى فينيسيا
بكل ما أوتي جوادك من سرعة .**

أمعك نقود ؟

جينارو : أجل ، معى .

دونا لوكريزيا : ان الدوق يحسبك فى عداد الموتى ، ولذا سيكون من اليسير اخفاء فرارك . انتظر ! احتفظ بهذه القنينة وأحملها دائما معك ، ففى مثل هذه الأيام التى نعيشها الآن ينبغى أن نتوقع السم فى كل وجبة ، ولاسيما أنت ، فأنت عرضة لهذه الميتة ، والآن اذهب بسرعة .

(تقوده الى الباب وتفتحه الى منتصفه)

اهبط على هذا السلم ، وهو يؤدى بك الى أحد أفنية قصر نيجرونى ومن هناك سيسهل عليك الفرار لانتظر حتى صباح الغد ، لا تنتظر حتى غروب الشمس ، لا تنتظر ساعة أخرى ، بل لا تنتظر نصف الساعة ! ارحل من فرار على الفور ، ارحل عن فرار كما لو كانت سودوم تحترق ، وإياك أن تنظر خلفك ! وداعا ! انتظر لحظة أخرى . عندى كلمة أخيرة أود أن أقولها لك يا عزيزى جينارو !

جينارو : تحدثنى يا سيدتى .

دونا لوكريزيا : دعنى أودعك الآن يا جينارو على ألا أراك اطلاقا بعد اليوم . فلا ينبغى أن أفكر قط فى مصادفتك يوما فى طريقى . لقد كان لقائى بك هو سعادتى الوحيدة فى هذا العالم الا أنه يعرضك للموت . ها نحن أولاء - ويا للأسف - نفترق فى الحياة الدنيا الى الأبد ، وانى لواقعة كل الثقة بأننا لن نلتقى فى الآخرة أيضا . أى جينارو ألا من كلمة طيبة أسمعها منك قبل أن تفارقنى الى الأبد ؟

جينارو : (غاض البصر) سيدتى ...

دونا لوكريزيا : لقد أنقذت حياتك على كل حال !

جينارو : انك تزعمين ذلك ، ألا أن كل ماذكرت حافل بالشك والغموض ، مما يجعلنى فى حيرة من أمرى . اسمعى ياسيدتى ، فى وسعنى أن أغفر لك كل شئ ، ما خلا أمرا واحدا .

دونا لوكريزيا : وما هو ؟

جينارو : اقسمى أمامى بكل ما هو عزيز لديك ، اقسمى برأسى بما أنك
تحبيننى ، اقسمى بخلاص نفسى الى الأبد ، أن آثامك لا دخل لها
فيما حاق بامى من تعس وبلاء •

دونا لوكريزيا : لقد آليت على نفسى أن أصدقك القول يا جينارو ، ومن ثم
لا أستطيع أن أقسم لك على ذلك •

جينارو : أماء ! ها هى ذى المرأة الرهيبة التى نسجت خيوط شقائك !
دونا لوكريزيا : جينارو !

جينارو : لقد اعترفت بلسانك يا سيدتى • وداعا ! عليك لعنات الله •

دونا لوكريزيا : وعليك بركاته يا جينارو !

(ينصرف جينارو ، وتخر دونا لوكريزيا على المقعد مغشيا عليها)

القسم الثانى

ساحة مدينة فراز • يرى قصر الامارة فى طرف وبيت
جيناو فى الطرف الآخر وقد جن الليل •

المشهد الأول

دون الفونس وروستيجللو متشحان بالمعاطف

روستيجللو : نعم يامولاي • هذا ما حدث • لقد بعثت فيه الحياة بشراب
لا أعرف كنهه ثم هيات له سبيل الهرب عبر فناء قصر نيجرونى •

دون الفونس : وسمحت بهذا ؟

روستيجللو : وكيف لى أن أحول دونه ؟ لقد أوصد الباب بالمزلاج ومن ثم
صرت حبيسا •

دون الفونس : كان عليك أن تحطم الباب •

روستيجللو : أحطم بابا من خشب البلوط ومزلاجا من الحديد ؟ ما يسره
من أمر :

دون الفونس : لا شأن لى بهذا كله ! كان عليك أن تحطم المزلاج ثم تدخل
فتقتله •

روستيجللو : أولا ، لو أننى استطعت أن أقتحم الباب لكان من المرجح
أن تحميه سيدتى كولريزيا بجسدها ، وعند ذاك أجدنى مضطرا الى
قتلها هى الأخرى !

دون ألفونس : حسنا ! وماذا ؟

روسيثجللو : لم أتلق منك أمرا بقتلها .

دون ألفونس : ان الخادم اللماح - ياروسيتجللو - هو الذى يدرك ما ينشده أميره دون أن يكبده عناء البيان .

روسيثجللو : هذا الى أننى خشيت أن أزج بك يامولاي فى صراع مع البابا .
دون ألفونس : يالك من غبى !

روسيثجللو : كان من الحرج بمكان أن أقتل ابنة الأب المقدس .
دون ألفونس : حسنا . أما كان فى مقدورك - دون لجوء الى قتلها - أن تصيح وتنادى وتخطرني ، وبهذا تحول بين العشيق وبين الهرب؟

روسيثجللو : نعم . وفى الغد تتصالح يامولاي مع سيدتى لوكريزيا ، وبعد غد تأمر السيدة لوكريزيا بدق عنقى .

دون ألفونس : كفى . لقد ذكرت لى أننا لم نخسر الجولة بعد .

روسيثجللو : نعم . لعلك ترى ضوءا يتسرب من هذه النافذة ، وعليه فان جينارو لم يرحل بعد . ان تابعه الذى كسبته الأميرة الى صفها بالأمس قد اشترىته اليوم وصارحنى بكل شيء . انه الآن فى انتظار سيدة خلف القلعة ومعه جوادان مجهزان ، وسوف ينصرف جينارو عما قليل فيلحق به .

دون ألفونس : ان كان الأمر كذلك ، فهيا بنا نتوارى خلف زاوية بيته .
فاذا مر قتلناه فى جنح الظلام .

روسيثجللو : لك ما تشاء .

دون ألفونس : أحسامك متين ؟

روسيثجللو : نعم .

دون ألفونس : أمعك خنجر ؟

روسيثجللو : هنا شيئين يامولاي يتعذر عليك أن تلتاقهما تحت الشمس
إيطالى بلا خنجر وإيطالية بلا عشيق .

دون ألفونس : حسنا . فلتضربن بكلتا يديك .

روسيثجللو : سيدى الدوق ، لم لا تكتفى بالقاء القبض عليه ثم تأمر بإعدامه بناء على قضاء الامارة

دون الفونس : انه من رعايا فينيسيا . وهذا يعنى اعلان الحرب على الجمهورية . حسب طعنة خنجر لايدري أحد من أين سددت ، ولا تعرضنا للمخاطرة ، كان السم ولاشك وسيلة أفضل ، لكنه أفلت منه .

روسيتجللو : أتحب اذن يامولاي أن استقدم أربعة من العسس يجهزون عليه ، وهذا يكفيك مؤونة اقحام نفسك فى هذا الحديث ؟

دون الفونس : كثيرا ماذكر لى السيد مكيا فيلى يا عزيزى أن من الخير للأمرء فى مثل هذه الظروف أن يتولوا أمورهم بأنفسهم .

روسيتجللو : أسمع وقع أقدام يا مولاي .

دون الفونس : لنقف بحذاء هذا الجدار .

(يختبئان فى جنح الظلام تحت الشرفة - يظهر مافيو مرتديا كسوة الحفلات قادما وهو يدندن ، ويطرق باب جينارو) .

المشهد الثانى

دون الفونس وروسيتجللو (مختبئين)

- مافيو - جينارو

مافيو : جينارو ! (ينفرج الباب ويظهر جينارو)

جينارو : أهذا أنت يامافيو - أدخل .

مافيو : لا ، عندى كلمتان أود أن أسريهما اليك . أحقا لن تأتى معنا للعشاء هذا المساء على مائدة الأميرة نيجرونى ؟

جينارو : لست مدعوا الى هذه المأدبة .

مافيو : سوف أقدمك .

جينارو : هناك سبب آخر ينبغى أن أنبئك به . انى مسافر .

مافيو : مسافر ؟ وكيف كان ذلك ؟

جينارو : مسافر بعد ربع الساعة .

مافيو : ولماذا ؟

جينارو : سأجلو لك الأمر فى فينيسيا .

مافيو : تراها مسألة حب ؟

جينارو : نعم . انها مسألة حب .

مافيو : انك تسيء التصرف يا جينارو . لقد تعاهدنا على ألا يترك أحدنا صاحبه . تعاهدنا على أن نكون أخوين لايفترقان أبدا ، ولكنى أراك تسافر وحدك .

جينارو : تعال معى !

مافيو : بل تعال أنت معى ، فمن الأفضل أن نقضى ليلتنا على مأدبة عشاء بصحبة غيد حسان ومدعوين ظرفاء ، بدلا من قضائها بين قطاع الطرق والأخوار .

جينارو : لم تكن فى الصباح مطمئنا غاية الطمأنينة الى صاحبك ، الأميرة نيجرونى .

مافيو : لقد استخبرت عنها فوجدت أن جيبو قد أصاب فيما قال ، انها امرأة فاتنة مرحة تهوى الموسيقى والشعر ، لا أكثر ولا أقل ، هيا . تعال معى .

جينارو : لا أستطيع .

مافيو : كيف ترحل هكذا فى دجى الليل ؟ اننى أخشى عليك من القتل .

جينارو : اطمئن بالا ! وداعا ! أرجو لك فيضا من السعادة والمتعة .

مافيو : أخى جينارو . انى أتوجس خيفة عليك من هذه الرحلة .

جينارو : أخى مافيو ، وأنا بدورى أتوجس خيفة عليك من هذه المأدبة .

مافيو : قد يصيبك مكروه ولا أكون بجوارك .

جينارو : وقد ألوم نفسى فى غد على تركك هذا المساء . من يدري ؟

مافيو : لنعقد العزم على ألا نفترق ، ولينزل كل منا بعض الشيء على رأى صاحبه ، فتأتى معى هذا المساء الى مأدبة الأميرة نيجرونى ، على أن نرحل سويا فى الغد مع تباشير الصباح . أموافق أنت ؟

جينارو : دعنى أسرد عليك يا مافيو مادفعنى الى هذا الرحيل المفاجيء ، وسوف ترى أننى على حق .

(ينفرد بمافيو ويسر فى أذنه كلاما)

روسيتهجللو : (فى أسفل الشرفة يحدث دون ألفونس بصوت خافت)
أنقض عليه يامولاي ؟

دون ألفونس : (بصوت خفيض لنرى حتى نهاية المشهد)
مافيو : (ينفجر ضاحكا بعد سماع حديث جينارو) أتريد رأيى يا جينارو؟
لقد غرر بك ، فليس فى هذه المغامرة ثمة سم أو ترياق ، وما هى
الا فاصل هزلى لا أكثر ولا أقل ، ان السيدة لوكريزيا متيمة بحبك
وتود أن تدخل فى روعك أنها أنقذت حياتك ، ولعلها تأمل من وراء
ذلك أن تنزلق بلطف من مشاعر عرفانك بحميلها الى اسار حبها .
ان الدوق رجل ساذج طيب القلب ، لايجرؤ على دس السم
أو الاغتيال . هذا الى أنك انقذت أباه وهو عليم بذلك . أما الدوقة
فهى تريد رحيلك ، وفى ذلك مصلحتها الكبرى ، فلا مراء فى أن
غرامها بك سيجد فى فينيسيا مرتعا أشد خصوبة مما فى فرار ،
لأن زوجها لاينى هاهنا عن مضايقتها بعض الشيء ، أما عن عشاء
الأميرة نيجرونى فسوف تجده شهيا . يا للشيطان ! قمين بالمرء
مهما كانت الظروف والأحوال ألا يشتط فى حكمه وأن يزن الأمور
بميزان العقل . انك تعلم أن الحذر من شيمتى كما أننى أصدق
النصح ، ولئن حدث أن دس آل بورجيا السم لبعض خلصائهم مرة
أو مرتين ، فليس هذا بمرر يجعلنا نرفض الدعوة الى الولائم على
الاطلاق ، أو أن نتوقع دائما السم الزعاف فى نبذ سيراكيوز
العجيب ، أو أن نتصور لوكريس بورجيا وراء تصرفات سائر
أميرات ايطاليا الحسان . الا أن ما تزعمه لهو ضرب من الهذيان
والخيال ، ولو كان الأمر كذلك لما استطاع أن يأمن على مشربه ،
أو يطمئن الى مأكله ، سوى الأطفال الرضع ، قسما بهرقل
يا جينارو . اما أن تعود طفلا فترضع واما أن تأتى للعشاء معى .

جينارو : حقا . ان فى الهرب فى جنح الليل شيئا من الغرابة . اننى
أبدو كما الخائف المذعور ، ولئن كان فى البقاء ثمة خطر ، فلا ينبغى
أن أترك مافيو وحيدا فى خضمه . فليكن مايكون فما هى الا مغامرة
كمثيلاتها من المغامرات . انى موافقك ، وسأذهب معك ، وعليك
أن تقدمنى الى حبيبتك الاميرة نيجرونى .

مافيو : (ممسكا بيد جينارو) أقسم أنك الصديق الوفى ! (يتصرفان

معا وبيتعدان من طريقهما الى نهاية الساحة. يخرج دون الفونس وروستيجللو من مخبئهما) .

روستيجللو : (مستلا سيفه) هيا ، ماذا تنتظر يا مولاي ؟ انهما اثنان ليس غير . تول الاجهاز على غريمك ، وسأفتك أنا بصاحبه !

دون الفونس : لا ياروستيجللو ! انهما ذاهبان للعشاء لدى الاميرة نيجروني ، لو أعلم خبيثة ما يدبر ..

(يتوقف عن حديثه ويبدو حالما للحظة ، ثم ينفجر ضاحكا) .
اقسم ان فيما يدبر تحقيق الارب ، واننا سنشهد مفامرة طريفة
فلنتنظر الى الغد .

(يعودان الى القصر) .

الفصل الثالث

أموات سكارى

قاعة فخمة فى قصر آل ينجرونى . الى اليمين باب خفى ، وفى المؤخرة باب كبير واسع ذو ضلفتان ، وفى الوسط مائدة رائعة الاعداد على طريقة القرن السادس عشر ، وفى هذا الاطار يجول حجاب صفار سود يرتدون حلا من الدمقس المطرز بالذهب . يتفـرج الستار عن مائدة الطعام وقد جلس اليها اربعة عشر مدعوا هم : جيبو ، مانىو ، اسكانيو ، اولوفرنو ، ابوستولو ، جنيارو ، جوبتيا . ثم سبع من الفيد الحسان فى ابهى حليهن . الرجال منكبون جميعا على الطعام والشراب ، كل يتضحك مع رفيقته فى ضجيج وصخب ، ماخلاجنيارو ، فقد بدا شارد اللب ساهما .

المشهد الأول

**جيبو - مافيو - اسكانيو - دون أبوستولو - جويتا -
جينارو - سيدات وحجاب .**

اولوفرنو : (رافعا كأسه) ليحيا نبيلد اكسريزه ! لا مرأى فى أن اكسريز
هى احدى مدائن الجنة .

مافيو : (رافعا كأسه) هذا النبيلد الذى نحتسيه خير مائة مرة من
قصصك التى ترويها لنا يا جيبو .

اسكانيو : يصاب جيبو بداء رواية القصص حين تلعب الخمر برأسه .
دون أبوستولو : لقد حدث ذلك بالأمس فى فينيسيا ، وكنا لدى سمو
الدوق بارباريجو ، ترى ماذا سيروى اليوم ونحن فى فرار على
مائدة الاميرة الملائكية نيجرونى ؟

جيبو : كانت قصة الامس مفاجئة اما قصة اليوم فمبهجة .

مافيو : أتراها قصة مبهجة يا جيبو ؟ ليت شعرى ! كيف تأتى لدون
سيليكو - وهو فارس وسيم فى الثلاثين من عمره - أفنى ماورث
عن ذويه فى الميسر ، أن يقترن بالمركيذة الثرية كالبورينا وهى
التي سلخت من العمر ثمانية واربعين سنة . أترى فى هذا
- بحق باخوس - أمرا مبهجا ؟

جويتا : انه أمر محزن وشائع أن يقترن رجل مفلس بعجوز محطمة،
وهذا ما نشهده كل يوم .

(يأخذ فى تناول الطعام - ينهض البعض من المائدة بين حين وآخر
فيأتون الى مقدمة المسرح للحديث بينما الوليمة ممدودة) .

الاميرة نيجرونى : (مخاطبة مافيو وهى تشير الى جينارو) سيدى
الكونت أورسينى ، أرى معك صديقا يخيل الى أنه حزين مهموم

مافيو : هذه حاله على الدوام يا سيدتي ، وأرجو أن تغفري لي
استصحابه دون أن توجهي اليه شرف دعوتك . أنه أخ في السلاح
لقد أنقذ حياتي في حصار ريميبي ، ثم تلقيت عنه في معركة
جسر فيسين طعنة سيف كانت مسددة اليه . اننا نعيش سوياً
ولا نفترق أبداً ، ولقد تنبأ أحد العرافين الغجر بأننا سنموت
في يوم واحد .

الأميرة نيجروني : (ضاحكة) ألم يذكر لكما ان كان ذلك سيحدث
صباحاً أم مساءً ؟

مافيو : قال سيحدث صباحاً .

الأميرة نيجروني : (غارقة في الضحك) ان عرافك يهرف بما لا يعرف
وهل تحب هذا الشاب حبا جما ؟

مافيو : بقدر ما يستطيع رجل أن يحب رجلاً آخر .

الأميرة نيجروني : حسناً . لعل كلا منكما يسد حاجة صاحبه الى
العاطفة . ما أسعدكما .

مافيو : ان الصداقة لا تملأ - يا سيدتي - جميع شغاف القلب .

الأميرة نيجروني : ربما . وما الذي تراه يملأ شغاف القلب ؟

مافيو : الحب .

الأميرة نيجروني : ان لفظ الحب دائماً على فمك .

مافيو : أما أنت ففي عينيك .

الأميرة نيجروني : أنت عجيب !

مافيو : وانت جميلة (يطوقها بذراعه) .

الأميرة نيجروني : دعني ياسيدي الكونت .

مافيو : هل لي أن أطبع على يدك قبلة .

الأميرة نيجروني : لا . (تنسل من ساعديه) .

جوبتيا : (مخاطباً مافيو) أراك ذا حظوة لدى الأميرة .

مافيو : انني لا أسمع منها على الدوام سوى كلمة لا .

جوينيا : ان كلمة لا في فم المرأة تعني كلمة نعم .

جيبو : (مباحثا مافيو) ما رايك فى سيدتى الاميرة نيجرونى ؟
مافيو : انها خليفة بالعبادة - بينى وبينك - لقد بدأت تنهش نياط قلبى .

جيبو : وعشاؤها ؟

مافيو : وليمة بمعنى الكلمة .

جيبو : اخبرك ان الاميرة أرملة .

مافيو : هذا ما يفصح عنه مرحها واشراقها .

جيبو : الم تعد تتوجس خيفة من عشائها ؟

مافيو : انا ؟ وكيف ذلك ؟ لقد كنت مجنونا .

جيبو : (مخاطبا جوييتا) اتصدق ان مافيو كان يخشى المجيء لتناول العشاء على مائدة الاميرة ؟ .

جوييتا : يخشى ؟ ولماذا ؟

جيبو : لأن قصر الأميرة يلاصق قصر بورجيا .

جوييتا : ليذهب آل بورجيا الى الشيطان . دعنا لشرابنا .

جيبو : (مخاطبا مافيو فى صوت خفيض) ان ما يعجبني فيمن يدعى بلفيرنا هو مقتله لآل بورجيا .

مافيو : (بصوت خافت) فى الحق ما من فرصة الا بعث بهم الى الشيطان فى منتهى الصراحة على أننى ياعزيزى جيبو .

جيبو : ماذا ؟

مافيو : اننى أرقب منذ بدء العشاء هذا الاسبانى المزعوم ، فلاحظت أنه لم يحتس حتى اللحظة سوى الماء القراح .

جيبو : ارى الهواجس تساورك مرة أخرى يا صديقى مافيو ، وغدا حديثك عن النبىذ مملا بشكل غريب .

مافيو : ربما كنت مصيبا فيما تقول . لقد جننت .

جوييتا : (عائدا الى مجلسه وهو يحملق فى مافيو من قمة رأسه الى

أخمص قدميه) أو تعلم ياسيد مافيو أنك خلقت لتعيش تسعين

عاما ؟ أنك كثير الشبه بجد من اجدادى عاش هذا العمر ، وكان

اسمه كاسمى جيل باسيليوفرنان ايرنيو فيليب فراسكو

فراسكيتو كونت دى بلفيرانا .

جيبو : (مخاطبا مافيو بصوت خفيض) لعلك لا ترتاب بعد الآن في كونه اسبانياً .

انه يحمل من أسماء العماد مالا يقل عن عشرين اسما ، يالها من دياجة مملة يا سيد دى بلفيرانا .

جوبتيا : لقد اعتاد أجدادنا - ويا للأسف أن يمنحونا عند العماد أسماء تزيد على ما ينقدوننا من دنائير عند الزواج ، ولكن مالذي يضحكهم هناك ؟

(على حدة) لابد أن نلتبس عند السيدات ذريعة للانصراف .
ترى ما العمل ؟

(يعود فيجلس الى المائدة)

أولوفرنو : (وهو يعب كأسه) قسما بهرقل يا سادتي . ما قضيت في حياتي سهرة ممتعة كسهرتنا هذه .. تذوقن ياسيداتي من هذا النبيذ ، فهو أحلى من نبيذ لأكريما كريستي ، واجر من النبيذ القبرصى ، هذا نبيذ سيراكيور أيها السادة .

جوبتيا : (ملتهما طعامه) يخيل الى أن الخمر قد لعبت برأس أولوفرنو
أولوفرنو : أرى لزاما على يا سيداتي أن أسمعكن بعض أبيات من الغزل نظمها الآن .

ليتنى أوتيت مزيدا من الشاعرية حتى أستطيع الاشادة بمثل هذه الوليمة .

جوبتيا : أما عن نفسى ، فليتنى أوتيت مزيدا من الثراء حتى أستطيع دعوة الاصدقاء الى مثل هذه الوليمة .

أولوفرنو : فما من شيء أحلى من التفنى بامرأة جميلة واكله شهية !

جوبتيا : اللهم الا عناق الاولى والتهام الثانية !

أولوفرنو : نعم نعم . ليتنى كنت شاعرا حتى أحلق في السماء . ليت لي جناحين ..

جوبتيا : هذا الديك البرى الذى يملأ صحنى .

أولوفرنو : سأسمعكم قصيدتى على أية حال .

جوبيتا : على رسلك ياسيدى المركز أولوفرنو فينيللوزو ، انى انهاك بحق الشيطان عن اسماعنا قصيدتك ودعنا لشرابنا !

أولوفرنو : اتنهاني عن اسماعكم قصيدتي ؟

جوبتيا : مثلما أنهى الكلاب عن عضى والبابا عن مباركتى والمارة عن قذفى بالحجارة ..

أولوفرنو : بعزة الله ! انك تشتمنى أيها الاسباني القصير الحقير .

جوبتيا : اننى لا اشتك أيها العملاق الايطالى العظيم ، بل ارفض فقط أن اعير قصيدتك أى انتباه لا أكثر ولا أقل ان حلقى لاكثر شوقا للنبيل القبرصى من أذنى لسماع القريض .

أولوفرنو : سأصلب أذنيك أيها القسطلانى البالى على كعبي حذائى .

جوبتيا : انت غر سفيه ، أرايتم من قبل مثل هذا القبي الاخرق ؟ يجرؤ على احتساء نبيل سيراكيوز ، وهو الذى يبدو عليه السكر اذا عب قدحا من الجعة .

أولوفرنو : بحق الله (سأقطعن جسدك الى ارباع .

جوبتيا : (وهو يقطع الديك) لن أعاملك بالمثل ، فاننى لا اقطع طيوراً ضخمة على شاكلتك أيتها السيدات ، أترون أن أقدم اليكن قطعة من لحم هذا الديك البرى ؟

أولوفرنو : (منقضا على السكين) والله لأبقرن بطن هذا المأفون ولو كان أعلى من الامبراطور قدرا .

السيدات : (ناهضات من حول المائدة) يا للسماء ! سوف يتقاتلان !
الرجال : هدىء من روعك يا أولوفرنو !

(يتكاثرون عليه وينتزعون منه السكين ، وكان يريد أن ينقض به على جوبتيا ، وعند ذاك تختفى النسوة من الباب الجانبى) .

أولوفرنو : (مقاوما) بجلال الله .

جوبتيا : اراك غزير النظم فى قافيه الله ياعزيزى الشاعر مما حمل النسوة على الفرار . يالك من أخرق مغرور !

جيبو : هذا صحيح . ترى ماذا دهاهن بحق الشيطان ؟

مافيو : لقد استبد بهن الخوف . فحين يلمع نصل السكين تفر المرأة .

اسكانيو : تبا لك . سوف يعدن .

أولوفرنو : سألقاك في الغد يا صغيرى بلفيرانا. ياربيب الشيطان !
جوبتيا : غدا كما يروق لك .

(يعود أولوفرنو الى مقعده وهو يترنح من فرط الفيظ فينفجر جوبتيا ضاحكا) ما أشد غبائه يحمل أجمل نساء فرار على الفرار ملوفا بسكين ملفوف فى قصيدة غزل ، وتثور تأثرته من أجل القريض ! انى على يقين بأنه ذو جناحين ، فما هو بانسان بل هو فرخ صغير ، ولا شك عندى فى أن المدعو ، أولوفرنو يعيش على الشجر ، وينام واقفا على رجل واحدة .

جيبو : مهلا ، مهلا ، هدئا من روعكما ، فسوف يتسنى لكل منكما أن يطبخ برأس صاحبه برجولة وشهامة فى صباح الغد ، وحسبكما انكما ستتقاتلان بالسيوف شأن النبلاء وليس بالمدى .

اسكانيو : وبهذا الصدد ماذا فعلنا بسيوفنا ؟ .

دون أبوسنولو : أنسيت أنهم طلبوا الينا تركها فى الغرفة المجاورة .

جوبتيا : وكانت حيلة فى محلها ، ولولا هذا لتقاتلنا امام النساء مما تحمر له وجوه أهل الفلاندر فوق احمرارها نشوة التبغ !

جينارو : حقا انها حيلة فى محلها .

مافيو : ما اعجب امرك يا أخى جينارو . هذه اول عبارة تنطق بها منذ بدأنا العشاء دون أن تشاركنا الشراب . تراك تفكر فى لوكريس بورجيا ؟ لقد تولعت بها بلا نزاع با جينارو . لا تحاول الانتكار .

جينارو : املاً كاسى يامافيو . فلما تخلفت يوما عن الصخب فى مجلس الطعام والشراب الا لتلبية نداء الحرب .

(حاجب اسود يحمل فى يديه قنيتين) .

اتريدون ياسادتى نبىذ قبرصى أم نبىذ سيراكيوز ؟

مافيو : نريد نبىذ سيراكيوز فهو خير الانبذة .

(يملأ الحاجب الاسود الكؤوس جميعا)

جيبو : ألا سحقا لأولوفرنو . ترى هل تعود الحسنات ؟

(يتجه الى الأبواب واحدا تلو الآخر) ان الأبواب مغلقة من الخارج يا سادة !

مافيو : لا تنزعج بدورك يا جيبو . هن لا يرون أن نتعقبهن ، هذا هو كل ما فى الامر .

جوبتيا : الى الخمر يا سادة (تتقارع الكؤوس)

مافيو : فى صحتك يا جينارو . وليلتئم شملك فى القريب بأملك .

جينارو : ليستجب المولى لدعائك .

(يشرب الجميع ما خلا جوبتيا ، فقد سكب الكأس من وراء كتفه)

مافيو : (مخاطبا جيبو فى صوت خافت) لقد تبينت الخديعة يا جيبو .

جيبو : (بصوت حفيظ) ماذا ؟

مافيو : لم يشرب الاسبانى كأسه .

جيبو : حسنا ، وبعد ؟

مافيو : لقد سكب النبيذ وراء كتفه .

جيبو : لعل الخمر قد لعب برأسه وبرأسك ايضا .

مافيو : هذا جائز .

جوبيتا : انشودة السكارى ياسادة ، سأنشدكم انشودة السكارى فهى

خير الف مرة من قصيدة المريكيز أولوفرنو . أقسم لكم برأسى

أبى اننى لست ناظيها ، فما أنا بشاعر ، وليس لى تلك القريحة

النيرة فى نظم القوافى فى ختام الافكار .

هاكم انشودتى ، انها موجهة الى السيد القديس بطرس حارس

باب الجنة الشهير ، وهو تعبير عن فكرة لطيفة ؛ تقول بأن سماء

الله ملك للسكارى !

جيبو : (بصوت خافت الى مافيو) لقد أفرط فى الشراب .

الجميع : (هاتفين ما خلا جينارو) الانشودة . الانشودة ..

جوبيتا : (منشدا) افتح الباب أيها القديس بطرس

للكير الذى أتاك بصوته

الجهورى منشدا .. الله ، الله !

الجميع : (مرددين ما عدا جينارو) المجد لله)

جوبتيا : للسكر المنشد المطروب

الذى أتاك ببطنه العظيم

حتى ليشك من يراه حين دخوله

أهو انسان أم برميل

الجميع : (مرددين ما عدا جينارو) المجد لله !

(يتقارعون الكئوس وهم يضحكون ملء أفواههم ، وفجأة يسمعون

أصوات بعيدة ترتل لحنا حزينا)

أصوات من الخارج : «اسمه قدوس رهيب • رأس الحكمة مخافة الله»

جيو : (غارقا فى الضحك) أنصتوا يا سادة ، بينما نتغنى بأنشودة

السكرارى يردد الصدى صلاة الغروب •

الجميع : صه ...

(أصوات من الخارج تدنو رويدا وتردد « ان لم يحرس الرب

المدينة فباطلا يسهر الحراس » - يضج الجميع بالضحك) •

جيو : انها تراتيل كنسية أصيلة •

مافيو : لعلها جنازة تمر •

جينارو : جنازة فى منتصف الليل ؟ لقد تأخر بها الوقت •

جيو : تبا لك ! واصل انشادك يا سيدى بلفيرانا •

(أصوات من الخارج تزيد اقترابا وتردد « لها عيون ولا تبصر ،

لها آذان ولا تسمع ، لها أنف ولا تشم » • تشتد عاصفة الضحك

بين الجميع) •

جيو : ما أشد عجيح هؤلاء الرهبان !

مافيو : رأييت يا جينارو ؟ ان نور المصابيح يخبو من حولنا ، وعما قليل

سنغدو فى ظلام دامس •

(تشعب المصابيح كأنما فرغ زيتها - أصوات من الخارج تشتد

اقترابا وتردد) •

« لها يد ولا تلمس ، لها أرجل ولا تمشى ، ولا تصوت بحناجرها »

جينارو : يخيل الى أن الأصوات تدنو منا •

- جيو :** كأنتى بالوكب يمر فى هذه اللحظة تحت النوافذ •
- مافيو :** ان ما نسمع هو صلاة الموتى •
- اسكانيو :** بل هى مراسم الدفن •
- جيو :** لنشرب فى صحة من يوارونه التراب •
- جوييتا :** من أدراكم ؟ ربما كانوا كثارا •
- جيو :** حسنا • لنشرب فى صحتهم جميعا •
- أبو ستولو :** (مخاطبا جوييتا) مرحا ، مرحا لنواصل ابتهالاتنا الى القديس بطرس !
- جوييتا :** تحدث عنه بمزيد من الأدب ، وقل الى السيد القديس بطرس حارس باب الجنة الموقر • (منشدا) •
- ان كان للقديس ما لذ وطاب
فالسما ملك للسكارى الذين
لا هم لهم الا الشراب على الأنغام
- الجميع :** (مرددين) الا الشراب على الأنغام •
- جوييتا :** ان كان نهر الكوثر ، الذى يغمر
ساحتك ، من نبيذ اسبانيا
فحولنا الى أسماك
- الجميع :** (وهم يتقارعون الكئوس بين رنين الضحكات) فحولنا الى أسماك !
- (ينفتح باب المؤخرة ويبدأ على مصراعيه ، فتظهر من خلفه قاعة فسيحة مجللة بالسواد تضيئها المشاعل ، وفى صدرها صليب كبير من الفضة ، يدلف من الباب الكبير حشد طويل من تلامذة الدير بين سود وبيض ، لا يستبين الرأى من خلال ثقوب بردهم سوى العيون ، يحملون على رؤوسهم الصليب ، وفى أيديهم المشاعل • ويرتلون فى صوت جهورى ونبرات حزينة •

« من الأعماق صرخت اليك يا رب »

ثم يصطفون في صمت على جانبي القاعة ، ويظنون هكذا بلا حراك
كالأصنام ، بينما يتطلع اليهم النبلاء الشبان في فزع وذعر)

مافيو : ما معنى هذا ؟

جيو : (متظاهرا بالمرح) مجرد دعاية ! اني أراهن بجوادي في مقابل
خنزير ، وبلقب أسرتي دي ليفيرتو في مقابل لقب بورجيا ، على
أن رفيقاتنا الحسان قد تنكرن في هذا الزى كيما يعجمن عودنا .
ولئن أزعنا عفوا احدى هذه البرد لرأينا من تحتها وجه حسنة
مكير نصير ، سوف أريك .

(يتقدم ، فيرفع احدى القلنسوات ، فيجمد في مكانه . فقد رأى
من تحتها وجه راهب عبوس . يقف ساكنا مسبل العينين حاملا
مشعله . تسقط القلنسوة من يد جيو ويتراجع الى الوراء) لقد
بدأ الموقف يبدو غريبا .

مافيو : لا أدري لم تجمد الدم في عروقي !

تلاميذ الدير : (يرتلون في صوت مدو) « هز الرؤوس في أرض الكثيرين »

جيو : ياله من شرك رهيب ! أين سيوفنا ؟ أين سيوفنا ؟ أواه ! لقد
عرفت يا سادة : نحن الآن في عرين الشيطان .

المشهد الثاني

نفس الأشخاص - دونا لوكريزيا

دونا لوكريزيا : (تظهر بغتة على عتبة الباب متشحة بالسواد) أنتم هنا
هنا في بيتي !

الجميع : (ماخلا جينارو - وكان يشهد ما يدور فى ركن من أركان المسرح ، فغشيت عنه عينا لوكرىزيا) لوكرىس بورجيا ؟

دونا لوكرىزيا : منذ أيام كنتم جميعا - نفس الحاضرين هنا - ترددن هذا الاسم فى نشوة النصر ، أما اليوم فتذكرونه بفزع وهول .
أجل ، قمين بكم أن تتطلعوا الى بأعين جامدة من فرط الرعب .
أنا لوكرىس بورجيا بعينها أيها السادة ، أتيت لأنبئكم بخير .
أنتم مسموون أيها النبلاء . وليس فيكم من بقيت من حياته ساعة واحدة . لا تتحركوا من أماكنكم ، فان القاعة المجاورة غاصة بالجند من حملة الحراب . والآن ، حان دورى كى أرفع صوتى ،
وأسحق رؤوسكم تحت كعب حداثى ! هيا ، ياجيو ليفيريتو لتلحق بعمك فيتللى من أمرت بالاجهاز عليه بطعنة خنجر فى أقبية الفاتيكان . واذهب أنت يا اسكانيو بتروتش للقاء ابن عمك باندولو الذى صرعه لأسلبه مدينته ! وأنت يا أولوفرنو فيتللوزو ،
إن ابن عمك فى انتظارك . فلا شك أنك تعرف حق المعرفة ياجودا بيانى من قتلته بالسهم فى احدى الولايم . وأنت ياما فيو أورسينى ،
امض فتحدث عنى فى العالم الآخر مع أخيك دى جرافينا من قضيت عليه وهو يغط فى سباته ! أما أنت يا أبو ستولو جازيللا فقد أطحت برأس أبيك فرانسيسكو جازيللا ، وذبحت ابن عمك الفونس داراجون فاذهب لتلحق بهما ! أشهد أنكم أقمتم لى حفلا راقصا فى فينيسيا . وهأنذا أردت حفل عشاء فى فرار ، حفلا لقاء حفل أيها النبلاء .

جيو : يالها من صحوة قاسية يا مافيو !

مافيو : لنلتمس رحمة الله

دونا لوكرىزيا : ويحكم أيها الشباب ! أصدقاء الكرنفال الأخير ! أما كنتم تتوقعون هذه الخاتمة ؟ يالله ! يخيل الى أننى أنتقم ، فما قولكم أيها السادة ؟ من منكم ييزنى فى هذا المضمار ؟ أرى أنه أسلوب لا ضير فيه بالنسبة لامرأة ! ما قولكم فيه ؟

(مخاطبة الرهبان) أيها الآباء ، قودوا هؤلاء السادة الى القاعة المجاورة وهي معدة ، تلقوا اعترافاتهم ، واغتنموا ما بقيت لهم من لحظات أخيرة ، لتنفذوا في كل ما يستطيع انقاذه . أيها السادة ، من كانت له روح فليتكفر فيما ينبغي لها ، ولتطمئنوا بالآ ، فان أرواحكم بين أيدي أمينة ، هؤلاء الآباء الموقرون ، هم رهبان القديس سيفيت ، ولقد أذن لهم البابا - أبونا المقدس - بمعاونتي في مثل هذه الأحوال . وكما عنيت بأرواحكم فقد عنيت كذلك بأمر أجسادكم . انظروا .

(مخاطبة الرهبان الذين يقفون أمام باب المؤخرة)

- أفسحو الرهبان أيها الآباء حتى أرى هؤلاء السادة .

(يتفرق الرهبان فتظهر خمسة توابيت ، مغطاة بالجوخ الاسود ، مصوفة أمام الباب)

- العدد كاف ، فلدينا توابيت خمسة ، تبا لكم أيها الشبان !

أنتزعون أحشاء امرأة شقية ولا تظنونها تنتقم ! هذا تابوتك ، يا جيبو وذاك تابوتك يا مافيو ، أولوفونو ، اسكانيو ؛ هذه توابيتكم .

جينارو : (يتقدم خطوة بعد ما ظل حتى اللحظة بعيدا عن أنظار لوكريزيا)

لابد من تابوت سادس يا سيدتي !

دونا لوكريزيا : يا للسماء ! جينارو !

جينارو : هو بعينه .

دونا لوكريزيا : انصرفوا من هنا جميعا ودعونا وحدنا - جوبيتا ، أمرك

ألا يدخل علينا أحد مهما حدث ، ومهما بلغ أسماعكم في الخارج

مما يجري هنا !

جوبيتا : كفى !

(يخرج موكب الرهبان وقد سار بين صفوفه النبلاء الخمسة في

ترنج وذهول)

المشهد الثالث

جينارو - دونا لوكريزيا

القاعة موصدة الأبواب ، يكاد ضوؤها لا
يعدو بضع مصابيح زاوية - دونا لوكريزيا
وجينارو وحدهما ، يتطلع كل منهما الى الآخر
في صمت ، كأنما لا يدرى من أين يبدأ
حديثه .

دونا لوكريزيا : (محدثة نفسها) انه جينارو !
ترتيل الرهبان : (فى الخارج) « ان لم يشيّد الرب بيتى فلا جدوى
ممن يعملون على تشييده » .
دونا لوكريزيا : ماذا أرى ؟ جينارو مرة أخرى ! دائما أنت تحت وطأة
ما أسدد من ضربات ! برب السماء ! ماذا أقحمك فى هذا المجال ؟
جينارو : كنت فى ريب من كل ما يجرى .
دونا لوكريزيا : لقد تجرعت السم مرة أخرى ، ومن ثم ستموت !
جينارو : لو أردت - ان لدى الترياق .
دونا لوكريزيا : آه ، نعم . حمدا لله !
جينارو : سؤال يا سيدتى بما أنك خبيرة بهذه الأمور . أفى هذه القنينة
من الترياق ما يفى بنجاة النبلاء الذين أودى بهم رهبانك الى
المقبرة ؟
دونا لوكريزيا : (تفحص القنينة) يكاد ما فيها يكفيك وحدك يا جينارو .
جينارو : أما فى استطاعتك أن تدبرى على الفور قنينة أخرى ؟
دونا لوكريزيا : لقد أعطيتك كل ما عندى .
جينارو : حسنا !

دونا لوكريزيا : أى جينارو ، ماذا تنتظر ؟ أسرع • لاتله باللعبة الخطيرة • عجل تناول الترياق • تجرعه بحق السماء ! رباه ! لقد أتيت فعلة حمقاء ! أنج بنفسك • سأخرجك من القصر من باب خفى أعرف موضعه ، وما زال فى المقدور اصلاح ما فسد • لقد أقبل الليل • ستعد لك الجياد علما قليل ، وغدا فى الصباح تكون بمنأى عن فرار • ألم يجز فيها من الاحداث ما روعك ؟ اشرب الترياق ثم أنصرف • لابد أن تعيش ! لابد من انقاذك !

جينارو : (يتناول مدية من فوق المنضدة) وهذا يعنى موتك !

دونا لوكريزيا : كيف ؟ ماذا تقول ؟

جينارو : أقول انك دسست السم فى غدر ونذالة لخمسة من النبلاء هم من رفاقي بل هم خيرة الرفاق ، بينهم أخى فى السلاح مافيو أورسينى ، أنقذ حياتى فى واقعة فيسين ، ومن أشاطره ما يلحق به من أذى وما يقدم عليه من انتقام ، أقول انك قد أتيت أمرا نكرا ، وحق على انثار لمافيو ولسائر الرفاق ، وهذا معناه قتلك !

دونا لوكريزيا : يا للسموات والأرض !

جينارو : أذى صلاتك يا سيدتى وأوجزى ! ان السم يسرى فى عروقى ، ولا يتسع وقتى للانتظار •

دونا لوكريزيا : ويحك ! هذا محال ! أيقتلنى جينارو ؟ ليت شعرى ! أهذا أمل محتمل ؟

جينارو : بل هو أمر واقع يا سيدتى • قسما بالله لو كنت محللك لعقدت يدى وجثوث على ركبتى وصليت فى صمت - هاك هذا المقعد ، فهو يصلح لهذا الغرض •

دونا لوكريزيا : كلا ، انى أقول لك هذا محال • كلا ، فما خطرت على البال هذه الفكرة بين أبلغ الفكر وحشية وهولا • ويحك ! أترفع يدك بالمدية ؟ تمهل يا جينارو ، فلدى ما أقول لك •

جينارو : عجل !

دونا لوكريزيا : ألقى المدية أيها الشقى • سألتك أن تلقىها ! آه لو علمت • أى جينارو ، هل تعلم من أنت ؟ هل تعلم من أكون ؟ انك لا تدري مدى صلتى بك • ترى ينبغى أن أبوح له بمكنون سرى ؟ ان الذى يجزى فى عروقى وعروقك هو دم واحد يا جينارو ، فأبوك هو جان بورجيا دوق جانديا !

جينارو : أخوك ! أنت عمتي اذن ! تبا لك يا سيدتي !

دونا لوكريزيا : (على حده) يظننى عمته !

جينارو : أنا ابن أخيك ؟ أواه ! لهفى على أمى المنكودة الطالع دوقه جانديا . من تحالف على شقاتها آل بورجينا جميعا ! اسمعى أيتها السيدة ، لقد حدثتنى عنك أمى فى رسائلها . انك من زمرة الأقارب الجحدة الذين تقينى من بغيهم أمى فى هلع وذعر ، هؤلاء الذين صرعوا أبى وأغرقوا حظ أمى فى بحر من الدموع والدم . لزأم على الآن - فضلا عما ذكرت - أن أثار لأبى وأنقذ من برائتك أمى ! يالله ! أنت اذن عمتى وأنا من آل بورجيا . الا ان هذا يجننى - أصغى الى يادونا لوكريزيا بورجيا : لقد عشت دهرا سادرة فى غيك حتى غدوت بشعة كريهة الى نفسك ولابد أنك تعبنة من حياتك ، أليس كذلك ؟ حسنا . لنضع لهذه الحياة حدا . لقد حدث دائما فى أسر كآسرتنا ، ممن آلت اليها الجريمة بالوراثة كما يثول اسم الأب الى الابن ، أن انتهى قدرها المحتوم بجريمة قتل ، وهى فى المعتاد جريمة عائلية ، جريمة أخيرة تغسل كل ما سبقها من جرائم ، وما لام أحد قط ثمة نبيل على بتره فرعا فاسدا (من شجرة أسرته لقد قتل مودارا الاسبانى عمه روديريج دى لارا) من أجل آثام تقل شأننا عن آثامك ، وأثنى الناس طرا على هذا الاسبانى لقتله عمه . أفهمت يا عمتى ؟ والآن لقد تحدثنا فى هذا الشأن بما فيه الكفاية . اسألى الله شفاعة فى روحك ان كنت تؤمنين بالله وبروحك .

دونا لوكريزيا : أى جينارو ؟ ناشدتك الرحمة بنفسك . انك لا تزال طاهر الذيل بريئا ، فلا تقارف هذا الجرم .

جينارو : جرم . أواه ! لقد حار منى الفكر واضطرب . ترى فيما أزمعت عليه جريمة ؟ ولكن لا . فقسما بالله لا أكون سليل بورجيا بحق الا اذا مارست الجريمة . انى آمرك أن تركعى يا عمتى . اركعى .

دونا لوكريزيا : أتعنى حقا ما تقول يا عزيزى ؟ أهكذا تجزىنى عن حبى لك ؟

جينارو : حب ؟

دونا لوكريزيا : هذا مستحيل ، لا بد أن أنقذك من نفسك . سادعو الناس . سأصيح بأعلى صوتى :

جينارو : لن تفتحي هذا الباب ، ولن تخطي خطوة . أما عن صياحك فلن يؤدي الى نجاتك . أما أمرت بنفسك من هنية ألا يدخل علينا أحد مهما بلغ الاسماع فى الخارج مما يجرى هنا ؟

دونا لوكريزيا : ولكن هذه مجبنة منك يا جينارو . أقتل امرأة لا حول لها ولا قوة ؟ أنت أكرم من هذا نفسا . اصغ الى ، ثم اقتلنى بعدها ان شئت ، فما عدت على الحياة حريصة . بيد أنى أرى لزاما على الافضاء بما يعتمل فى فؤادى ، فانه ليفيض لوعة وأسى من نهجك فى معاملتى الى الآن . أنت شاب يا بنى والشباب يجور دوما فى حكمه . آه ، لئن كان لا مناص من موتى فلا أود أن أموت بيدك أنت . أسمعت ؟ محال أن أموت بيدك . انك لاتعلم مدى فظاعة هذا الأمر ، هذا الى أن ساعة منيتى يا جينار لم تحن بعد . حقا ، اننى قارفت عديدا من الشرور والآثام واننى مجرمة عديدة ، ولهذا السبب ينبغى أن تتاح لى فبسحة من الوقت كيما أقر بذنوبى وأتوب ، هذا قطعاً مالا بد منه . أوعيت ما أقول يا جينارو ؟

جينارو : أنت عمتى ، وأنت شقيقة أبى ، فماذا صنعت بأمرى أيتها السيدة لوكريس بوجيا ؟

دونا لوكريزيا : أمهلنى قليلا . أشهد الله اننى لا أقوى على الجهر لك بكل ما أكن ، فلو جهرت لك به ربما ضاعفت بذلك زرايتك لى وبشاعتى فى نظرك . اصغ الى لحظة أخرى ! ان غاية منأى أن تتلقانى تائبة جائية تحت قدميك . وعند ذاك تبقى على حياتى ، أليس كذلك ؟ حسنا . ماذا ترى ؟ أيروقك أن أضع على رأسى ازارا وأحتبس فى الدير ؟ اذا قيل لك أن هذه المرأة الشقية قد غدت حليقة الرأس ، تفترش الغرباء ، وتحفر بأظفارك لحدها ؛ وتصلى لله ليل نهار ، لا من أجل نفسها برغم حاجتها الى الصلاة ، بل من أجلك وأنت فى غنى عنها ، وان هذه المرأة انما فعلت ما فعلت ، مؤملة فى أن تلقى يوما على رأسها نظرة حانية وتسكب دمة على الجراح النازفة من قلبها وروحها ، وأن تكف عن قولتك لها - كما فعلت منذ هنية - فى صوت أشد قسوة من صوت القضاء الأخير : أنت لوكريس بوجيا . اذا قيل لك ذلك يا جينارو فهل يطاوعك قلبك فى الأعراض عنها ؟ أو اه .. ناشدتك الرحمة ! لا تقتلنى يا عزيزى ! دع كلينا ينعم بالحياة ، فتعيش لتعفو عنى وأعيش للتوبة والاستغفار . أفىء على بطل من عطفك . خبرنى ، ما غايتك من معاملة امرأة بائسة شقية بلا رحمة ولا شفقة ، وهى

التي لا تلتمس منك الا شيئا من الرحمة ، والا الابقاء على حياتها
ألا فاعلم يا عزيزي جينارو – وما أبتغى مما أقول سوى خيرك –
أن فيما تقدم عليه مجبنة حقا ، انه وزر جسيم ، بل هو جريمة
نكراء . أيقدم رجل قوى على قتل امرأة مستضعفة ؟ هذا مالا ترضاه
لنفسك ، هذا مالا ترضاه لنفسك .

جينارو : (واجفا) سيدتي !

دونا لوكريزيا : أنا واثقة من أنك قد عفوت عني ، وانني سأعيش .
هذا ما قرأته في عينيك . دعني أبكي عند قدميك .
(صوت من الخارج مناديا) جينارو .

جينارو : من الهاتف ؟

الصوت : أخى جينارو .

جينارو : هذا مافيه .

الصوت : جينارو . اننى أموت . خذ بثأرى .

جينارو : (رافعا المديّة) قضى الأمر ، ولن أستمع اليك . أفهمت
يا سيدتي ؟ لا مناص من قتلك .

دونا لوكريزيا : (ممسكة بذراعه تحاول مقاومته) رحماك ! كلمة أخرى

جينارو : كلا .

دونا لوكريزيا : حنانيك ! اسمعنى .

جينارو : كلا .

دونا لوكريزيا : ناشدتك السماء !

جينارو : كلا . (يطعنها)

دونا لوكريزيا : أواه . أتقتلنى ؟ جينارو ، أنا أمك

(ستار الختام)

الملاي يلمرو

مأساة من خمسة فصول

أشخاص المسرحية

الملك فرنسوا الأول
تريبوليه
بلانش
السيد دي سان فالويه
سالتا باديل
ماجلون
كليمان مارو - الشاعر
السيد دي بين
السيد دي جورد
السيد دي باراديان
السيد دي بريون
السيد دي مونشو
السيد دي مونمو رانسي
السيد دي كوسيه
السيد دي لاتور لاندري
السيد دي فيك
السيدة دي كوسيه
السيدة بيرارد
نبيل في خدمة الملكة
حاجب في خدمة الملك
طبيب
طائفة من النبلاء
جمهرة من عامة الشعب

الفصل الأول

السيد دى سان فالييه

حفل ساهر فى قصر اللوفر • تزخر القاعات
الفخمة بلفيف من الرجال والنساء فى أبهى
ثياب • مشاعل وموسيقى ورقص وضحكات
مدوية • يحمل التبع صحافا من الذهب
وآنية مرصعة بالمينا • جماعات من النبلاء
والسيدات فى غدو ورواح • يوشك الحفل على
نهايته وتضىئ تبشير الفجر زجاج النوافذ •
يسود الحفل قدر من التحرر ويشوبه تبدل
وافراط • المبنى والأثاث والملابس من طراز
عصر النهضة •

المشهد الأول

الملك كما رسمه المصور تسيان - السيد دى لاتور لاندري

الملك : أود أن أمضى فى هذه المغامرة الى نهاية الشوط أيها الكونت .
انها ولا شك امرأة من أواسط الناس ، غامضة الحسب والنسب .
غير أنها رائعة خلابة !

السيد دى لاتور لاندري : أو تلقاها فى الكنيسة يوم الأحد ؟

الملك : بل فى « سان جرمان ديبريه » . اننى أذهب هناك أيام الأحد .

السيد دى لاتور لاندري : وها قد مضى على تلك الحال شهران ؟

الملك : نعم .

السيد دى لاتور لاندري : وأين عشنا الجميل ؟

الملك : فى « كيل ديساك بوسى » .

السيد دى لاتور لاندري : أهو على مقربة من قصر كوسيه ؟

الملك : (مومثا بالايجاب) فى البقعة التى تضم السور الكبير .

السيد دى لاتور لاندري : آه ! عرفت . وهل تلاحقها يا مولاي ؟

الملك : هناك عجوز ضارية تلازمها دوما ، تقوم على حراسة عينيها وأذنيها
وفمها .

السيد دى لاتور لاندري : أحق ما تقول ؟

الملك : وأعجب ما فى الأمر أن ثمة رجل مريب الهيئة يدلف الى تلك الدار

وقد اتشح من قمة رأسه الى أخمص قدميه بعباءة حالكة السواد ،

وتسربل بسدول الليل البهيم . حتى يزوغ بين حجب الظلام .

السيد دى لاتور لاندري : حسنا . عليك أن تفعل مثلما يفعل !

الملك : ماذا تقول ؟ ان الدار موصدة ، والأسوار تقف فى وجه من

يقترب .

السيد دى لاتور لاندري : وهل أشعرتك يوما - يا مولاي - باستجابتها

وأنت تلاحقها ؟

الملك : بل اننى أرى من بعض نظراتها - دون ثمة خطأ فى تقديرى -
ما لا ينم عن فزعها منى .

السيد دى لاتور لاندوى : وهل تعلم بأن الملك يهيم بها حبا ؟
الملك : (يؤمى بالنفى) اننى أتنكر فى رداء من الصوف وقباء رمادى
اللون .

السيد دى لاتور لاندوى : (ضاحكا) أرى أنك تحبها حبا عفيفا كما
أحب القس السيدة « توانون » الورعة !
(يدخل لفيف من النبلاء وتريبوليه) .

الملك : (مخاطبا السيد دى لاتور) صه ! اننى أسمع قادما ، ومن يبتغى
التوفيق فى دنيا الحب فعليه أن يعرف الصمت . (يلتفت الى
تريبوليه وكان هذا الأخير يقترب منه وهو يفوه بتلك العبارة
فسمعها) أليس كذلك ؟

تريبوليه : ان الكتمان لهو الستار الوحيد الذى يكفل الأمان لنزوات
الحب .

المشهد الثانى

الملك - تريبوليه - السيد دى جورد - لفيف
من النبلاء - النبلاء فى ثياب فاخرة ، تريبوليه
فى زى المهرج كما رسمه المصور « بونيفاس »
يتطلع الملك الى سرب من النساء يمر .

السيد دى لاتور لاندوى : أرايتم الى السيدة فاندوم وحسنها العلوى !
السيد دى جورد : والسيدتان آلب ومونشفروى على جمال فارط .
الملك : أما السيدة دى كوسيه فتبز الثلاث .

السيد دى جورد : السيدة دى كوسيه ! اخفض صوتك يا مولاي (مشيرا
الى السيد دى كوسيه وهو يمر فى مؤخرة المسرح . انه رجل قصير

القائمة عظيم البطن ، وهو واحد من أربعة هم أضخم نبلاء فرنسا
كما يقول برانتوم) ان زوجها يسمعك .

الملك : رويدك يا عزيزي سيميان . اننى لا آبه لذلك !

السيد دى جورد : سوف يفضى بما سمع الى السيدة ديان .

الملك : اننى لا آبه لذلك ! (يمضى الى مؤخرة المسرح ويتحدث الى نساء
أخريات يمرون) .

تريبوليه : (مخاطبا السيد دى جورد) ستتغضب لهذا ديان دى
بواتيه . انه لا يخاطبها منذ ثمانية أيام .

السيد دى جورد : ترى سيعيدها الى زوجها ؟

تريبوليه : لا أظن ذلك .

السيد دى جورد : لقد دفعت ثمن العفو عن أبيها ، فان ذهبت فلن تكون
مربية .

تريبوليه : وعلى ذكر السيد دى سان فالويه ، ترى أية فكرة راودت هذا
العجوز الفريد فى بابه فجعلته يجمع فى فراش واحد هذا الخليط
العجيب ، بزواج فتاته ديان - تلك الحسناء الأثيرة الشفيفة - بل
ذلك الملك الذى تلقفته الأرض من السماء من ضابط أحذب ؟

السيد دى جورد : انه عجوز مخرف ، بل عجوز فظ على وجهه غبرة .
لقد كنت على منصة اعدامه حين تلقى نبأ العفو عنه ، وكنت أقرب
اليه منى اليك الآن ، فلم ينبس ببنت شقة . اللهم الا قوله :
ليحفظ الله الملك ! لقد فقد الآن صوابه تماما .

الملك : (مارا وبرفته السيدة دى كوسيه) يا لك من مخلوقة خلت من
الانسانية ! أتتركينى هكذا ؟

السيدة دى كوسيه : (متنهدة فى أسى) الى مدينة سواسون حيث يمضى
بى زوجى .

الملك : أو ليس من المشين أن ترحلى غير عابثة بأمر أو ملك ، لتتألقي
أيتها الشمس فى سماء الريف ، بينما باريس بأسرها - كبار
نبلائها ومفكرها - يرنون اليك بأعين تفيض رغبة وحبا ، بينما
تعيشين أروع لحظات حياتك الجميلة ، حيث يدخر لك أرباب الشعر
والسيف أجمل القريض وأقوى ضربات الطعان ، بينما تشم

عيناك الجميلتان لهما فى كل مكان ، فتأرق جفون زوجات المعجيين
جميعا ، بينما تبهرين القصر بسنى لحاظك ، فاذا ما غابت تلك
الشمس ارتاب المرء فى وضوح النهار !

السيدة دى كوسيه : هدى من روعك !

الملك : لا ، لا ، لا شىء . يا لها من نزوة عجيبة جعلتك تطفئين أنوار
الثريا فى منتصف الحفل .

(يدخل السيد دى كوسيه) .

السيدة دى كوسيه : ها هو ذا زوجى الغيور يا مولاي ! (تنأى عن الملك
مسرعة) .

الملك : تبا له ! ليقبض الشيطان روحه ! (مخاطبا تريبوليه) لم يفتنى
أن أكتب غزلا فى زوجه . ألم يطلعك « مارو » على آخر ما نظمت ؟
تريبوليه : اننى لا أقرأ شعرك ، فان شعر الملوك دوما أردأ الشعر .

الملك : يا لها من دعابة !

تريبوليه : (بغير انفعال) لتنظم القوافى سفلة القوم ، فهذا أمر محتمل .
أما أنت فلك أسهمك المنوعة فى دنيا الجمال . عليك يا مولاي غزو
الخدور ، وعلى «مارو» أن يصوغ الشعر ، وكل عاهل يقرض الشعر
انما يحط من قدر نفسه .

الملك : ولكن التشبيب بالحسان يسمو بالوجدان . ليتنى أضع جناحين
على قمة برج قصرى .

تريبوليه : لتجعل منه طاحونة !

الملك : كنت سأم بضربك بالسياط لولا أننى أرى ها هنا السيدة دى
كوازلان .

(يهرع الى السيدة دى كوازلان وينشدها عبارات الغزل)

تريبوليه : (محدثا نفسه) امض مع الريح التى تحملك الى هذه أيضا !
السيد دى جورد : (يدنو من تريبوليه ويوجه انتباهه الى ما يدور فى
مؤخرة القاعة) ها هى ذى السيدة دى كوسيه تدلف من الباب
الآخر . اننى أقسم بأنها ستسقط قفاها كى يلتقطه الملك للرقب
الموقف .

(تنظر السيدة دى كوسيه بازدراء الى محاولات الملك لاغراء السيدة

دى كوازلان ثم تسقط باقتها عمدا ، فيترك الملك السيدة دى
كوازلان ويلتقط باقة السيدة دى كوسيه ، ويسترسل معها فى
حديث يبدو عاطفيا حارا) .

السيد دى جورد : (مخاطبا تريبوليه) ألم أتوقع ما أرى ؟
تريبوليه : يا له من أمر عجيب !

السيد دى جورد : ها قد تردى الملك فى الشرك .
تريبوليه : ان المرأة شيطان داهية .

(يطوق الملك خاصرة السيدة دى كوسيه ويقبل يدها ، فتضحك
وتثرثر فى مرح . يدخل السيد دى كوسيه بغتة من باب المؤخرة .
يوجه السيد دى جورد انتباه تريبوليه الى دخوله . يتوقف السيد
دى كوسيه ويحملق فى الملك وفى زوجه) .

السيد دى جورد : (مخاطبا تريبوليه) ها هو ذا الزوج !
السيدة دى كوسيه : (تلمح زوجها . فتخاطب الملك وهو يكاد يحتويها
بين ذراعيه) لنفترق !

(تنسل من بين يدى الملك وتفر) .

تريبوليه : ما الذى أتى بهذا البدين الغيور الى هنا ؟

(يدنو الملك من مقصف فى المؤخرة ويتناول قدحا)

السيد دى كوسيه : (يمضى فى القاعة كما الحاكم ويحدث نفسه) ترى
عما يتحدثان ؟ (يقترب فى خفة من السيد دى لاتور لاندرى .
فيومئ هذا اليه بأن لديه ما يقول له) ماذا ؟

السيد دى لاتور لاندرى : (كمن يفضى بسر) ما أجمل زوجك !
(يمتعض السيد دى كوسيه ثم يمضى الى السيد دى جورد ، فيبدو
هذا الأخير كأنما يود أن يسر اليه بأمر ما) .

السيد دى جورد : (فى صوت خفيض) ما الذى يدور بخلدك ؟ لم تسترق
النظر طويلا الى هذه الناحية ؟ (ينأى عنه السيد دى كوسيه وهو
مستاء ، فيلقى نفسه وجها لوجه أمام تريبوليه فيجذبه الأخير بحذر
الى ركن من أركان القاعة ، بينما السيدان دى جورد ودى لاتور
لاندرى يضحكان ملء صدقيهما) .

تريبوليه : (مخاطبا السيد دى كوسيه بصوت خفيض) سيدى ، يبدو
عليك الانفعال الشديد !

(ثم ينفجر ضاحكا ويدير ظهره للسيد دى كوسيه ، فينصرف
الأخير نائرا) .

الملك : (عائدا) ما أسعدنى ! لم يكن هرقل وجوبيتر سوى دعيين
مضحكين اذا ما قورنا بى ، وما جنة الخلد سوى كوخ حقير . أما
النساء فما أشد سحرهن ! حقا اننى جد سعيد . وأنت ؟

تريبوليه : فى منتهى السعادة . اننى أسخر فى سرى من الرقص واللهو
والحب الزائف . اننى أتولى النقد ، ولك أنت المتعة . انك يا مولاي
سعيد كملك ، وأنا سعيد كمهرج .

الملك : ياله من يوم أغر ، يوم حملت بى أمى وهى ضاحكة ! (يشهد
انصراف السيد دى كوسيه) هذا المدعو دى كوسيه هو وحده الذى
يعكر صفو الحفل . كيف تراه ؟

تريبوليه : على غباء مشين .

الملك : دعنا من ذلك . كل شيء يروق لى ما عدا هذا الرجل الغيور ! اننى
أقدر على كل شيء وأشتهى كل شيء ، وأظفر بكل شيء ! ما أسعد
المرء بالحياة اذا طابت له أسبابها ! يا للسعادة !

تريبوليه : فى يقينى يا مولاي أنك ثمل .

الملك : ولكنى ألمح هناك .. العيين النجلوتين والساعدين الجميلين .

تريبوليه : أتعنى السيدة دى كوسيه ؟

الملك : هيا معى . وعليك حراستنا !
(يغنى) دامت أيام الأحاد المرحه .

بين شعب باريس الفرحة

حيث البيض العذارى

تريبوليه : (يغنى) والرجال السكارى
(ينصرفان ، ويدخل لفيف من النبلاء) .

المشهد الثالث

السيد دى جورود - السيد دى باراديان -
حاجب أشقر شاب - السيد دى فيك - الشاعر
كليمان مارو فى زى رجال البلاط - السيد دى
بين - نبيل أو نبيلان آخران • يتردد السيد دى
كوسيه بين الفينة والفينة • ويبدو حالما بادی
الهم والتفكير •

كليمان مارو : (محييا السيد دى جورود) ما وراءك الليلة من أنباء ؟
السيد دى جورود : لا شيء • سوى أن الحفل كان رائعا وأن الملك يلهو •
مارو : آه • يا له من نبأ ! الملك يلهو ؟ يا للشيطان !
السيد دى كوسيه : (مارا خلفهما) هذا ما يدعو للرثاء • لأن الملك الذى
يلهو هو ملك خطير • (يبتعد) •
السيد دى جورود : ان دى كوسيه ، هذا البدين التعس ، ليثير فى نفسى
بالغ الحزن •

مارو : (فى صوت خفيض) يبدو أن الملك دؤوب على مغازلة زوجه •
(يومئ اليه السيد دى جورود بالايجاب • يدخل السيد دى بين)
السيد دى جورود : ها هو ذا الدوق العزيز ! (يتبادلان التحية)
السيد دى بين : (كأنما يسر بخبر) أيها الصحاب ! لقد جئتمكم بخبر
طريف ! خبر تحار فيه أسخى العقول حكمة ! خبر يثير الدهشة
والضحك ! خبر عاطفى ! خبر محال !

السيد جورود : ترى ما هو ؟
السيد دى بين : (يضم شملهم حوله) سكوت !
(مخاطبا مارو وكان قد مضى يتحدث الى آخرين فى ركن من أركان
القاعة) تعال هنا يا أستاذ كليمان مارو !
مارو : (مقتربا) ماذا يرغب منى سيدى ؟

السيد دى بين : انك مغفل كبير .
 مارو : لم أكن أظن أننى كبير على أى نحو .
 السيد دى بين : لقد قرأت فى قصيدتك عن حصار «بشير» هذه الأبيات
 فى وصف تريبوليه :
 « معتوه ذو رأس كسير القرنين . لديه من الحكمة وهو فى الثلاثين
 ما كان له يوم ولدته أمه انك مغفل كبير » .
 مارو : لتحل بى لعنة كيوييد ان كنت أفهمك !
 السيد دى بين : وهو كذلك . (مخاطبا السيد دى جورد) يا سيد دى
 سيميان . (مخاطبا السيد دى باراديان) وأنت يا سيد دى
 باراديان .
 (تلتف حول الدوق حلقه تشمل السيد دى جورد والسيد دى
 باراديان ومارو ثم السيد دى كوسيه وقد أتى لينضم للجماعة) .
 ان أمرا غريبا قد حدث لتريبوليه . أرجو أن تحزروا ما هو ؟
 السيد دى باراديان : ترى قد أستقام عوده ؟
 السيد دى كوسيه : أنصب مشيرا للجيش ؟
 مارو : أقدم مطهيا على مائدة طعام ؟
 السيد دى بين : كلا . بل الأمر أفكه من ذلك . ان لديه — تكهنا بما
 لديه ، شئ لا يصدق عقل .
 السيد دى جورد : مبارزة مع جارجانتوا !
 السيد دى بين : كلا .
 السيد دى باراديان : قرد أشد قبحا منه ؟
 السيد دى بين : كلا .
 مارو : جيب ملىء بالدنانير ؟
 السيد دى كوسيه : وظيفة الكلب أمام أسياخ الشواء الدائرة ؟
 مارو : موعد مع العذراء فى الجنة ؟
 السيد دى جورد : روح مثلا ؟
 السيد دى بين : خمنوا . تريبوليه المهرج ، تريبوليه الأشوه . أمعنوا
 الفكر فيما قد يكون لديه . انه شئ هائل .

مارو : حديثه ؟

السيد دى بين : كلا ١٠ ان له ٠٠٠ حزرُوا ، ان له خلية .
(ينفجر الجميع ضاحكين)

السيد دى باراديان : يا لها من قصة تروى !

السيد دى بين : أقسم لكم بجوارحى - أيها السادة - على صدق ما أقول ،
وسأريكم دار هذه السيدة . انه يحج إليها كل أمسية ، متشحا
بمعطفه المصفر ، وعلى وجهه امارت التهجم الغضب ، كأنه شاعر
جوعان . أردت أن أكر به ، وبينما كنت أجول على مقربة من قصر
كوسيه ، وقد أرخى الليل سدوله ، كشفت هذا الأمر ، وعليكم أن
تصوبوا الس .

مارو : يا له من موضوع رائع لقصيد يغنى ! ماذا أسمع ؟ أيتحول
تريبوليه ليلا الى عاشق ؟

السيد دى باراديان : (ضاحكا) أهناك امرأة يقرن ذكرها بالسيد
تريبوليه ؟

السيد دى جوود : (ضاحكا) سرج على جواد من خشب !

مارو : (ضاحكا) أعتقد أن لدى هذه السيدة المصونة كل ما يكفل طرد
الانجليز اذا ما ألقى ثمة خليفة « لبدفورد » مراسيه فى كاليه !
(يضحك الجميع . يظهر السيد دى فيك فجأة ، فيضع السيد دى
بين أصبعه على فمه)

السيد دى بين : صه !

السيد دى باراديان : (مخاطبا السيد دى بين) بم تفسر أيضا خروج
الملك وحده كل يوم عند الغسق كأنما يفتش عن كنز ؟

السيد دى بين : سينبثنا عن ذلك دى فيك

السيد دى فيك : أستهل ما أعلم بأن أذكر لكم أن صاحب الجلالة يبدو
غارقا فى لهوه ومجونه .

السيد دى كوسيه : (متنهذا فى أسى) لا تحدثنى عن ذلك !

السيد دى فيك : ولكن الذى يشغل فكرى هو الى أى اتجاه تدفع الريح
نزوته ؟ لم يخرج مساء ملتفا بعباءته الشتوية ، متنكرا فى زيه
ومظهره تماما ؟ وان كان الأمر لا يعنينى أيها الصحاب اذا ما اتخذ
من النوافذ أبوابا ، فأنا لست متزوجا .

السيد دى كوسيه : (هازا رأسه) ان الملوك تستلب دوما - أيها السادة - كل ما لدى الغير من متع الدنيا ، وذلك ما يعلمه كهول النبلاء . ليحذر كل من له أخت أو زوج أو ابنة تغرى ، فمن بيدهم السلطان لا يفكرون فى لهوهم الا فى الضر . ان الأمر لينطوى على كثير من المخاوف ، ومن الثغر الباسم تتكشف الأسنان جميعا !

السيد دى فيك : (مخاطبا الآخرين بصوت خفيض) ما أشد خشيته من الملك !

السيد دى باراديان : وان زوجه الفاتنة لأقل منه خشية .
مارو : وذلك ما يروعه .

السيد دى جورد : لقد جافيت الصواب يا كوسيه ، فمن الأهمية بمكان أن يظل الملك دائما مرحا ، متلافا ، لاهيا .

السيد دى يبين : (مخاطبا السيد دى جورد) انى أرى ما تراه يا كونت . فمثل الملك السؤوم كمثل فتاة نتشح بالسواد أو كصيف غزير المطر .

السيد دى باراديان : كحب بلا مبارزة

السيد دى فيك : كقنينة ملأى بالماء

مارو : (بصوت خفيض) ها قد عاد الملك ومعه ملاك الحب تريبوليه !

(يدخل الملك وبصحبه تريبوليه ، فتبتعد الحاشية باحترام)

المشهد الرابع

اشخاص المشهد السابق - الملك - تريبوليه

تريبوليه : (يدخل وكأنها يواصل حديثا مستمرا) علماء فى القصر ؟
يا لها من بشاعة منقطعة النظر !

الملك : دع شقيقتى - أميرة نافار - تصفى لنداء العقل . انها تريد أن تحيطنى بالعلماء .

تريبوليه : بينى وبينك - عليك أن تسلم بأننى لم أفرط فى الشراب

مثلك ، ومن ثم أرى أننى أفضلك يا مولاي بميزة أو بميزتين فى
صدق الحكم على الأشياء من حيث نتائجها وأسبابها جميعا ، أولهما
أننى لست ثملا والأخرى أننى لست ملكا - ليحل بقصرك الطاعون
والحمى وغيرهما من الأوبئة ، وذلك أفضل من أن يحل فيه العلماء !

الملك : يا له من رأى يعافه الذوق السليم ، اذ تريد شقيقتى أن تحيطنى
بالعلماء !

تريبوليه : هذا أمر كريحه يصدر عن أخت . فما من دابة فى الأرض :
غراب شره أو ذئب أو بوم أو أوزة أو عجل أو حتى شاعر . بل
ما من فقيه أو قاض أو دب أو كلب أقبح منظرا وأكثر شعرا وأزرى
شكلا وأكثر تشبعا باللا معقول ، بل أشرس وأقذر وأشد غرورا
من هذا الحمار المبردع الذى يلقب بالعالَم ! أنتقصك المباهج
والسلطان والغزوات والغيد الحسان ، تعطر بها مغانيك ؟

الملك : لقد أسرت الى شقيقتى مرجريت ذات مساء بأن النساء لسن على
الدوام بالنسبة لى كل شىء ، وأننى حينما ينتابنى السأم . .

تريبوليه : يا له من دواء عجيب ! أن نلتمس مشورة العلماء حين السأم !
ان سيدتى مرجريت تشايح دوما زمرة المتزمتين .

الملك : حسنا . لا داعى للعلماء . ولكن خمسة من الشعراء أو ستة . .
تريبوليه : لو كنت يا مولاي موضعك لكان خوفى من شاعر واحد وصمته
القوافى أشد من خوف « بلزيبوث » من مرشة مبللة .
الملك : خمسة أو ستة

تريبوليه : خمسة شعراء أو ستة ، تلك لعمري حظيرة برمتها ! انه مجمع
أو حديقة حيوان ! (مشيرا الى مارو) ألا يكفى ما نعاينه من مارو
حتى نسّم أبداننا بشعراء على شاكلته ؟

مارو : شكرا جزيلا . (مخاطبا نفسه) خير لهذا المهرج أن يغلق فاه !
تريبوليه : النساء يامولاي وما أدراك ما النساء ! هن الأرض وهن السماء ،
هن كل شىء فى الوجود ، ولكنك تملك النساء ، ان لديك النساء
فدعنى لحالى . انك تهذى حين تريد العلماء !

الملك : أقسم بشرفى أن اهتمامى بهذا الأمر لا يعدو اهتمام السمك
بالتفاح .

(ضحكات مدوية تصدر عن جماعة في مؤخرة القاعة ، فيخاطب
الملك تريبوليه) هاك بعض شباب النبلاء يسخرون منك .

(يمضى تريبوليه فينصت اليهم ثم يعود أدراجه)

تريبوليه : كلا ، بل هم يسخرون من مهرج آخر .

الملك : سحقا لهم . ممن يسخرون اذن ؟

ريبوليه : من الملك

الملك : حقا ؟ وماذا يرددون ؟

تريبوليه : انهم يقولون يا مولاي أنك بخيل ، وأن الخطوة والمال لنافار ،
وما من شيء يؤدي لهم .

الملك : أجل . اني آراهم من مكاني هذا ، أرى الثلاثة جميعا : مونشينو
وبريون ومونمورانسي .

تريبوليه : تماما .

الملك : ما أبغض سلالتهم هؤلاء النبلاء ! لقد نصبت أحدهم أميرا للبحر
والثاني مشيرا للجيش . أما ثالثهم فقد جعلته مديرا لقصرى ،
ومع ذلك هم يعربون عن استيائهم . أرايت لهذا مثيلا من قبل ؟

تريبوليه : ولكنك قادر على أن تعلى من قدرهم ، وفى ذلك انصاف لهم .
الملك : وكيف ؟

تريبوليه : بأن تأمر باعدامهم !

السيد دى بين : (يضحك ، ثم يتحدث الى النبلاء الثلاثة القابعين فى
مؤخرة القاعة) أسمعتم أيها السادة ما قال تريبوليه ؟

السيد دى برون : (يرمى المهرج بنظرة حانقة) سمعت ولا شك .

السيد دى موغورانسي : وسيدفع الثمن غاليا .

السيد مونشينو : يا له من تابع حقير !

تريبوليه : (مخاطبا الملك) ولكنك يا مولاي لابد وأن تشعر أحيانا بفراغ
فى قرارة نفسك . . . اذ لا تجد من حولك امرأة واحدة تقول لك
عينها لا ، ويقول لك قلبها نعم .

الملك : ماذا تعنى بما تقول ؟

تريبوليه : ان الحب الذى ينبع من قلب بهره بريق المظهر لا يسمى حبا .

الملك : أو تدري أن ثمة امرأة في هذا الوجود تضمّر لى الحب لذاتى ؟
تريبوليه : دون أن تعلم من أنت ؟

الملك : نعم . (محدثا نفسه) بلا تعريض بصغيرتى الحسناء ساكنة كيل ديساك بوسى .

تريبوليه : لعلها من أواسط الناس ؟

الملك : وأى ضير فى هذا ؟

تريبوليه : حذار يا مولاي . امرأة من أواسط الناس ! يا للسما ! ان حبك لها ضرب من المجازفة ، فكثيرا ما يكون هؤلاء الناس كالرومان الضواري اذا مس امرؤ ما ملكت يمينهم تخلف فى يده أثر لا تندمل !
رويدك ، وحسبنا - سواء منا المهرج والملك - زوجات نبلائك الأماثل واخواتهم .

الملك : حسنا ، وسأكتفى بزواج دى كوسيه .

تريبوليه : خذها لديك .

الملك : (ضاحكا) القول سهل ميسور أما الفعل فصعب عسير .
تريبوليه : لنختطفها الليلة .

الملك : (مشيرا الى السيد دى كوسيه) والكونت ؟

تريبوليه : وسجن الباستيل ؟

الملك : آه . لا

تريبوليه : امنحه لقب الدوقيه . وبهذا تسوى حسابك معه .

الملك : انه يغار كالسوقه ، وسوف يرفض أية ترضية ويملاً الدنيا ضجيجا .

تريبوليه : (شاردا) هذا رجل مزعج للغاية ، فاما أن تشتريه أو تنفيه .
(كان السيد دى كوسيه قد اقترب منذ لحظات خلف الملك والمهرج ، فسمع ما يدور بينهما من حديث . يلطم المهرج جبينه فى ابتهاج)
ولكن هناك ثمة وسيلة مريحة وسهلة وبسيطة كان على أن أفكر فيها من قبل .

(يزداد السيد دى كوسيه اقترابا وينصت) اقطع رأس السيد دى كوسيه .

(يتراجع السيد دى كوسيه فى زعر بالغ) لنفترض تأمره مع روما أو أسبانيا ..

السيد دى كوسيه : (منفجرا) أواه • يا لك من شيطان صغير !
الملك : (يضحك ويربت على كتف كوسيه ثم يخاطب تريبوليه) أتفكر -
بشرفك - فى ذلك ؟ فى قطع هذا الرأس ؟ أنظر الى هذا الرأس
يا صديقى ، أترأه ؟ ان انبثقت منه ثمة فكرة فهى فكرة ذات قرنين !

تريبوليه : كالقالب الذى وسعها

السيد دى كوسيه : أتقطع رأسى ؟

تريبوليه : وأى ضرر فى ذلك ؟

الملك : (مخاطبا تريبوليه) لقد غلوت فى استنفاره •

تريبوليه : يا للشيطان ! أ يكون المرء ملكا ليضيق صدرا بأى شئ أو
يزهد نفسا فى أبسط المتع ؟

السيد دى كوسيه : تقطعون رأسى ! آه ، لقد راودنى هذا الحاطر !
تريبوليه : ان الأمر غاية فى البساطة • ما الضرورة التى تقضى ألا يقطع
رأسك ؟

السيد دى كوسيه : حقا ؟ سوف أقتص منك أيها الفاجر •

تريبوليه : اننى لا أخشاك ، فأنا محاط بأقوياء ، أشن عليهم الحرب
شعواء • اننى لا أخاف شيئا يا سيدى لأننى لا أجد فوق عنقى
ما أخطر به سوى رأس مهرج • اننى لا أخاف شيئا ، اللهم الا اذا
دخلت حداثتى فى جسدى ثم هبطت - كما هو حالك - فى بطنى ،
ففى ذلك ما يقبح منظرى •

السيد دى كوسيه : (واضعا يده على حسامه) خبيث !

الملك : مكانك يا كونت • هيا بنا أيها المهرج !

(يتبعد ضاحكا ومعه تريبوليه)

السيد دى جورو : ان الملك يسند جنبه من فرط الضحك •

السيد دى باراديان : كم يضحك لأتفه الأسباب ، ويستسلم للضحك !
مارو : من العجيب أن نجد ملكا يلهو بشخصه •

(حينما ابتعد الملك والمهرج ، تجمع رجال البلاط وأخذوا يشيعون
تريبوليه بنظرات حاقدة)

السيد دى برون : لنثار من المهرج !

الجميع : ماذا ؟

مارو : انه مدرع : فمن أين يمسك ، وفي أى موضع يطعن ؟
السيد دى بين : أعلم ذلك ، ولكننا جميعا عليه حاقدون ، وفي وسعنا أن ننتقم .

(يقترب النبلاء جميعا من السيد دى بين) تعالوا جميعا هذا المساء عند الغسق بكامل سلاحكم ! الى « كيل ديساك بوسى » على مقربة من قصر كوسيه ، واياكم أن تفوهوا بكلمة .

مارو : لم يا ترى ؟

السيد دى بين : أتعاهدوننى ؟

الجميع : نعاهدك

السيد دى بين : سكوت ! انه عائد .

(يعود تريبوليه ومعه الملك وقد أحاط به سرب من الحسان)
تريبوليه : (يتحدث الى نفسه فى ركن من أركان القاعة) على من تراهم يتآمرون الآن ؟ أعلى الملك ؟ يا للشيطان !

حاجب : (يدخل ويتحدث الى تريبوليه بصوت خفيض) عجوز يتشح بالسواد يدعى السيد دى سان فالييه يطلب مقابلة الملك .

تريبوليه : (يدلك يديه) يا الله ! دعنا نرى السيد دى سان فالييه .
(ينصرف الحاجب) هذا بديع ! ولكن كيف بحق الشيطان ؟
سيثير لنا فضيحة مروعة .

(يسمع صخب وضجيج فى المؤخرة . عند الباب الكبير)

صوت : (من الخارج) أريد التحدث الى الملك !

الملك : (مقاطعا) كلا ! من هذا . . الذى دخل ؟

الصوت نفسه : أريد التحدث الى الملك !

الملك : (بحماس واصرار) كلا . كلا !

(شيخ فى ملابس الحداد يخترق الجميع ويقف أمام الملك ، يحدق فى الملك بامعان ، فينصرف رجال البلاط جميعا فى دهش وعجب)

المشهد الخامس

أشخاص المشهد السابق - السيد دى سان
فالييه فى ملابس الحداد ، وهو كهل ! اشتعلت
رأسه ولحيته شيئا .

السيد دى سان فالييه : (مخاطبا الملك) سأتحدث اليك !

الملك : السيد دى سان فالييه ؟

السيد دى سان فالييه : (بلا حراك على عتبة الباب) هكذا يدعوننى .
(يخطو نحوه الملك فى غضب ، فيوقفه تريبوليه)

تريبوليه : دعنى يا مولاي أتحدث الى هذا الرجل الطيب القلب .
(مخاطبا السيد دى سان فالييه بلهجة مسرحية) سيدى ، لقد
تأمرت علينا فعفونا عنك ، لأن الملك لطيف رحيم ، وهذا فضل
عظيم ، فعلام يستعر غضبك الآن ؟ أمن أن يكون لك من صهرك
المبجل حفدة ؟ ان صهرك رجل بشع المنظر سقيم البنيان دميم
الخلقة ، يصمه بروز فى منتصف أنفه - يقول البعض عنه أنه
أعور ، غزير الشعر ، هزيل القوام ، شاحب الوجه ؛ كبير البطن
كهذا السيد (مشيرا الى السيد دى كوسيه الذى يتميز غضبا)
أحذرب على شاكلتى ، وكل من رأى ابنتك الى جواره أغرق فى
الضحك . فلو أن الملك لم يضع الأمور فى نصابها لكان لك حفدة
عوج ، حفدة راعبون ، حمر الشعر ؛ هتم الاسنان ، ناقصو العقل ؛
قبيحو المنظر ، جديرون بالسخرية ، كبيرو البطن كهذا السيد
(مشيرا مرة أخرى الى السيد دى كوسيه ومحبيها اياه فيحتدم
الأخير غيظا) وحذب على شاكلتى ! ان صهرك رائع الدمامة والقبح ،
فدع الملك يعمل ، وستجد لك ذات يوم حفدة رشقاء ينتزعون
شعرات من لحيتك ويتسلقون على ساقيك (يصفق رجال الحاشية
لتريبوليه ضاحكين مستهزئين) .

السيد دى فالييه : (دون التفات الى المهرج) هذا مزيد من الالهانة !
أما أنت يا مولاي فاصغ الى كما ينبغى أن تصغى الملوك ! لقد أمرت

باقتيادی حافی القدمین الی مدینة « جریف » وهناك عفوت عنی ،
 فشعرت كأننی فی حلم ، وسألت الله أن یبارکک ، وغاب عن
 خاطری ما یخفیة الملوك وراء عفو منحوه . فلقد أضمرت لی العار
 فی هذا العفو . أجل یا مولای ، فبغیر تقدیر لأصلی العریق ،
 ولدم « بواتییه » النبیل منذ أعوام ألف ؛ وبینما أنا عائذ من
 جریف وثید الخطی ، داعیا من صمیم قلبی الیه النصر أن یمنحك
 عمری آیاما مجيدة ، اذا بك أنت - فرانسوا دی فالوا - فی مساء
 ذات الیوم ، ودون ثمة خشية أو رحمة أو استحياء ، قد ثلثت
 وحطمت وهتکت ودنست بلا مبالاة شرف دیان دی بواتییه -
 الکوئتیس دی بریزیه - تحت وطأة قبلاتک المشینة ، وفي مخدعک
 الذی جعلته لعنة النساء قبرا ! لیت شعری ، ماذا أقول ؟ فبینما
 كنت أنتظر قرار اذانتی ، سارعت یا بنیتی الطاهرة الی قصر
 اللوفر ، فاذا بالملک - هذا الذی صورہ بایار فارسا هذا الشاب
 الذی ینبغی له أن یسلک مسلك الشیوخ یساومک علی العار ،
 لقاء مزید من الأيام - یعلم الله وحده عددها - فی حياة أبیک
 الجاثی تحت قدمیه ! وهذه المنصة البشعة ، وما أبلغ ما تثیر فی
 النفس من فزع وهول ! لقد جاء الجلاذ ذات صباح لیقیمها فی
 جریف ، وقبل أن یتولی النهار کان القرار - ویا للشقاء - اما
 اذعان الفتاة أو اعدام الأب ! رباه وأنت خیر الحاکمین ، ترى
 ماذا قلت فی علیاء سمائك ، حینما شهدت عیناک علی تلك المقصلة
 هذه الدعارة الملكية ، متشحة بمسوح الرحمة ، رحمة ممرغة فی
 الوحل حزينة مشبوهة ، مزرجة بالدم دنسة ؟ مولای ؛ لقد
 أسأت صنعا بفعلتک هذه ؛ لتختضب الأرض بدم الأب العجوز ،
 فما فی ذلك من ضیر . ربما کان هذا الشیخ جديرا بالتجلة
 والتقدير ، لكنه أستحق جزاءك لأنه یشایع امیر الجیش ، اما أن
 تسلبه ابنته وتسحق تحت قدمیک الظافرتین فتاة مسکينة باکیة
 متطيرة ، فهذا أمر یندی له الجبین ، سوف تدرك مغبته فیما بعد !
 لقد تجاوزت سلطانک بمدی بعيد ؛ کان لك أن تفعل فی الأب
 ما تشاء ، أما الفتاة فلا - لقد عفوت عنی وتسمى ما صنعت
 عفوا ، وأننی فیما أظن جاحد ناكر للجميل . لقد کان حریا بك
 یا مولای - بدلا من أن تغتصب ابنتی - أن تمضی بنفسک الی
 سجنی ؛ كنت سأستصرخک : امتنی ولكن أرحم فتاتی وأرحم
 أرومتی . نعم ؛ أسقنی كأس المنون ، فالموت ولا العار ، ودق العنق

خير من وصمة شنار على الجبين ! واه - يا مولاي الملك - بما انك
هكذا لقيت ، أو تظن أن رجلا مسيحيا عريق النسب يحمل رتبة
الكونت يخف أله حين يفقد شرفه عوضا عن رأسه ؟

أجب يا سيدي !

ذلك ما كنت قائلة لك يا مولاي ، ومساء في الكنيسة ، وأنا مسجى
فى نعشى المخرج بالدم : تسعى الى ابنتى ديان ، تلك الفتاة الطيبة
النقية . تسعى مرفوعة الرأس ، لتصلى من أجل أبيها المبجل ،
وتقبل لحيته التى جللها المشيب ! اننى ما جئت اليك يا مولاي
لأسترد ابنتى ، فمن لا شرف له لا أهل له ، وسواء تعلقت بك أم
لم تتعلق ، فلن أسترد شيئا دمه العار . ابقها لديك ، وحسبى
أننى آليت على نفسى أن أجيء اليك لأعكر صفوك هكذا فى كل
جمع ، وحتى يقتصر لنا منك أب أو أخ أو زوج ، وهو مالا بد واقع
فى يوم من الأيام ، سأسعى مكفهر الوجه الى جميع محافلك ،
لأردد على مسامعك بأنك يا مولاي قد أسأت مسلكا وأسأت صنعا ،
وسوف تستمع الى ، ولن يرتفع جبينك الدنس حتى أفرغ من
كلمى ، وتود لو تسلمنى الى الجلاذ حتى تكرهنى على الصمت ،
ولكن لا ، فلن تجرؤ على ذلك ، خشية أن يعود اليك شبهى فى
الغد ليتحدث اليك . (مشيرا الى رأسه) وهذا الرأس فى يده !

الملك : (يكاد ينفجر غيظا) أينسى المرء نفسه فتبلغ به الجرأة والهذيان
هذا الحد ؟ (مخاطبا السيد دى بين) أيها الدوق اقبض على
هذا السيد !

(يومئ السيد دى بين بإشارة ، فيحتاط بالسيد دى سان فالييه
اثنان من رجال الحرس حاملى الرماح) .

تريبوليه : (ضاحكا) لقد جن جنون الرجل يا مولاي !

السيد دى سان فالييه : (داعيا) لتنزل بكما لعنة السماء ! (مخاطبا
الملك) مولاي ، ليس من الشهامة أن تطلق كلبك على ليث محتضر .
(مخاطبا تريبوليه) وأنت من تكون ؟ ما أنت سوى تابع له لسان
أفعى ، أتتهزأ من لوعة أب منكوب ؟ لتنزل بك لعنة السماء !
(مخاطبا الملك) ان من حقى عليك أن تعاملنى معاملة عاهل لعاهل ،

أنت ملك وأنا أب ، والسن يعدل العرش ، وكلانا يحمل على مفرقه
تاجا لا ينبغي لامرئ أن يتطلع اليه شزرا • انك تحمل تاج فرنسا
الذهبي وأنا أحمل تاجا من جلال المشيب • أيها الملك ، حين
يجترئ ثمة فاسق على اهانة تاجك ، فأنت الذي تنتقم منه ، أما
تاجي فان الله وحده هو الذي يتولى الثأر له •

الفصل الثانى

سالتا باديل

زاوية قفراء ، فى شارع « كيل ديساك بوسى »
على اليمين دار صغيرة هادئة المظهر ، ذات فناء
صغير يحيط به سور يشغل شطرا من المسرح .
بالفناء بضع شجرات ومقعد من حجر ، وفى
السور باب يؤدى الى الطريق . فى أعلى
السور شرفة ضيقة لها سقف يستند على عمد
من طراز عصر النهضة . يطل باب الطابق
الأرضى للدار على شرفة تصلها بالفناء درجة
سلم . وعلى اليسار اسوار حديقة قصر
كوسيه العالية ، وفى المؤخرة بيوت متباعدة
وبرج كنيسة سان سيفيرال .

المشهد الأول

تريبوليه وسالتا باديل خلال شطر من المشهد .
السيدان دى بين ودى جورد قابعان فى المؤخرة .
يظهر فى الشارع تريبوليه ملتفا بمعطف وبغير
لازمات المهرج . يتجه نحو باب السور فى عقبيه
رجل يرتدى حلة سوداء ويتشج مثله بعباءة ،
وقد رفع من ذراعه سيف يحمله .

تريبوليه : (حالما) لقد لعننى هذا العجوز !

الرجل : (محييا) سيدى ..

تريبوليه : (ملتفتا فى مرج) آه .. (يفتش فى جيبه) ليس معى
شئ .

الرجل : تبا لك ! اننى لا أبغى شيئا يا سيدى .

تريبوليه : (مشيرا اليه أن يدعه لشأنه وأن يبتعد) حسن جدا .
(يدخل السيدان دى بين ودى جورد ويتوقفان للحديث فى
المؤخرة) .

الرجل : (محييا) لقد أخطأت التقدير يا سيدى . أنا من رجال السيف .

تريبوليه : (يتراجع محدثا نفسه) ترى أهذا لص ؟

الرجل : (يدنو منه فى لطف مصطنع) سيدى . انك تبدو ساهما
مشغول الفكر ، وانى أراك تجول كل مساء فى هذه النجفة ، يخيل
الى أن لك امرأة ترعاها .

تريبوليه : (محدثا نفسه) يا للشيطان ! (بصوت مرتفع) اننى
لا أفصح عن شئونى للغير .

(يريد أن يبتعد فيمنعه الرجل)

الرجل : ولكنى لصالحك أقحم نفسى فى شئونك ، ولو كنت تعرفنى لأحسننت لقائى .

(مقتربا) قد يكون ثمة مختال يغازل امرأتك وأنت تغار منه .

تريبولييه : (فى ضجر) وقصارى القول ماذا تريد ؟

الرجل : (فى ابتسامة لطيفة وصوت خفيض وسريع) أقتا لك غريمك لقاء أجر .

تريبولييه : (يتنفس الصعداء) آه . هذا شئ عظيم .

الرجل : لعلك ترى يا سيدى اننى رجل شريف .

تريبولييه : يا للطاعون !

الرجل : ولئن تبعتك فلقصد نبيل .

تريبولييه : نعم . الحق انك رجل مفيد !

الرجل : (فى تواضع) حارس شرف سيدات المدينة .

تريبولييه : وكم تتقاضى لقتل هذا الغريم ؟

الرجل : هذا يتوقف على حيثية الغريم الذى يقتل وكفاءتى فى العمل .

تريبولييه : ماذا تطلب لكى تجهز على أحد كبار النبلاء ؟

الرجل : آه ، يا للشيطان ! هذا يزيد من احتمال تعرضى للهلاك بطعنة

حسام فى البطن ان هؤلاء قوم مسلحون وفى ذلك خشية على

حياتى ، هذا الى أن النبيل غالى الثمن .

تريبولييه : النبيل غالى الثمن ! خبرنى ، هل يباح لأواسط الناس مثلا

أن يؤجر أحدهم على قتل الآخر ؟

الرجل : (مبتسما) لقد شرعوا فى ذلك ! ومع كل فالقتل ترف .

أفهمت ؟ ترف تأصل بصفة عامة فى عليية القوم . وهناك ثمة سوقة

يصطنعون مظهر السادة ، يكلفوننى بالقتل لقاء مبلغ ضخيم ،

وهؤلاء أترفق بهم . انهم ينقدوننى مقدما نصف الأجر ، والنصف

الآخر فيما بعد .

تريبولييه : (يهز رأسه) نعم . انك تخشى المقصلة وعقاب ..

الرجل : (مبتسما) لا . لا . اننا نتولى الوفاء بأتاوة الشرطة .

تريبولييه : تدفعون مبلغا معيننا عن أى رجل ؟

الرجل : (يومئذ بالايجاب) اللهم الا .. ترى ماذا أقول لك ؟ الا اذا كان المقتول ، يا الهى .. الا اذا كان المقتول هو الملك ذاته !

تريبوليه : وكيف تؤدى مهمتك ؟

الرجل : سيدى ، اننى أقتل فى الطريق أو فى بيتى حسبما تشاء .

تريبوليه : أسلوب مهذب .

الرجل : حين أنزل الى الطريق أحمل معى نصلا حادا ، ثم انتظر الضحية
مساء ..

تريبوليه : وفى البيت ، ما سبيلك ؟

الرجل : لى أخت تدعى « ماجيلون » فتاة رائعة الحسن ، تزاول الرقص فى الطرقات ويستظرفها الناس ، فهى تستدرج الى بيتنا الضحية
ليلا ..

تريبوليه : فهمت .

الرجل : أرايت ؟ كل هذا يتم فى وقار دون جلبة . جربنى يا سيدى فستجد ما يسرك . اننى لا أملك حانوتا ، ولا أثر من حولى مظاهره ، لا سيما أننى لست من زمرة حاملى الخناجر ذوى القمصان الضيقة الذين يتجمعون عشرة فى أبسط مغامرة ، هؤلاء اللصوص الذين قصرت شجاعتهم مثلما قصر سيفهم (يجذب من تحت عباءته سيفا بالغ الطول) هذه أدواتى . (يتراجع تريبوليه مذعورا) فى خدمتك !

تريبوليه : (محمقا فى السيف فى عجب) لست فى حاجة اليها الآن .

الرجل : (معيدا السيف الى جرابه) تبالك ! اذا احتجت الى فاننى أتنزله يوميا عند الظهيرة أمام قصر دى ميد واسمى سالتا باديل .

تريبوليه : أنت من الفجر ؟

الرجل : (محييا) ومن أهل بورجونيا .

السيد دى جورد : (فى المؤخرة يدون شيئا فى مفكرته ويخاطب السيد دى بين بصوت خافت) هذا رجل مفيد ، لقد دونت اسمه .

الرجل : (مخاطبا تريبوليه) لا تظن بى السوء . أرجوك .

تريبوليه : كلا . بحق الشيطان ، فلا بد للانسان من حرفة .

الرجل : غير التسول والكسل والسرقة • عندى أطفال أربعة • •
تريبوليه : ولا يليق بك أن تقعد عن ربائتهم • • آذنا له بالانصراف •
أدامت السماء حبورك !
السيد دى يمين : (فى المؤخرة مخاطبا السيد دى جورد وهو يشير الى
تريبوليه) مازلنا فى وضح النهار وأخشى أن يرانا • (ينصرفان) •
تريبوليه : (مخاطبا الرجل) سعدت مساء !
الرجل : (محيا) الى الملتقى • خادمك المطيع • (ينصرف)
تريبوليه : (يشيعه بنظراته وهو يتعد) كلانا ندان ، لى لسان سليط
وله نصل حاد • بضاعتى الضحك وبضاعته القتل •

المشهد الثانى

يختفى الرجل • يفتح تريبوليه فى بطنه باب
سور الفناء ويتطلع الى الخارج بحذر ثم يجذب
المفتاح من الرتاج ويوصل الباب بعناية من
الداخل • يخطو بضع خطوات فى الفناء ساهما
بأدى الهم والتفكير •

تريبوليه : (محدثا نفسه) لقد لعننى هذا العجوز ! حين حدثنى ، حين
صاح فى وجهى : لتنزل بك لعنة السماء أيها التابع ! لقد هزأت من
لوعته ! أجل كنت فى هذا خسيسا ، كنت أضحك وقلبي ينفطر !
(يذهب للجلوس على مقعد صغير بالقرب من خزان حجرى)

ملعون ! (يستغرق فى حلم ويده على جبينه) أجل • لقد جعلتنى
الطبيعة غاية فى الشيطنة والضراوة والجبن ! بالشدة سخطى على
الدنيا لأننى مهرج ولأننى أشوه ! تلك هى الفكرة التى تراودنى
دوما فى صحوتى ومنامى ! ولئن طفت على جناح الأحلام حول العالم
ففى انتظارى فى آخر المطاف هذا الواقع المرير ، وهو أننى
مهرج قصر ، محروم من كل شىء ، ولا يقدر على أى شىء • عليه أن
يضحك وأن يلتمس اضحاك الآخرين ! يا له من غلو فى المهانة
والبؤس ! ماذا أقول ؟ ان لقطيع الجند الملتف حول تلك الخرقه

التي يسمونها علما ، وما بقى من حطام الدنيا لكل متسول أسباني
أو رقيق تونسي أو شقي في سجنه بل لكل امرئ ينتفس ويتحرك
على ظهر البسيطة ، هو حقه في ألا يضحك وحقه في البكاء اذا شاء .
أما أنا فلا أحظى بهذا الحق ! يا لله ، ويا لي من مخلوق حزين
عبوس ، جبيس جسد أسيء خلقه ، فقد يضيق به ذرعا ، اننى
مفعم بالقرف من دمامتى وأغار من كل قوى ومن كل وسيم . تسلط
على الأضواء من كل صوب فلا تزيدنى الا قتاما . أتوق أحيانا الى
الوحدة واعتزال الناس ، فاذا ما التمست مكانا قصيا وأردت أن
أجمع شتات نفسى وأسكن للحظات زوعها وهى تنشج بالبكاء
المريز ، ظهر مولاي على حين غرة ، هذا الملك المرح الطروب ، القادر
على كل شئ ، معبود النساء ، من قرعينا بدينياه فنسى من فرط
السعادة ظلمة القبر ، من جلمع بين نعمة الشباب والجمال وبسطة
القوام والعافية وملك فرنسا ، جاء ليركلنى بقدمه فى معزلى والليل
ساكن يسمع تنهدى وأنيى ، فيهتف بى وهو يتثاب : أضحكنى
أيها المهرج ما أشقاك يا مهرج القصر ! ألا انك بشر رغم كل شئ .
ماذا أقول ؟ ان مراحل الأنفعال التى تغلى فى قرارة نفسه ، ومشاعر
الحقد والصلف والحسد والسخط والخوف التى يزخر بها قلبه ،
والحذر الأزل من ثمة تدبير رهيب ، كل هذه الأحاسيس السود
التي تهش ضلوعة يكتبها عند ذاك فى نفسه بأشارة من مولاه ،
ويشكلها بشرا ومرحاً لمن يشاء ! يا له من هوان ! فلئن جلس أو
نهض أو سار ، أحس على الدوام بهذا الخيط الذى يجذب قدمه !!
انه يلقي المهانة أينما كان والمذلة من كل انسان . وقد يصادف
ملكة أو غانية ساحرة ، شبه عارية ، يسيل لها لعابه ، فتدعه يلهو فى
خدرها كما يفعل الكلب ! أما أنتم - يا سادتى النبلاء - ذوو الطلعة
البهية ، سادتى النبلاء الساخرون منه ، فيالمقته لكم ، وبالك من
من أعداء ألداء له ! لكم جعلكم تدفعون ثمن سخريتكم به غاليا ،
وكم عرف كيف يباغتكم بهجوم مضاد ! انه الشيطان الأسود الذى
يستشير الملك ، لقد أفل نجمكم الى الأبد أيها السادة ، فكها
استطاع المهرج أن ينشب أظافره فى حياة تقى عليها ظلال السعادة
سارع الى انتزاع أوراقها ورقة ورقة ! لقد جعلتم منه سباقا للشر !
أهكذا تكون الحياة ؟ يا للهول ! انكم تمزجون الخمر بالصاب
وتسكرون بها الناس ، وان نبتت فى نفس امرئ نزعة الى الخير

أتيتم عليها وصدعتم بصلصلة الجلاجل كل رأس يريد أن يفكر .
انكم تنسابون كل يوم فى المحافل - مرتع سخريتكم - كما تنساب
الروح الشريرة ، لتقضوا بدافع السأم هناء السعداء ، اذ لا غاية
لكم سوى حطم الغير ، وانكم لتحملون فى قرارة النفس ، وأنى
قادتكم المصادفة رصيد حقد قديم للناس طرا ، فاضت به قلوبكم ،
تقحمونه فى كل شأن وتكنونه من وراء ضحكة ساخرة !
آه ما أتعسنى .

(ينهض من المقعد الحجري الذى كان يجلس عليه) ولكننى الآن
هنا ، فلا أكثر بشئ . أما أغدو رجلا آخر حين أجتاز هذا
الباب ؟ فلائس للحظات هذا العالم الذى خرجت منه ، فلا يتبغى
أن أحمل الى هذه البقعة شيئا من متاعب الخارج . (يعاوده
الشروود) لقد لعننى هذا العجوز ! ولكن لم يراودنى هذا الخاطر
بعد اذ طردته ؟ أرجو ألا يصيبنى مكروه (يهز منكبيه) ترانى
جننت ؟ (يهضى الى باب البيت ويطرقه . ينفتح الباب وتدلف منه
فتاة ترتدى ثوبا أبيض ، فترتمى متهللة بين ذراعيه) .

المشهد الثالث

تريبوليه - بلانش - السيدة بيرارد

تريبوليه : ابنتى ! (يضمها الى صدره فى لهفة وحنان) .

طوقى عنقى بذراعيك . ضعيهما على قلبى !

كل شئ باسم بقربك ، ولا يثقل على صدرى شئ ! أى بنيتى ! اننى
جد سعيد ، وأتنفس ملء رئتى ! (يرنو اليها بعين نشوى) انك
تزدادين حسنا من يوم الى يوم ! هل يعوزك شئ ؟ قولى ، أمستريحة
أنت هنا ؟ بلانش ؟ بلانش عانقينى بقوة !

بلانش : (بين ذراعيه) يا لك من انسان نبيل يا أبتاه !

تريبوليه : (جالسا) كلا • اننى انسان يحبك هذا كل ما فى الامر •
ألست حياتى ودمى ؟ ماذا كنت فاعلا يارب لو لم أرزق بك ؟

بلانش : (واضعة يدها على جبينه) انك تتنهد • أرى أن ثمة هموما
تكتمها فى نفسك • أليس كذلك ؟ أفصح عنها لابنتك المسكينة !
واحر قلباه ! اننى لا أعرف لى أسرة •

تريبوليه : ليس لك أسرة يا بنيتى •

بلانش : اننى أجهل اسمك •

تريبوليه : وماذا يعينك من اسمى ؟

بلانش : كان الجيران فى « شينون » تلك المدينة الصغيرة التى شهدت
طفولتى يعتقدون أننى يتيمة قبل قدومك •

تريبوليه : كان على أن أتركك هناك فهذا أسلم ، لكننى لم أستطع الحياة
على تلك الحال • كنت فى حاجة اليك ، فى حاجة الى قلب يضممر لى
الحب • (يضمها ثانية بين ذراعيه) •

بلانش : ليتك تحدثنى عن نفسك ••

تريبوليه : اياك والخروج !

بلانش : منذ أقمت هنا منذ شهرين ، ذهبت الى الكنيسة ليس غير ثمان
مرات •

تريبوليه : حسنا •

بلانش : حدثنى يا أبى الحنون ، حدثنى على الأقل عن أمى •

تريبوليه : آه • لا تثيرى فى نفسى قصة مريرة • لا تذكرينى بأننى وجدت
فى زمن مضى - ولولا أنك ماثلة أمامى لقلت اننى رأيت فيما يرى
النائم - امرأة تختلف عن معظم النساء ، فى عالمنا الذى خلا مما
يؤلف بين القلوب ، امرأة أحببتنى لبؤسى ودمامتى ، حين رأتنى
وحيدا عاجزا بائسا بغیضا • ثم انتقلت الى رحاب الله وطوت معها
فى القبر هذا السر العلوى ، سر حبها الخالص ، سرها الذى مر بى
كالبرق الخاطف ، أو كشعاع هبط من الجنة الى مستقرى فى
السعير ! ليحن الثرى الذى يتأهب دوما لطينا على ذاك الصدر الذى
أرحت عليه رأسى ! وبقيت لى وحدك • (مبتهلا الى الله) الهى لك
الحمد على نعمائك •

(يبكى مخفيا جبينه بين يديه) •

بلانش : لا ريب فى أنك تتعذب لا . اننى لا أحب أن أراك على هذا النحو باكيا . لا ، ان بكاءك يقطع نياط قلبى .

تريبوليه : (بمرارة) وماذا تقولين اذا ما رأيتنى ضاحكا ؟

بلانش : أبتاه . ماذا بك ؟ اذكر لى اسمك . . . أواه ، أودعنى كل همك !

تريبوليه : كلا . ما الذى يدعو لذكر اسمى ؟ كفى أننى أبوك . اصغى الى : قد يكون هناك خارج هذا المكان كما تعلمين من يخشى بأسى أو يزدرينى أو يلعننى ، من يدري ؟ فماذا أنت صانعة باسمى ان ذكرت لك ؟ اننى أريد هاهنا على الأقل ، أريد فى وجودك أريد فى هذه البقعة من الدنيا ، هذه البقعة التى تضم البراءة والطهر ، أن أكون أبا فحسب ، أبا مبجلا له قدسيته وله قدره وجلاله !

بلانش : أبتاه !

تريبوليه : (يضمها بوله بين ذراعيه) ألا من قلب فى غير هذا المكان

يحنو على ؟ أواه ، اننى أحبك بقدر ما أبغض فى هذا العالم ! اجلسى بقربى وتعالى نتناجى . خبرينى ؟ أتحنين أباك ؟ ها نحن أولاء سويا ويديك بين يدي ، فماذا يكر هنا على حديث آخر ؟ أى بنيتى ، أنت كل السعادة التى واتتنى بها السماء ! ان للآخرين آباء وأخوة وأصدقاء ، لهم زوجة أو زوج ، لهم المواكب والضياح ، لهم أجداد وحلفاء وأبناء وغير ذلك مما لا أدري ، أما أنا فليس لى سواك . ان بعض الناس أثرياء ، حسنا ، أنت وحدك ما لى وأنت وحدك كنزى ! والبعض يؤمنون بالله ، وأنا أو من بروحك ! وآخرون ينعمون بالشباب وبحب امرأة ، ينعلمون بالعزة والجاه والجمال والصحة ، انهم غاية فى الوسامة والحسن ، أما أنا - فكما ترين - ليس لى سوى حسنك ، أى طفلتى العزيزة ، أنت وطنى وملذى ، أنت زوجى وأمى وأختى وابنتى ، أنت هنائى وثروتى ودينى وشريعتى ، دنياى أنت ، أنت دائما ، ولا أحد فى الوجود سواك ! ان نفسى الشقية مثخنة بالجراح فى سائر جنباتها الأخرى ، ترى ما مصرى اذا فقدت لك ؟ لا . هذا خاطر لا أقوى على احتماله لحظة ! ابتسمى فى وجهى قليلا فان بسمتك ساحرة . نعم ، انها صورة صادقة لبسمة أمك ! لقد كانت جميلة على غرارك ! انك تمررين يدك أحيانا على على جبينك كما كانت تفعل كأنما تمسحينه . أجل ، فلا بد لكل قلب طاهر من جبين كله براءة ونقاء ، وسماء كلها صفاء . انك

ثشعين على بلهب علوى ، وان نفسى لترى نفسك من خلال جسدك
الجميل ، وانى لأبصرك سواء أغمضت عينى أم ففتحتهما ، فأنت لى
منبع النور . أتمنى أحيانا لو كنت أعمى ، تغشى عينى ظلمة
دامسة ، حتى لا أرى فى هذه الدنيا شمساً سواك !

بلانش : أواه ، كم أتمنى اسعادك !

تريبوليه : من ؟ أنا ؟ اننى ها هنا سعيد ، سعيد اذ تقع عليك عيناى ،
وحسبى منك ذلك يا ابنتى لتذوب حشاشتى . (يمرر يده فى
شعرها وهو يبتسم) ما أروع هذا الشعر الأسود الجميل ! من
يصدق يا طفلتى أنك كنت شقراء ؟

بلانش : (فى دلال) انى أتوق الى الخروج يوما لأشاهد باريس بعض
الوقت .

تريبوليه : (محتدا) كلا ، اطلاقا . أما خرجت يا ابنتى على الأقل
بصحبة السيدة بيرار ؟

بلانش : (مرتجفة) كلا .

تريبوليه : حذار !

بلانش : اننى أذهب الى الكنيسة فحسب .

تريبوليه : (محدثا نفسه) يا للسماء ! قد يرونها ويقتفون أثرها
ويسلبونها منى ، وفى كونها ابنة مهرج خزى وعار ، يثير سخرية
الناس منها . (بصوت مرتفع) أرجوك مرة أخرى أن تظلى فى
البيت حبيسة ! آه لو تعلمين يا بنيتى كم يفسد النساء جو
باريس ، وكم يرتع الداعرون فى المدينة طولا وعرضا ، لا سيما
النبلاء !

(مبتهلا) رب اجعلها تشب فى هذا الحمى تحت سمعك وبصرك .
رب جنبها المكاره جميعا . وأتح لكل ريح عاصفة أن تزيل ما عداها
من الزهر . رب قها حتى فى أحلامها كل نسمة دنسة ، كيما
يستطيع أب منكود - فى ساعات صفوه - أن يستنشق عبرها
المكنون ، عبر وردة تنضج عذرية وحسنا !

(يخفى رأسه بين يديه ويسترسل فى البكاء)

بلانش : احنا نيك يا ابتاه ! لا تبك هكذا . لن ألتمس منك الخروج أبداً
تريبوليه : لا . ان فى البكاء راحة للنفس . لقد ضحكت كثيراً ليلة
الأمس .

(ناهضاً) ولكنى نسيت نفسى طويلاً ، لقد حان وقت انصرافى
يا بنيتى لأواصل المشاق ، وداعاً .
(يمضى النهار الى زوال)

بلانش : (تعانقه) خبرنى . . أعود قريباً ؟
تريبوليه : ربما . اننى كما ترين - يا طفلتى المسكينة - لست سيد
نفسى .

(منادياً) يا سيدة بيرارد !
(تظهر على الباب وصيفة عجوز)
السيدة بيرارد : ماذا يريد سيدى ؟

تريبوليه : لا أظن أن أحدا رأى أدخل هنا . أليس كذلك ؟
السيدة بيرارد : هذا ما أعتقد ياسيدى . فنحن فى بقعة قفراء نائية .
(الليل يرخى سدوله . يظهر الملك فى الشارع من الجهة الأخرى
للسور متنكراً فى زى بسيط قاتم اللون . يعاين ارتفاع السور
والباب المغلق . تتم اشاراته عن غضب ونفاذ صبر) .

تريبوليه : (محتضناً بلانش) وداعاً يا ابنتى الحبيبة .
(مخاطباً السيدة بيرارد) أتحرصين على اغلاق الباب المؤدى الى
الطريق ؟

(تومئ السيدة بيرارد بالايجاب) اننى أعرف داراً أكثر انعزلاً
خلف شارع سان جرمان .

بلانش : ان هذه الدار تروق لى يا ابتاه لشرفتها التى أشاهد منها
الحدائق .

تريبوليه : لا تخرجى الى الشرفة . أتوسل اليك !
(متصنّناً) هناك من يمشى فى الخارج ؟
(يمضى الى باب الفناء ويفتحه ، ثم ينظر فى قلق الى الطريق .
يختبئ الملك فى حفرة قرب الباب الذى تركه مفتوحاً الى منتصفه)

بلانش : (مشيرة الى الشرفة) ماذا ؟ ألا أستطيع الخروج الى الشرفة
لأشم الهواء ؟

تريبوليه : (عائدا) حذار ! فقد يراك أحد .

(بينما يستدير تريبوليه ، يتسلل الملك الى الفناء من الباب
المفتوح ويختبئ خلف شجرة ضخمة)

(مخاطبا السيدة بيرارد) وأنت ! لا تعلقى مصباحا فى النافذة .

السيدة بيرارد : (متشابكة اليدين) وأنى لانسان أن ينفذ الى هذا
المكان ؟

(تستدير ، فتلمح الملك خلف الشجرة . تتوقف مبهوتة . وحين
تهم بالصراخ يلقى اليها الملك بصره نقود . تتناولها وتقيم زنتها
فى يدها فلا تفتح فاهها)

بلانش : (مخاطبة تريبوليه وكان قد ذهب ليعاين الشرفة وفى يده
مصباح) يالها من حيلة شديدة ! ولكن خبرنى يا أبتاه ، ممن
تخاف ؟

تريبوليه : لا شئ عن نفسى ، وكل مخاوفى عليك !

(يحتضنها مرة أخرى بين ذراعيه) بلانش ، بنيتى ، وداعا !
(تضيء أشعة المصباح الذى تحمله بيرارد وجه بلانش وتريبوليه)

الملك : (محدثا نفسه خلف الشجرة) تريبوليه ! (ضاحكا) ماذا بحق
الشیطان ابنة تريبوليه ! يالها من قصة فريدة !

تريبوليه : (عائدا ادراجه بعد أن هم بالانصراف) ألا يلاحقك أحد حين
تذهبن للصلاة فى الكنيسة ؟ ان هذا الأمر يشغل فكرى !

(تطرق بلانش فى ضجر)

السيدة بيرارد : أبدا .

تريبوليه : عليك أن تستغشى اذا تبعكما أحد .

السيدة بيرارد : نعم . وسأدعو مساعدا قويا !

تريبوليه : ثم لا تفتحى مطلقا لمن يطرق الباب .

السيدة بيرارد : (متحدية حيطة تريبوليه) حتى اذا كان الملك ؟
تريبوليه : وخصوصا اذا كان الملك !
(يعانق ابنته مرة أخرى ، ثم ينصرف بعد أن يوصد الباب بعناية)

المشهد الرابع

بلانش - السيدة بيرارد - الملك
(يظل الملك خبيثا خلف الشجرة خلال الشطر الاول
من المشهد)

بلانش : (ساهمة تنصت الى وقع أقدام أبيها وهو يبتعد)
يخالجني مع ذلك شعور بالندم !
السيدة بيرارد : الندم . ولماذا ؟
بلانش : كم يخشى من أقل همسة وينزعج ! لقد رأيت دمة تتأرجح في
عينيه حين انصرف . لهفى عليك يا أبتاه ! ما أبلغ طيبتك ! كان
على أن أخبره أن ثمة شاب يتبعنا يوم الأحد عند خروجنا .
أتذكرين ؟ هذا الشاب الجميل .
السيدة بيرارد : ولم تروين له هذه القصة ياسيدتي ؟ قصارى القول
ان آباك رجل غريب الأطوار على قدر من الضراوة . أتكرهين اذن
هذا الفارس الشاب ؟
بلانش : أنا أكرهه ؟ كلا . واجر قلباه ! اننى على النقيض أحبه ، فمنذ
رأيتنه لا يلهينى عنه شيء ، ومنذ خاطبت عيناه عيني أم يعد لسائر
الخلق عندى أى وزن . انه لا يغيب عن خاطري أبدا . لقد
وهبت له نفسى . أتسمعين ؟ هذا قرارى . . انى أراه يزيد طولا
عن أى انسان بقدر ذراع ! كم هو لطيف ونبيل وشهم ومقدام
يا بيرارد ، ولا جدال فى بهاء طلعتة وهو على صهوة الجياد !
السيدة بيرارد : فى الحق انه رائع !
(تمر على مقربة من الملك فينفحها حفة من الذهب تدسها فى
جيبها)
بلانش : مثل هذا الرجل لابد أن يكون . .

السيدة بيرارد : (تمدها الى الملك فيزيدها عطاء) انسانا كاملا .
 بلانش : يستشف قلبه من عينيه . قلب كبير !
 السيدة بيرارد : ها في ذلك شك . قلب هائل !
 (تمدها السيدة بيرارد يدها الى الملك لدى كل كلمة تنطق بها
 فيملؤها بقطع ذهبية)
 بلانش : شجاع !
 السيدة : (تواصل خديعتها) مرهوب الجانب !
 بلانش : وهو مع ذلك . . طيب القلب !
 السيدة بيرارد : (ممدودة اليد) حنون !
 بلانش : سخي !
 السيدة بيرارد : (ممدودة اليد) رائع !
 بلانش : (في تنهد عميق) اننى معجبة به !
 السيدة بيرارد : (ممدودة اليد لدى كل عبارة تلفظها) قوام منقطع
 النظر ! عيناه ، جبينه ، أنفه .
 الملك : (محدثا نفسه) يا الهى ! ان العجوز تفصل فى اطرائى ! لقد
 ابتزت كل ما فى حافظتى .
 بلانش : يطيب لى أشادتك به .
 السيدة بيرارد : اننى أعرفه .
 الملك : (محدثا نفسه) انها تسكب الزيت على النار لتذكى ضرامها !
 السيدة بيرارد : طيب القلب حنون ، ذو قلب هائل ، شجاع ، سخي . .
 الملك : (مفرغا كل ما فى جيوبه) يا للشيطان ! انها تعاود !
 السيدة بيرارد : (مسترسلة) انه نبيل عظيم الشأن ، أنيق الثياب ،
 يحمل قفازه علامة مطرزة بالذهب .
 (تمدها الى الملك ، فيومئ اليها بأنه خالى الوفاض)
 بلانش : لا . اننى لا أتمنى أن يكون أميرا أو نبيلًا قط بل أتمناه طالبا
 فقيرا وافدا من الريف فيكون أصدق حبا .
 السيدة بيرارد : قد يكون كما ذكرت ! اذا كنت تفضليته على هذا
 النحو . (محدثة نفسها) ما أعجب ذوقها ! وياله من عقل يافع
 زاهر بالمتناقضات !

(تحاول مرة أخرى أن تمد يدها للملك) لقد جن هذا الشاب
الجميل بحبك ..

(لا يعطيها الملك شيئاً) (محدثة نفسها) أرى أن صاحبنا قد
أفلس . لا كلام بلا دراهم .

بلانش : (دون أن ترى الملك) ان يوم الأحد لا يستبق قط مواعده ،
وان خوفي لشديد حين لا أراه . لقد ظننت ذاك اليوم عند تقديم
القرايين انه سيخاطبني ، فاشتد خفقان قلبي ! اننى أفكر فيه
ليل نهار ، أما عنه فقد توله كما ترين بحبي ، وانى لعل ثقة بأن
صورتى لا تفارق خياله أبداً . تلك هى طبيعته ، وهذا واضح
فيه . انه لا يعبأ بأية فتاة سوى ، يعاف اللهو واللعب والسمير
ولا يفكر الا فى .

السيدة بيرارد : (تبذل محاولة أخيرة وتهد يدها للملك) أقسم على ذلك
برأسى !

الملك : (يخلع خاتمته ويعطيه لها) خاتمى فداء رأسك !

بلانش : كم أتمنى أحيانا حين أفكر فيه نهارا ، وحين أحلم به ليلا ، أن
أراه مائلا أمامى .

(يخرج الملك من مخبئه ويجثو تحت قدميها ، بينما هى كانت موليه
وجهها شطر ناحية أخرى) لكى أقول فى وجهه : عشت سعيدا
قرين العيد . آه ، نعم اننى أح . . .

(تلتفت فترى الملك جاثيا أمامها فتتوقف مشدوهه)

الملك : (ماذا لها ذراعيه) أحبك ! أكملى عبارتك ! اكملها ! قولى
أحبك ولا تخشى شيئا . ان هذه العبارة تنسجم مع هذا الشجر
الجميل !

بلانش : (مدعورة . تبحث بعينيها عن السيدة بيرارد التى اختفت)
بيرارد ! بيرارد ! ما من أحد . رباه ! هل من مجيب ؟ لا أحد .

الملك : (لا يزال جاثيا) حبيبان تباركهما السعادة ، يالها من دنيا
بأسرها !

بلانش : (مرتجفة) سيدى . من أين جئت ؟

الملك : من جهنم أم من السماء ، وسواء كنت الشيطان أو جبريل .
فذلك عندي غير ذى بال اننى أحبك !

بلانش : رحماك أيتها السماء ! أرجو ألا يكون قد رآك أحد . انصرف !
رباه ! لو أن أبى ..

الملك : أنصرف حين أراك مختلجة بين ذراعى ، حين أغدو ملكا لك
وتصبحين ملكا لى ! انك تحبيننى وجهرت بحبك !

بلانش : (فى اضطراب) يا الهى ! لقد كان ينصت الى ..

الملك : بلا شك . وهل من لحن علوى يفوق هذا اللحن تودين أن أنصت .
اليه ؟

بلانش : (متوسلة) والآن وقد تحدثت الى أرجو أن تنصرف ، رحمة بى !
الملك : لن أنصرف حتى يرتبط مصيرك بمصيرى ، ويتألق نجمانا فى
برج واحد ، وأوقظ فيك مشاعر الفتاة . لقد اصطفتنى السماء
لأفتح للحب نفسك العذراء وللنور مقلتيك تعالى وأنظرى . ان
الحب شمس النفوس ، أفلا يشعرك بالدفء لهبها اللطيف ؟ ان
صولجان الملك الذى يمنحنا اياه الموت ثم يسترده منا ، والمجد
الذى نحرز ونحن نصول ونجول فى ساحات الوغى ، والسعى
وراء الشهرة واقتناء الضياع وتسئم العروش كل هذه أمور من
صنع البشر ، وما من شئ فى هذه الحياة - وكل ما فيها الى
زوال - من وحى السماء غير الحب ! أى بلانش ! ان حبيبك يحمل
اليك السعادة ، تلك السعادة التى كانت تنتظر فى استحياء على
بابك ! انما الحياة زهرة والحب رحيقها ، وما الحب الا ذلك
الرباط الذى يجمع فى السماء شمل اليمامة والصقر ، وهو الحسن
المختلج مستندا الى ساعد القوة والبأس وهو يدك المنسية فى لطف
ودعة بين يدي .. تعالى نرتشف كثوس الحب ! تعالى نرتشف
كثوس الحب !

بلانش : كلا . دعنى ! (يضمها بين ذراعيه ويقبلها)

السيدة بيرارد : (فى المؤخرة تحدث نفسها فى الشرفة) ان الأمور
تسير على ما يرام !

الملك : (محدثا نفسه) لقد استسلمت ! (بصوت مرتفع) صارحينى
بحبك !

السيدة بيرارد : (فى المؤخرة تحدث نفسها) ياله من فاجر !
 الملك : بلانش . أعيدى على مسمعى ما قلته .
 بلانش : (مطرقة فى حياء) لقد سمعتنى وتعرف ما قلت .
 الملك : (يعانقها مرة أخرى بشغف) اننى سعيد !
 بلانش : اننى هالكة !
 الملك : لا . بل أنت سعيدة معى !
 بلانش : (تتخلص من عناقه) اننى لا أعرفك . خبرنى ما اسمك ؟
 السيدة بيرارد : (محدثة نفسها فى المؤخرة) حان وقت التفكير فى ذلك .
 بلانش : لا أخالك أميرا أو نبيلًا ، فان أبى يخشى هؤلاء أشد خشية !
 الملك : يالله ! كلا . اسمى . . . (محدثا نفسه) ترى ما هو ؟
 (يبحث) اسمى جوشيه ماهييه . . . طالب . . . طالب رقيق
 الحال . . .
 السيدة بيرارد : (منهمكة فى تلك اللحظة فى احصاء ما أعطى لها من
 نقود) ياله من كذاب أشر !
 (يدلف الى الشارع السيدان دى بين ودى باراديان ملتفين فى
 معطفيهما ، وفى يد كل منهما مصباح هزيل الضوء)
 السيد دى بين : (مخاطبا السيد دى باراديان بصوت خافت) هنا
 أيها الفارس .
 السيدة بيرارد : (فى صوت خفيض وهى تهبط مسرعة من الشرفة) انى
 أسمع صوتا فى الخارج .
 بلانش : (مدعورة) ربما كان أبى !
 السيدة بيرارد : (مخاطبة الملك) انصرف يا سيدى !
 الملك : آه لو يقع فى قبضتى هذا الغادر الذى عكر صفوى !
 بلانش : (مخاطبة السيدة بيرارد) دعيه يمضى سريعا من الباب المؤدى
 الى الطريق .
 الملك : (مخاطبا بلانش) ماذا ؟ أنفترق هكذا مبكرا ؟ ترى ستحبيننى
 فى الغد ؟
 بلانش : وأنت ؟

الملك : طوال عمرى •

بلانش : سوف تخدعنى لأننى خدعت أبى !

الملك : أبدا • قبلة واحدة يا بلانش فى عينيك الجميلتين •

السيدة بيرارد : (محدثة نفسها) ياله من معانق أحق !

بلانش : (متمنعة) لا • لا !

(يعانقها الملك ثم ينصرف برفقة السيدة بيرارد)

(تظل بلانش ردحا من الزمن وعيناها مصوبتان نحو الباب الذى خرج منه ، ثم تعود الى الداخل • يزخر الشارع فى تلك الاثناء بنبلأء مسلحين يرتدون المعاطف والأقنعة • ينضم السيد دى جوردي ثم السادة دى كوسيه ودى بريون ودى مونشينو ودى مونمورانس وكليمان مارو على التوالي الى السيدين دى بين ودى باراديان • الليل حالك السواد ، يطفئ هؤلاء مصباحهم الشاحب ويتبادلون فيما بينهم اشارات التعرف ويرشدون بعضهم البعض الى منزل بلانش ، وفى اثرهم يسير تابع يحمل سلما) •

المشهد الخامس

النبلأء ثم تريبوليه ثم بلانش

(تطلع بلانش الى الشرفة من باب الطابق الأول وفى يدها مشعل يضيئ وجهها) •

بلانش : (واقفة بالشرفة) جوشيه هاهيه ! هذا هو اسم من أحب •
ليكن منقوشا على صفحة قلبى !

السيد دى بين : (مخاطبا النبلأء) انها هى بعينها آيتها السادة •

السيد دى باراديان : لئرى •

السيد دى جوردي : (بازدراء) نسخة من جمال العامة !

(مخاطبا السيد دى بين) اننى راث لحالك اذا جعلت من
الوضيعات متعتك

(تلتفت بلانش فى تلك اللحظة بحيث يتسنى للنبلاء رؤيتها)

السيد دى بين : (مخاطبا السيد دى جورد) كيف تراها الآن ؟

مارو : ما أجمل هذه الشريرة !

السيد دى جورد : أنها جنية ! انها تلك ! انها الحسن كاملا !

السيد دى باراديان : ماذا ؟ أهذه خلية السيد تريبوليه ؟ ياله من
ماكر خبيث !

السيد دى جورد : انه وغد !

مارو : أجمل النساء لأقبح الرجال . هذا هو العدل . ان اله الحب
مغرم بمزج الأشكال .

(تعود بلانش الى حجرتها ، ولا يبدو سوى ضوء من احدى
النوافذ)

السيد دى بين : ينبغي علينا أيها السادة ألا نضيع الوقت سدى فى
الاستحسان والاستهجان . لقد عقدنا العزم على القصاص من
تريبوليه ، وها نحن أولاء مجتمعون الآن وكلنا ناغم عليه ، ومعنا
كذلك سلم خشبي . لنعتلى الجدار ونسلبه غانيته ، ثم نحملها
الى قصر اللوفر فاذا صحا صاحب الجلالة فى صباح الغد وجد
بجواره هذا الجمال الفاتن .

السيد دى كوسيه : من المرجح أن يستأثر بها الملك .

مارو : على الشيطان أن يعالج الأمر بطريقته الخاصة !

السيد دى بين : أحسنت القول . هيا الى العمل !

السيد دى جورد : انها فى الحق قطعة من ملك .

(يدخل تريبوليه)

تريبوليه : (شاردا فى المؤخرة كأنما يحتم) هانذا أعود . ترى
ما الداعي ؟ لا أدري السبب .

السيد دى كوسيه : (مخاطبا النبلاء) ها أنتم ترون أيها السادة كيف

يستلب ملكنا نساء الغير . سواء منهن السمراء أو الشقراء .

وددت لو أعلم ماذا يصنع اذا استولى أحد على الملكة ؟

تريبوليه : (يتقدم بضع خطوات) آه . هنا سرى المكنون ! لقد لعننى هذا العجوز ! ان شيئا ما يقلق خاطرى .

(الظلام دامس ، فلا يرى السيد دى جورود وهو قريب منه .
فيتعثر فيه وهو يمر) من هناك ؟

السيد دى جورود : (عائدا فى ذهول ، يتحدث بصوت خافت الى النبلاء) تريبوليه ، أيها السادة !

السيد دى كوسيه : (خافت الصوت) نصر مزدوج ! لنقتل الغادر !
السيد دن بين : على رسلك ، كلا .

السيد دى كوسيه : انه فى قبضتنا .

السيد دى بين : فسنتقدم فى الغد ، ولن نجد من نسخر منه .

السيد دى جورود : لو أجهزنا عليه فقدت المؤامرة طابعها الفكه .

السيد دى كوسيه : لكنه لن ينفك عن مضايقتنا .

مارو : دعونى أتحدث اليه ، وسأضع الأمور فى نصابها .

تريبوليه : (قابعا فى ركن من الأركان ، متربصا مرهف السمع) اننى أسمع من يتحدث بصوت خافت .

مارو : (مقتربا) تريبوليه !

تريبوليه : (فى صوت مخيف) من هناك ؟

مارو : رويدك . لا تلتهمنا . انه أنا .

تريبوليه : من أنت ؟

مارو : مارو .

تريبوليه : آه ، ما أشد حلقة الليل !

مارو : نعم . لقد صنع الشيطان من السماء سبورة سوداء !

تريبوليه : لم مجيئكم ؟

مارو : جئنا لنحمل السيدة دى كوسيه الى الملك ، أغاب عنك هذا الخاطر ؟

تريبوليه : (يتنفس الصعداء) آه . حسن جدا !

السيد دى كوسيه : (محدثا نفسه) وددت لو أحشم طرفا من أطرافه !

تريبوليه : (مخاطبا مارو) وما سبيلكم الى دخول مخدعها ؟

مارو : (مخاطبا السيد دى كوسيه بصوت خفيض) أعطنى مفتاحك .
(يقدم اليه السيد دى كوسيه مفتاحه . فيناول له بدوره لثريبوليه)
خذ ، تحسس هذا المفتاح . ألا تتبين شعار آل كوسيه منقوشا
عليه ؟

ثريبوليه : (يتحسس المفتاح) نعم . ورقات شجر ثلاث مسننة .
(يتحدث الى نفسه) يا الهى ! ما أشد غباثى ! (مشيرا الى جدار
على اليسار) ها هو ذا قصر آل كوسيه . يا للشيطان ! ما هذه
الوساوس التى تطن فى رأسى ؟
(محدثا مارو وهو يعيد اليه المفتاح) أجنثم لتختطفوا من كوسيه
البدين زوجه ؟ اننى معكم !

مارو : ولكننا جميعا مقنعون .

ثريبوليه : حسنا . أعطنى قناعا .

(يعطيه مارو قناعا ، ويزيد عليه عصبه يشدها الى عينيه وأذنيه)

مارو : عليك أن تسند السلم الخشبى .

(ييسط النبلاء السلم على جدار الشرفة . يأخذ مارو بيد ثريبوليه
الى السلم ويجعله به)

ثريبوليه : (مطبق اليدين على السلم) أأنتم كثيرون ؟ اننى لا أرى
شيئا على الاطلاق .

مارو : لأن الليل حالك الظلام . (مخاطبا الآخرين وهو يضحك) فى
وسعكم أن تصيحوا وأن تسيروا بخطى ثقلى . لقد جعلت العصبه
من صاحبنا أعمى وأصم .

(يتسلق النبلاء السلم الخشبى . يقتحمون باب الطابق الأول عن
طريق الشرفة ، وينفذون الى الداخل فتصل الثله بأكملها الى
الفناء . تتجاز الباب ثم تعود حاملة بلانش مكمة الفم ، شبه
غارية ، تحاول الخلاص) .

بلانش : (شعشاء الشعر ، يسمع صراخها من بعد) أبتاه . هلم
لنجدتى . أبتاه !

صوت النبلاء : (من بعيد) النصر لنا ! (يختفون ومعهم بلانش) .

ثريبوليه : (وحيدا أسفل السلم الخشبى) هل أتوا بى ها هنا لأنظهر
من ذنوبى ؟ ألم تنتهوا بعد ؟ يالها من سخريه مهيبة !

(يترك السلم الخشبي ويضع يده على القناع فيجد العصابة) ان
عينى معصوبتان ! (ينزع العصابة والقناع ، وعلى ضوء مصباح
خافت الضياء ترك منسيا على الارض يرى شيئا أبيض يلتقطه ،
فيتعرف على وشاح ابنته . يلتفت فيرى السلم الخشبي مسندا
الى جدار الشرفة وباب الدار مفتوحا على مصراعيه . يدخل مندفا
كالمجنون ، وبعد لحظات يظهر مرة أخرى وهو يجر السيدة برار
مكممة الفم تكاد تكون عارية ، يحدق فيها برعب ثم يشد شعره
ويطلق صرخات مبحوحة ثم يسترد صوته) ويلاه ، هذه هى
اللعنة !

(يسقط على الأرض مغشيا عليه)

الفصل الثالث

الملك

ايوان الملك في قصر اللوفر • الطلاء الذهبى
والنقوش والاثاث والفرش من طراز عصر
النهضة • فى مقدمة المنظر خوان ومقعد وثير
وكرسى يطوى • وفى المؤخرة باب كبير مذهب
على اليمين باب مخدع الملك ، ومن خلفه سائر
موشى • وعلى اليسار خزانة عليها آنية من
الذهب والمينا • يؤدى باب المؤخرة الى ساحة
الملعب •

المشهد الأول

النبلاء

- السيد دى جوردي : والآن هيا بنا نعد خاتمة المغامرة .
- السيد دى باراديان : لابد لتريبوليه أن يعيى جهدا وأن يسام عذابا .
وألا يتكهن بأن حسناءه هنا .
- السيد دى كوسيه : ليفتش عن خليلته . نعم ، هذا شيء جميل . ولكن
هبوا أن حراس الأبواب قد رأونا هذه الليلة ونحن ندخلها .
- السيد دى موثسينو : لقد أمر جميع الحراس بأن يذكروا له انهم لم
يروا الليلة قط امرأة تدخل قصر اللوفر .
- السيد دى باراديان : وفضلا عن ذلك ، وامعانا في التضليل ، سعى الى
داره خادم من خدمي ، لثيم بارع في نسج المكائد ، لكي يفضي
- بصورة أو بأخرى - الى رجال المهرج بأنه قد رأى في منتصف
الليل امرأة يجرونها جرا الى قصر « هوتفور » وهي نحاول الخلاص
جاهدة .
- السيد دى كوسيه : (ضاحكا) حسنا ، وذكر قصر هوتفور يقذف به
بعيدا عن قصر اللوفر !
- السيد دى جوردي : لنحكم شد تلك العصبة التي تغطي عينيه .
- مارو : لقد بعثت الى المهرج صباحا بهذه الرسالة (يخرج ورقة ويقرأ)
« لقد اختطف غانيتك يا تريبوليه ، وسأصطحبها معي - ان لم
يكن بد من اعلامك - الى خارج فرنسا ،
(يضحك الجميع)
- السيد دى جوردي : (مخاطبا مارو) والتوقيع ؟
- مارو : جان دى نيفيل !
(تشتد عاصفة الضحك)

السيد دى باراديان : كم سيضنيه البحث !

السيد دى كوسيه : وفى ذلك ما يشفى غليلي !

السيد دى ورد : ليوف لنا هذا الشقى يوما بكل ما سلف من دين ،
ونراه وهو يجر أذيال اليأس ، منكمش الرسغين ، منقبض الأنياب
من فرط الغضب .

(ينفتح الباب الجانبي . يدخل الملك مرتديا حلة صباحية رائعة
وبصحته السيد دى بين يسطف رجال البلاط حاسرى الرؤوس .
يضحك الملك والسيد دى بين ملء شديهما)

الملك : (مشيرا الى باب المؤخرة) أهى هناك ؟

السيد دى بين : انها خلية تريبوليه .

الملك : حقا ؟ يالله ؟ أشلحتهم من مهرجى خليلته ؟ هذا بديع !

السيد دى بين : اما خليلته واما زوجه .

الملك : (محدثا نفسه) زوجه أو ابنته ، لا علم لى ان كان رب أسرة .

السيد دى بين : أيود مولاي أن يشاهدها ؟

الملك : بلا شك .

(يخرج السيد دى بين ويعود بعد لحظة ، تستند الى ذراعه
بلانش وهى تسير مترنحة وعلى وجهها نقاب . يجلس الملك فى
استرخاء على مقعده)

السيد دى بين : (مخاطبا بلانش) أدخلى أيتها الحسناء . سوف
ترتجفين فيما بعد كما يطيب لك . أنت فى حضرة الملك .

بلانش : (محتفظة بنقابها) أهذا الشاب هو الملك ؟

(تهرع وتجنو تحت قدميه . واذا يسمع الملك صوتها ينتفض
ويومئ الى الحاضرين بالانصراف)

المشهد الثانى

الملك - بلانش

الملك وحده ومعه بلانش ، يرفع عن وجهها النقاب
الذى يحجبه

الملك : بلانش !

بلانش : جوشيه ماهيه ! يا للسماء !

الملك : (منفجرا فى الضحك) أقسم بشرفى أننى أسعد الناس بهذه
الخدعة ، سواء أكانت عن قصد أو بلا قصد . تعالى بين أحضانى
يا جميلتى ، يا حبيبتى بلانش .

بلانش : (متراجعة) ملك .. ملك ! أطلق سراحى يا مولاي ! يا الهى !
اننى لا أدرى كيف أتحدث وماذا أقول يا سيد جوشيه ماهيه ..
لا ، بل أنت الملك .

(تجثو أمامه مرة أخرى) أواه ، أدركنى برحمتك ، أيا كنت !

الملك : أأرحمك يا بلانش وأنا من يعبدك ؟ ان ما قاله جوشيه ماهيه
مازال يردده فرنسوا . انك تحبيننى وأنا أحبك ، ونحن سعيدان
بهذا الحب . وكونى ملكا لا ينال من حبى لك . كنت يا طفلى
تظنين أننى من أواسط الناس أو من سلالة الكهان ، بل ربما أدنى
من ذلك شأنا ، فلئن جعلتنى المصادفة أكرم من ذلك محتدا وجعلت
منى ملكا ؟ فهذا لا يدعو لبالغ تقززك منى فجأة ، ولئن لم يتح لى
الحظ أن أكون من أهل القرى فذلك مالا أحفل به .

بلانش : (محدثة نفسها) يا الهى ! يالها من سخرية ! ليتنى مت قبل
هذا !

الملك : (مبتسما فى مزيد من الضحك) اللهو والرقص والحفلات
والجولات ، ومغانى الحب مساء فى ربوع الغايات ، ومئات المباهج
التي يسترها جناح الليل ، كل ذلك سيزخر به مستقبل حياتك
التي سوف تقترن بحياتى ! لنكن حبيين ، حبيين سعيدين !
لنكن زوجين ! لابد من يوم تدركنا فيه الكهولة ، فدعيني أصارحك

بأن الحياة هو نسيج تومض فى بعض مواضعه برغم بلى السنين
بعض لحظات الحب ، ولولا تلك الشذرات اللامعة لما كانت سوى
خرقة كثيبة !

(ضاحكا) اننى كثيرا ما أفكر يا بلانش فى كل هذه الأمور ،
فأخرج منها بهذه الحكمة ! لنحمد الله ! ولنحب ، ولنستمتع
بالحياة ، ونملأ بطوننا بأطيب الطعام !

بلانش : (مطرقة برأسها متراجعة) يا لأوهامى ! كم هو بعيد الشبه
عمن تخيلت !

الملك : ماذا ؟ أكنت تحسبىنى عاشقا مضطربا ساذجا من زمرة هؤلاء
المجانين العابسين ، الذين خدمت مشاعرهم فظنوا أن فى اطلاق
الزفرات المتلذذة ما يكفى لترنوا اليهم أبصار النساء كافة ، وتهفو
الأفتدة التى انبهرت بهم ؟

بلانش : (فى اعراض) دعنى ! يا لى من تعسة !

الملك : أتعرفين من نحن ؟ ان فرنسا وشعبها بأسره ، خمسة عشر مليونا
من البشر ، ان الغنى والجاه والمتعة والسلطان الذى لا يقف دونه
قانون ولا حائل ، كل ذلك ملك يمينى ورهن اشارتى . أنا الملك
وستصحبين ملكة هذا الملك . بلانش ، أنا الملك ، وستكونين أنت
الملكة .

بلانش : الملكة ؟ وماذا عن زوجتك ؟

الملك : (ضاحكا) يا للفضيلة والبراءة ! ألا ترين أن زوجتى ليست
عشيقتى ؟

بلانش : أأكون عشيقتك ! كلا . . يا للعار !

الملك : ياله من كبرياء !

بلانش : لست ملكا لك . لا . اننى ملك لأبى .

الملك : ومن يكون أبوك ؟ تريبوليه ؟ هذا المجنون ، مهرج قصرى ؟ ان
أباك ملك يدى ، أصنع به ما يروق لى ، ورغبته صدى رغبتي .

بلانش : (منتحبة بحرقه ورأسها بين يديها) يا الهى ! ما أتعسك
يا أبتاه ! ماذا ؟ كل شئ اذن ملك يديك ؟

(تجهش بالبكاء فيرتدى الملك تحت قدميها ليسرى عنها)

الملك : (بلهجة حانية) بلانش ! أنت عزيزة على ! بلانش ، لا تبك .
تعالى الى صدرى .

بلانش : (تقاوم) محال !

الملك : (فى حنان) لم تعيدى بعد على مسامعى انك تحبيننى .
بلانش : وا أسفاه ! لقد انتهى كل شيء .

الملك : لقد جرحت دون قصد مشاعرك . لا تنتجبنى كمن لا حول له
ولا قوة . انى لأوثر المنون ، أوثر أن يذاع عنى فى مملكتى
ودوقيتى أننى ملك بلا شجاعة أو شهامة على ابكاء عينيك على هذا
النحو . ان ملكا يبكى سيدة لهو ملك جبان رعديد .
بلانش : (ذاهلة باكية) ان ما حدث لم يكن سوى دعاة . أليس
كذلك ؟ أنت الملك ، ولكن لى أب يبكى لفراقى . أعدنى اليه ،
اننى أظن أمام قصر كوسيه ، ولكنك تعرف ذلك حق المعرفة .
آه ، من انت اذن ؟ اننى لا أعى مما جرى شيئا ، لقد حملونى بين
صيححات التهليل والفرح ، وذلك كله مختلط فى ذهنى كالحلم .
(باكية) لم أعد أدري حتى اذا كنت لا أزال أحبك ، أنت يا من
توسمت فيه الوداعة والحنان ! (متراجعة فى رعب) أنت الملك !
اننى أخاف منك !

الملك : (محاولا ضمها بين ذراعيه) أخيفك أيتها الخبيثة !

بلانش : (وهى تصده) لا . . . دعنى !

الملك : (يشدها اليه ويعانقها) ترى ماذا أبغى ؟ قبله فيها الصفح !

بلانش : (فى محاولة للافلات منه) كلا !

الملك : (محدثا نفسه وهو يضحك) يالها من فتاة غريبة !

بلانش : (متخلصة من أحضانه) دعنى ! هذا هو الباب !

(تلمح باب مخدع الملك مفتوحا ، فتندفع الى الحجرة وتغلقها عليها
بعنف)

الملك : (يناول مفتاحا ذهبيا صغيرا من حزامه) ان المفتاح معى .

(يفتح الباب ويدفعه بعنف ثم يدخل ويغلق الباب خلفه)

مارو : (ضاحكا . وكان يرقب منذ آونة ما يدور من باب المؤخرة) لقد
التمست الحماية فى مخدع الملك ! ما أشقاك أيتها الصغيرة !

(مناديا السيد دى جورد) تعال أيها الكونت .

المشهد الثالث

مارو - السادة النبلاء - تريبوليه

السيد دى جورود : (مخاطبا مارو) هل عاد ؟

مارو : ان الليث قد سحب الشاة الى عرينه .

السيد دى باراديان : (قافزا من فرط الفرح) يالك من مسكين
يا تريبوليه !

السيد دى بين : (وكان قائما بالباب وعيناه محدقتان الى الخارج)
صه ! انه قادم .

السيد دى جورود : (مخاطبا النبلاء بصوت خافت) الزموا الهدوء !
ينبغى ألا يبدو علينا أى شيء ، ولنكن جميعا شديدي الحذر .

مارو : فى مقدوره أيها السادة أن يتعرف على دونكم جميعا . فهو لم
يتحدث الا معي .

السيد دى بين : ينبغى ألا تظهر له شيئا .

(يدخل تريبوليه . لم يتغير فيه شيء . عليه زى المهرج وفيه
لامبالاته . وان كان همتقع الوجه شاحبه)

السيد دى بين : (يبدو كأنما يواصل حديثا استهزل من قبل ، ويحملق
محذرا بعض النبلاء الشبان الذين يكتبون ضحكات مكتومة لدى
رؤيتهم تريبوليه)

نعم أيها السادة . وعند ذاك . . آه ، سعدت صباحا يا تريبوليه !
وعند ذاك صاغوا هذه الأغنية فى مقاطع

(يغنى) حين رأى الملك مرسيليا قال لرجاله

يا لله ! أى قائد سنلقى فى هذا البلد

تريبوليه : (مكلا الأغنية) وعلى قمة جبل الكولومب كان المر ضيقا
فصعدوا جميعا دفعة واحدة .

وهم ينفخون فى أصابعهم بغية الدفء .
(ضحكات ساخرة وتصفيق حاد)

الجميع : بالضبط !

تريبوليه : (يواصل التقدم فى بطء حتى مقدمة المنظر ثم يتحدث الى
نفسه)

ترى أين يحتفل أن تكون ؟

(يمضى يندندن) فصعدوا جميعا دفعة واحدة

وهم ينفخون فى أصابعهم بغية الدفء

السيد دى جوورد : (مصفقا) مرحى ، تريبوليه ، مرحى !

تريبوليه : (يتفرس فى كافة الوجوه التى تضحك من حوله ثم يتحدث
الى نفسه)

لقد أسهم الجميع فى توجيه هذه اللطمة . هذا مالا شك فيه !

السيد دى كوسيه : (رابتا على كتف تريبوليه وهو يضحك ملء
شدقيه) ما وراؤك من جديد أيها المهرج ؟

تريبوليه : مخاطبا الآخرين وهو يشير الى السيد دى كوسيه) ان هذا
النبيل ليثير الفجع حين يضحك . (مقلدا ما قاله السيد دى
كوسيه) ما وراؤك من جديد أيها المهرج ؟

السيد دى كوسيه : (ضاحكا دائما) نعم . ماذا جئت تفضى به إلينا ؟

تريبوليه : (متطلعا اليه من قمة الرأس الى أخمص القدم) خلال الشطر
الأول من المشهد . يبدو تريبوليه كأنما يبحث ويفحص
وينقب فيما حوله ، وكثيرا ما تدل نظراته وحدها على الهم
والتفكير العميق ، وأحيانا حين يعتقد أنه بمنأى عن العيون
يحرك قطعة من الأثاث من مكانها أو يدير قبضة باب ليرى ان كان
موصدا . وفيما عدا ذلك فهو يتحدث الى الجميع كالعادة بأسلوب
ساخر يتسم بالبساطة واللامبالاة ، والنبلاء من جانبهم يضحكون
فيما بينهم همسا ، ويتبادلون الاشارات وهم يتحدثون فى
موضوعات شتى)

ترى أين أخفوها ؟ آه . لو سألتهم عنها فسيضحكون منى !
 (يقترب من مارو ويخاطبه فى مرح) من دواعى سرورى أنك لم
 تصب بركام ليلة الأمس .
مارو : (مصطنعا المفاجأة) ليلة الأمس ؟
تريبوليه : (غامزا بعينه كأنما أدرك الأمر بذكائه) دعابة قاسية طربت
 لها !
مارو : أية دعابة ؟
تريبوليه : (وهو يهز رأسه) نعم !
مارو : (فى براءة) كل ما فعلت ليلة الأمس هو أننى آويت الى فراشى
 حين دقت ساعة حظر التجول ، والتفتت بأغطيتى ، ولم أستيقظ
 الا مع بزوغ الشمس .
تريبوليه : عجبا ! ألم تخرج ليلة الأمس ؟ لعلها كانت اضغاث أحلام !
 (يلمح مندبلا على الخوان فينقض عليه)
السيد دى بارادبان : (متحدثا بصوت خافت الى السيد دى بين) انظر
 أيها الدوق . انه يتأمل الحرف المطرز على منديل .
تريبوليه : (يسقط المنديل من يده ويتحدث الى نفسه) لا . ليس
 هذا منديلها .
السيد دى بين : (مخاطبا بعض الشبان الذين يضحكون فى المؤخرة)
 أيها السادة ! ..
تريبوليه : (محدثا نفسه) ترى أين هى ؟
السيد دى بين : (مخاطبا السيد دى جورد) ما الذى يضحكك بهذا
 بهذا الشكل ؟
السيد دى جورد : (مشيرا الى مارو) أقسم بأنه هو الذى يضحكنا .
تريبوليه : (محدثا نفسه) انهم اليوم فى غاية السرور .
السيد دى جورد : (مخاطبا مارو وهو يضحك) لا تحملك فى هكذا
 بارتياب . والا قذفت بتريبوليه فوق أم رأسك .
تريبوليه : (مخاطبا السيد دى بين) ألم يستيقظ الملك بعد ؟
السيد دى بين : فى الحقيقة لا !

تريبوليه : أليست هناك ثمة حركة فى جناحه ؟

(يريد أن يدنو من باب المخدع فيقف فى وجهه السيد دى باراديان)

لا توقظ صاحب الجلالة !

السيد دى جوړو : (مخاطبا السيد دى باراديان) أيها الكونت : لقد

روى لنا هذا الأفاق مارو قصة طريقة عن الأخوة الثلاثة «جى» ،

فعند عودتهم ليلة امس ، ولا أدري أين كانوا ، وجدوا ، آه !

ماذا قال هذا الاستاذ المخبول ؟ وجدوا زوجاتهم - الثلاث جميعا -

مع آخرين .

مارو : فى خلوقم ...

تريبوليه : لقد استبيحت الحرمات فى هذا الزمان !

السيد دى كوسيه : ما أشد غدر النساء !

تريبوليه : (مخاطبا السيد دى كوسيه) آه ، عليك بالحدز !

السيد دى كوسيه : ماذا ؟

تريبوليه : عليك بالحدز يا سيد دى كوسيه .

السيد دى كوسيه : ماذا ؟

تريبوليه : أرى حدثا فظيحا يتهددك .

السيد دى كوسيه : ماذا تقول ؟

تريبوليه : (فى استعلاء وسخرية) مغامرة على غرار هذه تماما .

السيد دى كوسيه : (مهددا فى سخط) الويل لك !

تريبوليه : يها السادة ! ان الحيوان لمشوق جدا الى المعرفة . هذه هي

الصيحة التى يطلقها حين يستبد به الغيظ (مقلدا دى كوسيه)

الويل لك !

(يضحك الجميع . ثم يدخل أحد النبلاء مرتديا زى حاشية الملك)

السيد دى بين : ما وراءك يافو دراجون ؟

النبيل : ان مولاتى تريد لقاء الملك فى أمر عاجل .

(يومئ اليه السيد دى بين باستحالة تنفيذ هذا الطلب فيصر

النبيل) ولكن السيدة دى بريزيه ليست عنده .

السيد دى بين : (بصبر نافذ) لم يستيقظ الملك .

النبيل : ماذا تقول أيها الدوق ؟ لقد كان معك توا .

السيد دى بين : (يشتم به السخط ويومئ الى النبيل بأشارات

لا يدركها هو وانما يلحظها تريبوليه بانتباه شديد) ان الملك يصطاد !

النبيل : وحده طبعاً • بغير حجاب أو مدربي كلاب • لأن هؤلاء جميعاً هنا السيد دى بين : (محدثاً نفسه) يا للشيطان !

(مخاطباً النبيل وهو يحدق فى عينيه بغضب) نقول لك أن الملك لا يستطيع لقاء أحد • أفهمت ؟

تريبوليه : (صائحاً بصوت كالرعد) انها هنا ! هى مع الملك !
(يسود الدهشة بين الجميع)

السيد دى جورد : ماذا دهاه ؟ انه يهذى ! من هى ؟

تريبوليه : انكم تعلمون حق العلم - أيها السادة - من أعنى ، وما من سبيل لحمل على الانصراف • انها المخلوقة الكسيرة التى قمت باختطافها أنتم جميعاً من دارى ليلة الامس : كوسيه وبين والشيطان وبريون ومونورانس ، وأنت كذلك ضال معهم يا سيد دى باراديان سوف أستردها أيها السادة • انها هنا •

السيد دى بين : (ضاحكاً) لقد فقد تريبوليه خليلته ، وسواء أكانت وسيمة أم دهيمة فليفتش عنها فى غير هذا المكان •

تريبوليه : (فى صوت راعب) أريد ابنتى !

الجميع : ابنته ؟

(حركة استغراب ودهش)

تريبوليه : (متشاك الذراعين) انها ابنتى ! نعم • فلتضحكون الآن ! عجباً ، مالكم لا تنطقون ؟ أيدهشكم أن تروا هذا المهرج أباً وله ابنة ؟ أو ليس للذئاب وللنبلاء أسر ؟ أفلا يجوز أن تكون لى كذلك أسرة ؟ أفيقوا وكفى هذراً ! (بصوت مرعب) اذا كنتم تمزحون فهذا شئ لطيف • ولكن لابد لهذا المزاح من نهاية ! انى أريد ابنتى ، أريدها ، أوعيتم ما أقول ؟ نعم • انكم تتهامسون وتحدثون فى هذا الأمر هازئين ساخرين ، ولكنى لا أعبأ بمظاهر انتصاركم •

أيها السادة ، انى أطلبكم بابنتى •

(يقفز الى باب ويدع الملك) انها هنا !

(يصطف النبلاء جميعا ويقفون فى وجهه)

مارو : لقد تحول جنونه الى سعر .

تريبوليه : (متراجعا فى يأس) أيتها الحاشية ، أيها الأبالسة ، أيها الجنس اللعين ! لا مراة فى أنهم سرقوا ابنتى هؤلاء القراصنة ! ان المرأة لا تساوى فى نظرهم شرو نقيرو ! وحين يكون الملك - لحسن الحظ - ملك الدعار ، وحين يكون النبلاء على حذق ولباقة ، ففى وسع الزوجات أن يفدنهم أجل الفوائد . أما شرف العذراء فهو فى حسابهم ترف لا فائدة منه وأمانة ثقيلة العبء ، والمرأة ما هى الا حقل يغفل ، أو ضيعة يوفى ايجارها الملكى فى أجل معلوم ، اما نعم تغدق عليهم بالمئات ولا أدرى من أين ، واما منصب خطير أو قلادة تزين العنق أو سليل من المنح يجرى بلا انقطاع . (يتفرس فى وجوه الجميع) ألا أجد من بينكم أحدا يكذبنى ! أليس هذا فى الواقع هو الصدق بعينه ؟ (يدور عليهم كل بدوره) انكم جميعا تودون أن تبيعوا له ، ان لم يكن قد بعت له بالفعل ، لقاء لقب أو رتبة وما الى ذلك من الخرافات . (مخاطبا السيد دى بريون) أنت يا بريون تبيع له زوجتك ! (مشيرا الى السيد دى جورد) وأنت أختك ! (مشيرا الى الشاب بارايان) وأنت أمك !

حاجب : (يصب كأسا من النبيذ وهو جالس الى الخوان ، ثم يأخذ فى الشراب وهو يدندن)

حين رأى الملك مرسيليا قال لرجاله :

يا لله ! أى قائد سنلقى فى هذا البلد

تريبوليه : (مستديرا) لا أدرى لم يحرص يا فيكونت دوبوسون على أن أحطم بين أسنانك كأسك وأغنيتك ! (مخاطبا الجميع) ترى من يصدق أن أدواقا وأمراء وكبراء من بلاد الاسبان . يا للعار ! من يصدق أن ملكا من سلالة شرلمان ، وبريون من حفدة أمير ميلانو ، وجورد سيميان ، وبيين ، وباراديان ، وأنت يا موغورانسى ألمع ما عرف من أسماء ، تسلبون من شقى ابنته ؟ كلا . محال أن ينتسب الى هذه البيوتات العريقة من يكن تحت شعاراتها الرفيعة نفسا وضيعة ! كلا . لستم أبناء تلك الأسر ، فبين غمرات

السخرية والمجون زنت فيكم أمهاتكم مع الخدم ، فأنتم جميعا أبناء
سفاح !

***السيد دى جوو : ماذا ؟ هذا كلام غريب !**

تربيولييه : كم بذل لكم الملك ، لتبيعوا له فلذة كبدي ؟ لقد نقدكم ثمن
الصفقة . تكلّموا ! (يشد شعر رأسه) لو اننى رغبت ، وأنا
ليس لى سواها ، لنقدنى يقينا ثمنها ، وهى من جمعت ولا شك
بين الصبا والجمال !

(متطلعا اليهم) أظن ملككم انه يقدر لى على شىء ؟ أيستطيع أن
يضى على جاها كجأهكم ؟ أيستطيع أن يجعل منى مخلوقا وسيما
أحسن خلقه كسائر البشر ؟ يا للسعير ! لقد سلبنى كل شىء !
الا أن هذه المكيدة البارة الوضيعة الفجرة دبرت فى خسة وجبن !
أيها الأشرار ، أيها السفاحون ! انكم قراصنة لصصوص فجرة ،
تستطيعون تعذيب النساء ! لابد لى من ابنتى أيها السادة .
لابد لى منها أخيرا ! هل ستعيدونها الى فورا ؟ آه ، أترون هذه
اليد ؟ انها يد عديمة الأثر ، يد رجل من السوق ، يد رقيق
جلف . ألا ان هذه اليد التى تبدو للساعرين عزلاء بلا سيف ،
لهى يد ذات أظفار أيها السادة أيخيل الى اننى انتظرت طويلا !
أعيدوها الى . هذا هو الباب . افتحوا الباب . (ينقض مرة أخرى
فى سورة هياج على الباب ، فيهب لحمايته النبلاء جميعا يقاوم
المهرج لفترة ثم يعود فيتهاوى فى مقدمة المسرح ، محطما لاهنا ،
خائر القوى جاثيا على ركبتيه) أتقفون جميعا فى وجهى ؟ عشرة
يتصدون لواحد !

(يستسلم للبكاء والنشيج) دعونى أبكى . نعم !

(مخاطبا مارو) أى مارو ، لقد انتشيت على حسابى بما فيه
الكفاية ، فان كنت لا تزال تطوى تحت رداك المطرز ثمة ضمير
حى وعقل ملهم واحساس العامة فخيرنى أين أخفوها وماذا فعلوا
بها ! انها هنا ، أليس كذلك ؟ لندع هؤلاء الملاعين الأشرار ،
ولنتحدث فيما يعنيننا كأخوة ، انك تتصف دون سائر النبلاء
بالحكمة والحجى يا مارو . أى صديقى الكريم مارو ! مالك تلوذ
بالصمت ؟

» زاحفا على الأرض فى اتجاه النبلاء (أواه ! انظروا ! هأنذا جات

يا سادتي تحت أقدامكم ألتمس الصفح والغفران ! اننى مريض . .
 أناشدكم الرحمة ! ربما كنت أحتمل هذا الكيد فيما مضى ،
 ولكنى كما ترون ، أعانى فى كل خطوة آلاما مبرحة فى جسدى
 لا أفضى بها الى أحد ، وهكذا يعيش الأشوه أيامه فى شقاء وتعس .
 اغفوا عنى ، فانى مهرجكم من سنين عديدة ! رحماكم . لا تحطموا
 هكذا دميتمكم ، لا تحطموا تريبولييه المسكين الذى طالما أضحككم !
 صدقونى ، لم أعد أدري الآن ما أقول لكم . ردوا الى طفلى أيها
 السادة ! ردوا الى ابنتى التى تخفونها فى مخدع الملك . انها
 ذخرى ومالى سواها من ذخر ، رحمة بى أيها السادة النبلاء ! ماذا
 تتوقعون منى بدون ابنتى ؟ يا لسوء مصيرى ، لقد كانت كل مالى
 من حطام الدنيا !

(يلوذ الجميع بالصمت فينهض فى يأس) يا لله ! ألا تعرفون
 سوى الضحك أو الصمت ؟ انها لمتعة كبرى اذن أن نروا أبا بائسا
 يشن قلبه جراحا ، وينزع من مفرقة شعرات تكفل بياضها ليلتان
 من هذا القبيل !

(ينفتح باب مخدع الملك بغتة وتخرج منه بلانش شاردة اللب .
 شعشاء الشعر ذاهلة ، فترتمى بين ذراعى أبيها وتطلق صرخة
 رهيبية) .

بلانش : أبتاه !

تريبولييه : (يضمها بين ذراعيه) طفلى ! أواه ! انها هى . ها هى ذى
 ابنتى أيها السادة ! (تخنقه العبرات والضحكات) أترون ؟ انها
 كل أهلى ، انها ملاكى ، وبدونها يتشج بالسواد دارى ! أأست
 محقا يا سادتي فى أن أحدا لا يستطيع لومى على حزنى والتياعى ،
 وأن فى مجرد رؤية هذه الطفلة الجذابة الوداعة ما ينلج الصدر ،
 وأن النفس لابد ذاهبة على فقدها حسرات !

(مخاطبا بلانش) لا تخشى بعد الآن شيئا يا ابنتى ، لقد كانت
 مجرد دعابة ، كانت ضربا من المزاح . أراهن انك تشعرين بالرعب
 منهم ، ولكنهم قوم كرام النفس . لقد أدركوا مدى محبتى لك
 وسيدعوننا من اليوم نحى فى هدوء وسلام . (مخاطبا النبلاء)
 اليس كذلك ؟ (مخاطبا بلانش) ما أسعدنى بلبياك ! ان قلبى
 الآن مفعم بالغبطة حتى اننى لا أدري ما اذا كان يسعدنى أن أفقدك .

برهة لكى أعود بعدها فأجذك • اننى أضحك وكنت من قبل أبكى
عليك • (يتأملها بقلق) ولكن فيم بكاؤك ، أنت ؟
بلانش : (مخيفة بيديها وجها كسنة الدموع وحمرة الخجل) يا لنا من
تعساء ! العار ..

تريبوليه : (منتفضا) ماذا تقولين ؟

بلانش : (مخفية وجهها فى حضن أبيها) ليس على مسمع من هؤلاء
الرجال • سأفضى بعارى لك وحدك •

تريبوليه : (متجها فى سورة غضب صوب باب الملك) يا للفاجر !
حتى هذه أيضا !

بلانش : (تجهش بالبكاء وتهوى تحت قدميه) أود أن أنفرد بك !

تريبوليه : (يخطو بضع خطوات ثم يشير الى النبلاء الواجدين) انصرفوا
من هنا آ واذا اجتراً فرانسوا - لسوء حظه - على المرور قريبا من
هنا •• (مخاطبا السيد دى فرماندوا) أنت من حراسة ، فعليك
أن تخطره بألا يدخل ، واننى هنا •

السيد دى بين : لم أر من قبل مجونا بهذا الشكل •

السيد دى جورو : (مومئا اليه بالانسحاب) لا تثريب على المجانين كما
لا تثريب على الصغار • وعلى كل لنكن من أمرنا على يقظة ، خشية
أن يقع مالا يحمد عقباه •
(ينصرفون)

تريبوليه : (متربعا على مقعد الملك • يرفع ابنته ، ثم يخاطبها فى صوت
هادئ رهيب) هيا ، تحدثنى ، قصى على ما حدث كاملا •

(يلتفت فيلمح السيد دى كوسيه وكان قد تخلف • يهم تريبوليه
الى منتصف قامته ويشير له الى الباب) ألم تسمعنى يا سيدى ؟
السيد دى كوسيه : (منسحبا كأنما يذعن لسلطان المهرج) ان المجانين
يفخرون باستباحة كل شئ •
(ينصرف)

المشهد الرابع

بلانش - تريبوليه

تريبوليه : (فى لهجة جادة) والآن تكلمى .

بلانش : (مطرقة الرأس ، تنشج بين الحين والحين بالبكاء) ينبغى أن أقص عليك يا أبتاه أنه تسلل الى الدار ليلة أمس . . (باكية ويداها على عينيها) اننى خجلة ! (يضمها تريبوليه بين ذراعيه ويمسح جبينها بحنان) منذ أمد بعيد - وكان على أن أعلمك سلفا - كان يتابعنى . .

(نقطع حديثها مرة أخرى) ينبغى أن أستهل من البداية . . لم يكن يخاطبنى . فأتنى أن أذكر لك أن هذا الشاب كان يتردد على الكنيسة أيام الآحاد .

تريبوليه : نعم . الملك ؟

بلانش : (مواصلة حديثها) وأذكر انه كان يهز دوما مقعدى حين يمر بجوارى حتى ألتفت إليه .

(بصوت يزداد وهنا) وبالأمس استطاع أن يدخل الدار . .

تريبوليه : دعينى أوفر عليك مرارة الافضاء . اننى أحزر بقية ما حدث ! (ناهضا) يا للهول ! لقد دفع بالخزى والعار جبينك ، ودنست أنفاسه هذا الجو النقى الذى يحيطك ، ونزع بضراوة تاج عفافك ! أى بلانش ! انت ملاذى فيما أنا عليه من حال ، وسنا النهار الذى يوقظنى حين أدلف من دجى ليلىهم . أنت الروح التى ترقى بروحي الى عالم الفضيلة ، وستر الكرامة الذى ينسبط فوق مذلتى . أنت الراحة لهذا اللعين الذى أضح الكل عنه ، والملاك الذى نسيت رحمة الله لديه ! يا للسماء ! لقد ضاع ودفن فى أدران الوحل أقدس ما آمنت به فى هذا الوجود ! ترى ما مصيرى اثر هذه

المشهد الرابع

بلانش - تريبوليه

تريبوليه : (فى لهجة جادة) والآن تكلمى .

بلانش : (مطرقة الرأس ، تنسج بين الحين والحين بالبكاء) ينبغى أن أقص عليك يا أبتاه أنه تسلل الى الدار ليلة أمس .. (باكية ويداها على عينيها) اننى خجلة ! (يضمها تريبوليه بين ذراعيه ويمسح جبينها بحنان) منذ أمد بعيد - وكان على أن أعلمك سلفا - كان يتابعنى ..

(نقطع حديثها مرة أخرى) ينبغى أن أستهل من البداية .. لم يكن يخاطبنى . فاتنى أن أذكر لك أن هذا الشاب كان يتردد على الكنيسة أيام الآحاد .

تريبوليه : نعم . الملك ؟

بلانش : (مواصلة حديثها) وأذكر انه كان يهز دوما مقعدى حين يمر بجوارى حتى ألتفت اليه .

(بصوت يزداد وهنا) وبالأمس استطاع أن يدخل الدار ..

تريبوليه : دعينى أوفر عليك مرارة الاقضاء . اننى أحزر بقية ما حدث! (ناهضا) يا للهول ! لقد دفع بالخزى والعار جبينك ، وودنت أنفاسه هذا الجو النقى الذى يحيطك ، ونزع بضراوة تاج عفافك! أى بلانش ! انت ملاذى فيما أنا عليه من حال ، وسنا النهار الذى يوقظنى حين أدلف من دجى ليلهم . أنت الروح التى ترقى بروحى الى عالم الفضيلة ، وستر الكرامة الذى ينبسط فوق مذلتى . أنت الراحة لهذا اللعين الذى أشاح الكل عنه ، والملاك الذى نسيت رحمة الله لديه ! يا للسماء ! لقد ضاع ودفن فى أدران الوحل أقدس ما أمنت به فى هذا الوجود ! ترى ما مصيرى اثر هذه

الضربة القاضية وأنا الذى - من هذا القصر الواعر - رضيت أم
كرهت - لا أرى على ظهر البسيطة سوى الرذيلة والفساد والوقاحة
والفجر والفسق والعار ، وليس لى تحت عرش السماء ما تقربه
عينى سوى عذريتك وطهرتك ؟ لقد أذعنت ورضيت بما قدر لى من
شقاء وبؤس !

ان الدمع والذل الأصل فى النفس وليس من سبيل غيره ،
والكبرياء الذى ينزف على الدوام وما فى أعماق قلبى الكسير ،
وضحكات المهانة التى تشخذ من أوجاعى . نعم ، ان تلك الآلام
جميعها ، مزيجة بالعار ، قد ارتضيتها يارب لنفسى وليس لها !
فبقدر ما كنت أوغل فى السقوط كنت أنشد لها علوا . فلا بد من
هيكل مقدس بالقرب من المقصلة . وأحر قلباه ! لقد انقلب
رأسا على عقب ! نعم أخفى جبينك وابكى يا طفلى الغالية ! لقد
جعلتك تتحدثين طويلا من هنيهة ، أليس كذلك ؟ أبكى ما شاء الله
لك البكاء ، ففى مثل سنك قد ينصرف مع الدمع أحيانا بعض
الآلم . اسفحى ان استطعت كل دمعة فى صدر أبيك ! (حالما)
سنرحل عن باريس يا بلانش حالما أفرغ مما بقى على القيام به ،
لو خلصت منه ! (حالما دالهما) ماذا ؟ أولا يكفى يوم واحد ليتبدل
الحال غير الحال ؟

(ينهض فى ذعر) يا للعة ! من كان فى وسعه أن ينبئن أن
زبانية هذا القصر الفاجر الجامع المحموم ، أولئك الذين دأبوا على
الكر والفر ساحقين تحت أقدامهم المرأة والطفل ، مقارفين كل
ما نهى الله عنه ، يحون كل كبيرة بأخرى أفحش منها ، وينثرون
الى مدى بعيد فيض الدماء والوحل ، قد مضوا الى أغوار الظلام حيث
تعيشين بمنأى عن أعينهم ، ليدنسوا هذا الجين النقى الطاهر !

(ملتفتا الى غرفة الملك) أيها الملك ! قادر ربى وهو لدعائى سميع
أن يزل قدمك فى هذا الطريق الوبيل ! قادر ربى أن يفتح لك فى
غد هذا القبر الذى تسارع اليه !

بلانش : رب لا تسمع له دعاء ، فانى أحبه الى الأبد !

(يسمع فى المؤخرة وقع خطوات ، وتظهر فى البهو الخارجى
شرذمة من الجند والنبلاء يقودهم السيد دى بين)

السيد يمين : (مناديا) يا سيد دى مونشينو أمر بفتح القضبان لاقتياد
السيد دى سان فالويه الى سجن الباستيل .

(يسير الجند مثنى مثنى فى المؤخرة ، وحين يمر السيد دى سان
فالويه وهو برفقتهم أمام الباب يتوقف ويلتفت نحو مخدع الملك)

السيد دى سان فالويه : (فى صوت جهورى) لما كانت لعنتى على
مليكم الذى ارتوى سبابا ولعنات لم تجد بعد على الأرض ولا فى
السما من مستجيب – كأن يبطش به ساعد بشر أو تنقض عليه
من عليين صاعقة – فقد خاب عندى كل أمل ورجاء ، ولسوف
تطيب الحياة لهذا الملك .

تريبوليه : (رافعا رأسه محذقا فى وجهه) لقد أخطأت الرؤيا أيها
الكونت ، فثمة انسان سيتولى الثأر لك .

الفصل الرابع

بلانشي

ساحل رملي مهجور بجوار بوابة باريس القديمة . على اليمين حطام وكر حقيير ، أثث بآنية ضخمة من القصدير ومقاعد من خشب البلوط . يعلو الوكر برج على نافذته حصير . يتغلغل الضوء ، في الواجهة المطلة على النظارة بحيث يبين ما في داخل الوكر : خزان ومدفأة وسلم منحدر في المؤخرة يؤدي الى البرج . اما الواجهة الامامية ، وهي على يسار المثل فيها باب يفتح الى الداخل . الجدار مغلغل اللبنة تعتوره شقوق وصدوع مما يتيح للمرء أن يرى من خلالها ما يدور في الداخل . تنبسط على الباب من الخارج شرعة ، وبالباب كوة صغيرة تسدها قضبان وتعلوه لافتة تشير الى فندق قروي . يشغل الساحل الرمل بقبعة المنظر ، فعل اليسار جسر عتيق متداع يجري من تحته نهر السين ، وتلتحم به ذراع جرس الفليون ، وفي المؤخرة تمتد من وراء النهر مدينة باريس القديمة .

المشهد الأول

تريبوليه - بلانش (فى الخارج)

سالتا باديل (فى داخل الوكر)

(يبدو تريبوليه خلال هذا المشهد قلقا مهموما
كانما يخشى أن يراه أو يعطله أو يفاجئه أحد ،
فهو يختلس النظر دائما فيما حوله لا سيما
ناحية الوكر . يجلس سالتا باديل فى فندقه
بالقرب من الخوان عاكفا على تنظيف حميلة
سيفه ، دون أن يسمع شيئا مما يدور بجواره)

تريبوليه : وهل أنت تحبينه ؟

بلانش : الى الأبد .

تريبوليه : برغم أنني أفسحت لك من الزمن حتى تبرئى من تباريح هذا
الهوى المجنون !

بلانش : اننى أهواه .

تريبوليه : ياله من قلب امرأة ! ولكن فسرى ما يدعوك الى حبه .

بلانش : لا أدرى .

تريبوليه : هذا أمر فريد فى بابيه ! هذا شيء عجيب !

بلانش : آه ، كلا . بل هو ذلك فى الحق ما يدعونى الى حبه . ان الواحدة
منا قد تصادف أحيانا ثمة رجل ينقذ حياتها ، أو زوج يثريها وتحسد
عليه ، فهل تحب هذا أو ذاك دائما ؟ أما عنه ، هو ، فلم أصب منه
سوى الضرر . ورغم ذلك أحبه ، ولا أدرى السبب . أترى الى أى حد
لا أنسى شيئا ؟ ولئن اقتضى الأمر - وتأمل هنا مدى جنونى - أن
أفديك وأنت بشير الخير لى ، أو أفديه وهو نذير الشر لى ، فأننى
أبذل يا ابتاه حياتى من أجله كما أبذلها من أجلك !

تريبوليه : لقد غفرت لك ماتقولين يا طفلتى !

بلانش : ولكن • اسمع ، انه يهوانى •

تريبوليه : لا • انك مجنونة !

بلانش : لقد أفصح لى عن هواه ، بل وأقسم على ذلك ! ثم هو يجيد الكلام
فى لهجة الغالب الأمر عن شئون الحب ، مما يسلب اللب ! ثم له
عنيان وادعتان تستعذ بهما المرأة ! انه ملك شهيم وجميل !

تريبوليه : (منفجرا) انه فاجر ! سوف لا يقال عن هذا المغرر الجبان أنه
انتزع منى هنائى بلا قصاص !

بلانش : ولكنك عفوت يا أبتاه ••

تريبوليه : سأقتص من منتهك الحرمات ! كان لابد لى من فسحة من الزمن
لأنصب الشرك ، وهأنذا •

بلانش : منذ شهر – وانى أحدثك وأنا واجفة – كان يبدو انك تكن الحب
للملك •

تريبوليه : انى أظهار بذلك • (فى ثورة عارمة) سوف انتقم لك يا بلانش !

بلانش : (متضرعة) أشفق على من هذا يا أبتاه !

تريبوليه : ألا يسرى الى قلبك – على الأقل – شىء من الغضب اذا كان
يخدعك ؟

بلانش : يخدعنى ؟ كلا • لا أعتقد ذلك •

تريبوليه : واذا رأيته بعينى رأسك ، خبرينى ، أظلين على حبه ان كان
لا يحبك ؟

بلانش : لا أدرى – انه يحبنى ، وذكر لى أنه يعبدنى ، هذا ما قاله
بالأمس !

تريبوليه : (فى مراة) فى أية ساعة ؟

بلانش : مساء الأمس •

تريبوليه : حسنا ! تعالى اذن ، وانظرى ان كنت تستطيعين الرؤية !
(مشيرا لبلانش الى شق فى جدار البيت ، فتتظر من خلاله)

بلانش : (هامسة) لا أرى سوى رجل •

تريبوليه : (هامسا كذلك) انتظري قليلا .
(يظهر الملك فى قاعة الفندق فى زى ضابط ، ثم يدخل من باب صغير يؤدى الى غرفة مجاورة) .

بلانش : (منتفضة) أبتاه !

(تظل بلانش طوال المشهد التالى ملتصقة بشق الجدار ، تسترق السمع وتختلس النظر الى كل ما يدور فى داخل القاعة ، ساهية عما سواه ، وتعترىها بين الحين والحين رعدة يرتجف لها الجسد) .

المشهد الثانى

نفس الأشخاص - الملك ثم ما جيلون
(يرتب الملك على كتف سالتا باديل ، فيلتفت هذا اليه . ويرتبك بغتة فيما يفعل)

الملك : مطلبان على الفور !

سالتا باديل : ماذا ؟

الملك : أختك وكأسى

تريبوليه : (من الخارج) هكذا طبع . ان هذا الملك - بفضل الله - كثيرا ما يعرض للهلاك حياته ، فهو يرتاد وحده أكثر من وكر ، وما يشمله من خمر ويدير رأسه لهو ما يسقاه فى أزرى الحانات .

الملك : (فى بهو الحانة يغنى) .

كثيرا ما تكون المرأة قلبا !

ومن يثق بها فهو مجنون

وكثيرا ما تكون المرأة كريشة فى مهب الريح !

(يمضى سالتا باديل فى هدوء الى لغرفة المجاورة ويعود بزجاجة وكأس يضعهما على الخوان . ثم يطرق السقف طرقتين

بقبضة سيفه الطويل ، وعلى أثر تلك الإشارة تهبط الدار قفزا
فتاة حسناء ، ضاحكة السنرشيقة القدرتدى زى العجر ، واذا تدخل
البهو يحاول الملك عناقها فتفلت منه) .

الملك : (مخاطبا سالتا باديل وهو يواصل فى جد دعك حميلة سيفه)
ستغدو حميلتك أكثر بريقا يا صديقى لو انك تمضى لتنظيفها -
بعض الوقت - فى الهواء الطلق !

سالتا باديل : فهمت .

(ينهض ويحيى الملك فى جفاء ثم يفتح الباب وينصرف ، ويعيد غلق
الباب وراءه واذا يخرج من البيت يلوح تريبوليه فيتوجه اليه خلصة ،
وبينما يتبادلان بعض العبارات تلمد الفتاة الى اثاره الملك . تتأمل
بلانش هذا المشهد فى فزع . يتحدث سالتا باديل الى تريبوليه
همسا وهو يشير بأصبعه الى البيت) .

أتريده حيا أم ميتا ؟ ان غريمك ها هنا فى قبضتنا .

تريبوليه : عد بعد لحظة .

(مشيرا اليه أن يبتعد ، فيتوارى سالتا باديل فى خطى ثقال خلف
الجسر العتيق ، وفى تلك الأثناء يراود الملك الفتاة العجرية
فتصدده صاخكة) .

ماجيلون : (والملك يبتغى ضمها) نانى !

الملك : حسنا . لقد قسوت فى ضربى منذ لحظة وأنا أحاول عناقك ،
والآن تهتفين بى « نانى » ! انه نجاح عظيم ! انها خطوة كبرى .
أرى أنها تتراجع دائما ! تعالى بنا نتناجى (تدنو منه العجرية) منذ
أيام ثمانية ، وكان ذلك فى فندق هرقل ، ترى من قادنى اليه ؟ أظنه
تريبوليه - هناك التقيت لأول مرة بعينيك الجميلتين ، ومنذ ذلك
الحين وأنا أعبدك يا طفلى الجميلة ، اننى لا أهوى سواك !

ماجيلون : (ضاحكة) بالاضافة الى عشرين آخر ! سيدى ، يبدو أنك فاجر
بكل معنى الكلمة .

الملك : (ضاحكا بدوره) نعم . لقد أتعست فى الواقع أكثر من امرأة ،
هذا حق . اننى مارد جبار !

ماجيلون : ياله من غرور !

الملك : ثقي فيما أقول - لقد استدر جتني هذا الصباح الى وكرك ، هذه الفندق المريب ، الذى يقدم لرواده أردأ الطعام وخمرا مما يصنعه شقيقك ، ذلك الحيوان الدميم ، ولا بد أنه مخلوق عجيب ، شط به التبجح فاجترأ على أن يظهر خشمه بجوار ثغرك الجميل . لكن الأمر سواء على كل حال ، ولقد عولت على قضاء الليلة هنا .

ماجيلون : (محدثة نفسها) حسنا . انه يسعى الى حتفه بظلفه !

(تخاطب الملك بينما يحاول مرة أخرى عناقها) دعنى !

الملك : يالك من مشاغبة !

ماجيلون : كن عاقلا حكيما !

الملك : هاك الحكمة ياعزيزتى ، لنحب ، ولنستمتع بالحياة ونملأ بطوننا بأطيب الطعام ! وفى ذلك أتأسى بسليمان الحكيم .

ماجيلون : انك تشهد ألعانه أكثر مما تشهد الوعظ .

الملك : (مادا لها ذراعه) ما جيلون !

ماجيلون : (فالتة منه) غدا !

الملك : ساقلب الخوان رأسا على عقب ان أعدت على مسمعى هذه الكلمة البغيضة القاسية .

حاشا لفتاة رائعة الحسن أن تقول غدا .

ماجيلون : (تدع عن فجأة ، وتمضى فتجلس فى مرح الى الخوان بالقرب من الملك) حسنا . لنعقد الصلح .

الملك : (متناولا يدها) يالله ! ما أجمل هذه اليد ! انه لأفضل للمرء - إن لم يكن حبرا تقيا - أن يصفع بهذه اليد من أن يلاطف بيد أخرى !

ماجيلون : (منتشية) أتسخر !

الملك : (يدها)

ماجيلون : اننى قبيحة الشكل .

الملك : كلا . ولا ينبغى أن تبخسى من قدر محاسنك العلوية . اننى أتلظى ! ألا تعلمين يا ملكة الطغاة كم يستبد بنا الوجد - نحن معشر

الضباط - وحين يسكن الينا الجمال ويلوذ بنا نغدو نارا حامية
لاتبقى ولا تذر ؟

ماجيلون : (منفجرة فى الضحك) لعلك قرأت ذلك فى بعض الكتب .

الملك : (محدثا نفسه) يحتمل . (بصوت مرتفع) قبله !

ماجيلون : على رسلك ! انك ثمل !

الملك : (مبتسما) من خمر الهوى !

ماجيلون : انك تمزح فى رقة وخفة أيها السيد الالهى الطروب .

الملك : آه ، كلا (يقبلها) .

ماجيلون : كفى !

الملك : أريدك زوجة .

ماجيلون : (ضاحكة) أجاد فيما تقول ؟

الملك : يالك من فتاة لعوب مجنونة !

(يجلسها على ركبتيه ويتحدث اليها بصوت خفيض فتضحك متظاهرة
بالظرف . لاتقوى بلانش على مزيد من الاحتمال ، فتلتفت واجفة الى
تريبوليه وهو جامد كأن على رأسه الطير) .

تريبوليه : (بعد ما تأملها فى سكون لحظة) حسنا . ما قولك فى الثأر
يا صغيرتى ؟

بلانش : (هامسة لاتقوى على الكلام) يا للفدر ! يا للجحود ! رباه ! ان
قلبي ينفطر . أواه ، كم خدعنى لأنه عديم الضمير ! لكن الأمر فى
منتهى البشاعة ! انه يقول لهذه المرأة ما سبق أن رددته على مسامعى
من قبل .

(مخفية رأسها فى صدر أبيها) ترى هذه المرأة داعرة ؟ ويلي . .

تريبوليه : (متجهما فى صوت خافت) اسكتى وكفى عن البكاء ، ودعيني
أنتقم لك .

بلانش : (متداعية) وأحر قلباه ! اصنع ما شئت .

تريبوليه : (هاتفا فى غبطة) شكرا !

بلانش : رباه ! انك مخيف يا أبتاه . ماذا انتويت ؟

تريبوليه : (بانفعال شديد) كل شيء معد ، ووفرى عتابك ، فقد ضاق به
صدرى . اصغى الى : اذهبى الى الدار ، وخذى منها ملابس مما يرتديه
الرجال وجوادا وتقودا ، خذى أى مبلغ كان ، ثم انطلقى دون توقف
فى الطريق المؤدى الى مدينة « افرو » وسألحق بك هناك بعد غد .
أتعرفين الصوان القريب من صورة أمك ؟ فيه ستجدين الملابس .
ولقد قصدت الى اعدادها سلفا ، أما الجواد فعليه سرجه . ينبغي
أن يتم كل شيء كما رسمت . اذهبى ، واياك أن تعودى ، فسوف
يقع هنا حادث فظيع ، اذهبى .

بلانش : (جامدة من الخوف) تعال معى يا أبى الحنون !

تريبوليه : محال . (يعانقها ويشير اليها بالانصراف) .

بلانش : ويلى ! اننى أرتجف .

تريبوليه : الى اللقاء ! (يعانقها مرة أخرى ثم. تنسحب وهى تترنح)
افعلى ما أمليت عليك . (خلال هذا المشهد والمشهد التالى يوصل
الملك وما جيلون شجارهما وحديثهما فى ضحك . مختلين دائما
فى القاعة السفلى . وحين تبتعد بلانش يمضى تريبوليه الى الجسر .
يومى بإشارة فيظهر فى الأفق سالتا باديل . يوشك النهار
على زوال) .

المشهد الثالث

تريبوليه ، سالتا باديل (فى الخارج)
ماجيلون ، الملك (فى الوكر)

تريبوليه : (محصيا دنانير ذهبية أمام سالتا باديل) انك تطلبينى
بعشرين دينارا - هاك منها مقدما عشرة .

(يتوقف وهو يعطيه الدنانير) أوأثق أنت من أنه سيقضى ليلته هنا؟

- سالتا باديل :** (ماضيا يتفحص الأفق قبل أن يجيب) الغيوم تزحف •
- تريبوليه :** (محدثا نفسه) فى الواقع ، هو لاينام دائما فى قصر اللوفر •
- سالتا باديل :** لتطمئن بالا • سينهمر المطر قبل أن تنقضى الساعة ،
ومن ثم ستعمل العاصفة وشقيقتى على احتجازه •
- تريبوليه :** سأعود حين ينتصف الليل •
- سالتا باديل :** لاتجشم نفسك هذا العناء • ففى وسعى أن ألقى جثته فى
نهر السين وحدى •
- تريبوليه :** كلا • بل أود أن ألقيا بنفسى •
- سالتا باديل :** لك ماتشاء • سأسلمك اياها فى غرارة محكمة القفل •
- تريبوليه :** (مسلما اياه النقود) حسنا الى الملتقى فى منتصف الليل •
سأدبر لك بقية المبلغ •
- سالتا باديل :** سوف تجرى الأمور على مايرام • ما اسم هذا الشاب ؟
- تريبوليه :** اسمه ؟ أو تريد أن تعرف اسمى أيضا ؟ انه يدعى الجرم
وأنا القصاص ! (ينصرف)

المشهد الرابع

نفس الأشخاص ما عدا تريبوليه •

سالتا باديل : (وحده يتفحص الأفق تنساب اليه الغيوم • جن الليل
أوكد ، ويظهر وميض برق) أرى العاصفة آتية ، والغيوم تلتف
بالمدينة • هذا من يمن الطالع • سيغدو الساحل عما قليل أشد
اقفرارا (فى تفكير عميق) بقدر ما أستطيع الحكم فيما يجرى من
أمور أشهد أن هؤلاء الناس جميعا قد اعتراهم مالا أدرى !
ليقبضنى الشيطان ان كنت أحس أكثر من هذا !

يتأمل السماء وهو يهز رأسه ، بينما الملك سادر في مجونه مع
ما جيلون) .

الملك : (محاولا الإمساك بخاصرتها) ماجيلون !

ماجيلون : (تفلت منه) تمهل !

الملك : يا لك من فتاة خبيثة !

ماجيلون : (تغنى) ان البراعم التى تتفتح فى ابريل .

تلقى فى الدنان بخمر قليل

الملك : ما أجمله من منكب ، ومن ذراع يا عدوتى الفاتنة ! ما أنصع
بياضه ! يا الهى ما أجمل خلقها ! لم كان على الله - خالق هذين
الذراعين الجميلين العارين - أن يضع فى جسدك هذا - جسد
فينوس الخالدة - قلبا قد من حجر ؟

ماجيلون : (مواصلة صدودها) كفى . ان أخى قادم .

(يدخل سالتا باديل ويفلق الباب خلفه)

الملك : انى لا أحفل به !

(يسمع دوى الرعد على مبعدة)

ماجيلون : أسمع رعدا .

سالتا باديل : سينهمر الغيث كالسيل العارم .

الملك : (رابتا على كتف سالتا باديل) حسنا . دعها تمطر . يطيب لى
الليلة أن أختار غرفتك لى سكنا .

ماجيلون : (ساخرة) هذه ارادتك السنية ! أرى أنه يتخذ أسلوب ملك !
سيدى ، سوف تتوجس أسرتك عليك خيفة .

(يجذبها سالتا باديل من ذراعها ، ويومئ اليها بأشارة)

الملك : ليس لى بنت ولا جد . ولست حريصا على شىء .

سالتا باديل : (محدثا نفسه) هذا من حسن الحظ !

(يهطل الغيث مدرارا ويوغل الليل)

الملك : (مخاطبا سالتا باديل) ستمتنام ياعزيزى فى الحظيرة مع الشيطان
حيثما تشاء .

سالتا باديل : (محيا) شكرا !

ماجيلون : (مخاطبة الملك فى صوت خافت حاسم وهى توقد المصباح)
انصرف !

الملك : (هاتفا فى مرح) لقد هطل المطر ، ولا أخالك تودين أن أنصرف فى
جو لا يلقى فيه الى الطريق بشاعر !
(يمشى الى النافذة ويتطلع منها)

سالتا باديل : (مخاطبا ماجيلون فى همس وهو يريها الدنانير الذهبية
فى راحته) دعيه يبقى هاهنا ! عشرة دنانير من ذهب ، ثم عشرة
أخرى حين ينتصف الليل ! (مخاطبا الملك فى أدب وترحاب)
سيدي ، يسعدنى كل السعادة أن أقدم اليك الليلة غرقتى .

الملك : (ضاحكا) حيث يشوى المرء فى يوليه ويتحول الى ثلج فى ديسمبر .
أليس كذلك ؟

سالتا باديل : أريد سيدي أن يراها ؟

الملك : لندى .

(يتناول سالتا باديل المصباح . يهمس الملك بكلمتين فى أذن
ماجيلون وهو يضحك ، ثم يصعد الدرج المؤدى الى الطابق العلوى
يتقدمه سالتا باديل) .

ماجيلون : (وحدها) ما أتعسه من شاب !

(متجهة صوب النافذة) رباه ! ما أشد حلقة الليل !

(من الكوة يبين الملك وسالتا باديل وهما فى البرج) .

سالتا باديل : (مخاطبا الملك) سيدي . هذا هو الفراش . وهاك المقعد
ثم المنضدة .

الملك : ما عدد أرجلها جميعا ؟

(يتطلع الملك على التوالى الى السرير ثم المنضدة ثم المقعد) ثلاثة ،
سنة ، تسعة . هذا شئ عظيم ! لعلك يا عزيزى قد أتيت باناثك
من موقعة « مارينيان » . أثاث كله أعرج !

(مقتربا من الكوة المكسور زجاجها) وينام المرء هكذا فى العراء
دون ثمة زجاج أو خشب . محال أن تستقبل الريح - حين تلتمس
الدخول - بمزيد من الحفاوة والترحاب ! (مخاطبا سالتا باديل)

وقد أوقد الأخير مصباحا ساهرا وضعه على المنضدة (طاب
مساؤك !

سالتة باديل : ليحفظك الله !

(يخرج ويلطم الباب ثم يهبط الدرج متثاقلا)

الملك : (وحده وهو يفك حميلة سيفه) أواه ! كم أنهكنى التعب ،
لأحاولن النعاس قليلا حتى يحين الحين .

(يلقي على المقعد بقبعته وسيفه ويخلع نعليه ثم يستلقي على
الفراش) ما أنضر ماجيلون ، ويالها من فتاة رشيقة القد تنبض
حياة ! (ناهضا) لعله ترك الباب مفتوحا ! نعم . حسنا فعل .
(يعود للرقاد وسرعان ما يغط فى نومه . ماجيلون وسالتا باويل
معا فى القاعة السفلى . تفجرت العاصفة منذ قليل فاجتاح الطبيعة
برق ومطر ، والرعد يسمع دويه فى كل لحظة . تجلس ماجيلون
بالقرب من الخوان وفى يدها ما تحيكه ، بينما يفرغ أخوها فى
جوفه بتؤدة زجاجة الخمر التى تركها الملك . يلوذ كلاهما برهة
بالصمت وكأنما تهمهما فكرة خطيرة) .

ماجيلون : (فى حسرة) ما أروع هذا الشاب !

سالتا باديل : انى أرى ما ترين ! فهو يضىفى على جيبى عشرين ديناراً
من ذهب .

ماجيلون : كم ؟

سالتا باديل : عشرون ديناراً .

ماجيلون : انه يساوى أكثر من هذا القدر .

سالتا باديل : اصعدى يا صغيرتى لترى ان كان قد نام . وان كان يحمل
سيفا فأتنى به .

(تصدع ماجيلون بما أمرت . العاصفة على أشدها ، تظهر بلانش
فى مؤخرة المنظر مرتدية ملابس الرجال ، زى فارس بحذائه
الطويل ومهمازه ، وكلها سوداء . تمضى فى بطاء الى الوكر ،
بينما يعاقر سالتا باديل الخمر وحده ، أما شقيقته ففى البرج
تتأمل فى ضوء مصباحها الملك النائم) .

ماجيلون : (دامعة العينين) ما أعظم الخسارة !
(تأخذ سيفه) انه نائم • ما أشقاء من فتى !
(تهبط الدرج عائدة بالسيف الى أخيها) •

المشهد الخامس

الملك نائم فى البرج - سالتا باديل وماجيلون
فى القاعة السفلى بلانش فى الخارج •

بلانش : (عائدة بين غلائل الظلام بخطى ثقال على هدى وميض البرق
بينما يستمر دوى الرعد) هذا شئ فظيع ! يا الهى لقد طار
صوابى ! سوف يقضى الليلة فى الدار ذاتها • ألا اننى دانية من
اللحظة الحاسمة • اغفر لى يا أبتاه ، لقد عصيتك بعودتى الى هذه
البقعة فى غيابك ، فلا طاقة لى على الوفاء بوعدى •

(تقترب من الدار) ترى ماذا يحدث ؟ وعلى أى صورة ستكون
الخاتمة ؟ انى لأرى نفسى وقد زج بها فجأة فى خضم أحداث رهيبه
وأنا التى عشت فيما مضى فتاة مسكينه خبيثة بين الزهر ، لا أعلم
شيئا عن الألم أو الدنيا أو تصارييف الدهر • واحسرتاه على
عفتى وهنأتى ؟ لقد أمست جميعا أطلالا ، وأرى كل ما حول
يتشح بالحداد • ألا ان الحب لا يختلف فى قلوب ومض فيها سنه
سوى رماد يبقى من بعده ! ولقد بقيت من تلك النار الجارفة
ذرات من رماد ! أواه ، لم يعد مقيما على حبى ! (تبكى بحرقه
وترفع رأسها) خلت منذ برهة أننى أسمع عبر فكرى دويا ! أظنه
الرعد كان يدوى فوق رأسى • يالها من ليلة رهيبه ! ألا ان المرأة
لا تحجم فى ياسها عن أى شئ حتى لو كانت مثلى تخشى من
خيالها !

(تلمح فى الدار ضوءا) آه ، ترى ما الذى يجرى هناك ؟
(تتقدم ثم تتراجع) رباہ ! اننى أشعر بقلبى ينبض فى هذه
البقعة ، وأخشى أن تكون مسرحا لمصرع أحد !

(يواصل سالتا باديل وماجيلون حديثهما فى الغرفة المجاورة) •

سالتا باديل : ياله من جو مكفهر !

ماجيلون : رعد وأمطار •

سالتا باديل : نعم • لابد قد نشب شجار فى السماء بين زوجين أحدهما يعنف والآخر يبكى •

بلائش : لو علم أبى الآن مكانى !

ماجيلون : أخى !

بلائش : (منتفضة) سمعت من يتحدث •

(تتجه واجفة صوب الوكر وتسترق السمع وتختلس النظر

من شق فى الجدار) •

ماجيلون : أخى !

سالتا باديل : ماذا ؟

ماجيلون : أو تدري فيم أفكر ؟

سالتا باديل : كلا •

ماجيلون : حزر

سالتا باديل : فى الشيطان !

ماجيلون : ان هذا الشاب لأبهى ماتكون الطلعة ، مديد القامة ، أبى شهم على غرار أبوللو وهو فوق ذلك وسيم ومدلل • انه متميم بى •
انه ينام فى براءة يسوع الطفل • حرام أن نقتله •

بلائش : (مرتعدة مما رأت وسمعت) يا للسماء !

سالتا باديل : (يجذب من الخزانة غرارة عتيقة من نسيج القنب وكتله من حجر ، ثم يقدم الغرارة لماجيلون فى جفاء) •

ارتقى فى الحال هذه الغرارة العتيقة •

ماجيلون : ولماذا ؟

سالتا باديل : لأضع فيها جثة معبودك أبوللو ، مثقلة بهذا الحجر ، حالما أجهز عليه فى الطابق العلوى ، ثم ألقى بها فى الماء •

ماجيلون : ولكن ...

سالتا باديل : ماجيلون ! لا تقحمى نفسك فى هذه الأمور •

ماجيلون : اذا ...

سالتا باديل : اذا استمعت اليك فلن أقدم على قتل انسان • ارتقى الفرارة !

بلانش : من هذان المخلوقان ؟ أترانى أشهد جهنم ؟

ماجيلون : (عاكفة على رتق الفرارة) سمعا وطاعة • ولكن دعنى أتحدث اليك •

سالتا باديل : لك ذلك •

ماجيلون : أتضمر فى نفسك حقدا على هذا الفارس ؟

سالتا باديل : أنا ؟ كيف ذلك ؟ انه ضابط وأنا أحب رجال السيف لأننى منهم •

ماجيلون : أتقتل شابا جميلا ، يبدو أنه ليس من العامة ، من أجل أحب شرير بيعج القوام ؟

سالتا باديل : لقد قبضت باختصار عشرة دنانير مقدما من رجل أحب لقاء قتل رجل جميل ، والأمر عندى سواء ، وسوف أتقاضى عشرة آخر حين أسلم الجثة ، فلا بد اذن من تسليمها اليه • هذا أمر واضح كالشمس •

ماجيلون : فى استطاعتك أن تقتل القزم حين يعود حاملا اليك النقود • والنتيجة واحدة •

بلانش : لهفى عليك يا أبتاه !

ماجيلون : أقبلت ؟

سالتا باديل : (محدقا فى وجه ماجيلون) تبنا لك ! ما ظنك بى يا أختاه ؟ أتريننى سفاحا أو لصا حتى أقتل عميلا ينقدنى الأجر ؟

ماجيلون : (مشيرة الى كتلة من الخشب) حسنا ! ضع فى الفرارة كتلة الخشب هذه ، وسوف يحسبها فى الظلام غريمه •

سالتا باديل : هذا منتهى الغفلة • كيف تريدان أن يحسب كتلة الخشب جثة ، والكتلة جامدة صماء ، جافة صلبة ، ليس فيها حياة ؟

بلانش : ما أقسى برودة المطر !

ماجيلون : سألتك الرحمة به !

سالتا باديل : أهذه أغنية ؟

ماجيلون : حنانيك يا أخى !

سالتا باديل : أخفتى صوتك ! لابد من قتله ! وعليك الآن أن تصمتى .

ماجيلون : (غاضبة) لا أريد له الموت ! سأوقظه وأهيم له سبيل
الفرار .

بلاش : بوركت من فتاة !

سالتا باديل : والدناير الذهبية العشرة ؟

ماجيلون : هذا صحيح .

سالتا باديل : والآن كونى عاقلة يا صغيرتى ودعيني أعمل .

ماجيلون : كلا ، اننى أريد نجاته !

(تقف ماجيلون بادية العزم والأصرار فى أسفل الدرج لتسد
فى وجه أخيها الطريق . واذ يستسلم سالتا باديل أمام عنادها
يعود أدراجة الى مقدمة المسرح ويبدو كمن يفتش فى قريحته
عن مخرج) .

سالتا باديل : لنرى فى الأمر . سيعود صاحبنا للقائى عند منتصف
الليل ، فحتى ذلك الحين ، ان طرق بابنا ثمة عابر يطلب الأيواء
سأقتض عليه وأقتله ، ثم أضعه فى الغرارة بديلا عن محبوبك ،
ولن يدرك صاحبنا من الأمر شيئا . سيرقص طربا بفريسته فى
الليل البهيم ، وحسبه أن يلقي فى اليم بأى انسان أو جماد .
هذا ما أقدر عليه ابتغاء مرضاتك .

ماجيلون : شكرا . ولكن أى شيطان تظن أن يمر بنا ؟

سالتا باديل : هذه هى الوسيلة الوحيدة لانقاذ فتاك ؟

ماجيلون : فى مثل هذه الساعة من الليل ؟

بلاش : رباه ! انك تزين لى الموت وتريده لى ! ليت شعرى أينبغى على
أن اجتاز هذه الخطوة من أجل هذا الجاحد ؟ لا . اننى مازلت فى
ميعة الصبا ! رباه ! لا تدفعنى الى الموت دفعا .

(يدوى الرعد)

ماجيلون : نذرت لئن وفد الينا ثمة رجل فى هذه الليلة الليلة لاغترفن
البحر فى سلتى !

سالتا باديل : وان لم يأت أحد ففتاك الجميل ميت لا محالة .
بلائش : (مرتعدة) يا للهول ! أناذى العسس ؟ ولكن لا . ان الكل
نيام ، وفى وسع هذا الرجل أن يشى بى . ولكنى لا أريد الموت ،
فى رسالة كبيرة ، على أن أرعى أبى وأسرى عنه . ألا ان موتى ولم
أبلغ السادسة عشر ربيعا ليثير فى النفس الهلع ! اننى لا أقوى
على احتماله ! رباه ! أينفذ السيف فى قلبى الا . . (تدق الساعة
دقة واحدة) .

سالتا باديل : دقت الساعة المجاورة يا أختاه .
(دقتان أخريان) لقد دقت الثانية عشرة الا الربع ، ولن يفد الينا
أحد قبل انتصاف الليل . أتسمين صوتا فى الخارج ؟ لابد لى من
انجاز المهمة على أية حال . وليس أمامى سوى ربع الساعة .
(يضع قدمه على الدرج ، فتصده ماجيلون وهى تنتحب)

ماجيلون : تريث قليلا يا أخى .
بلائش : ماذا أرى ؟ أتبكي هذه المرأة ، بينما أقف جامدة وفى استطاعتى
انقاذه ؟ انه لم يعد يحبنى ومن ثم ليس أمامى من سبيل سوى
الموت . حسنا ، لأموتن من أجله . (فى شئ من التردد) ان
الأمرين سواء . كليهما فظيع !

سالتا باديل : (مخاطبا ماجيلون) لا . لن أستطيع الانتظار الى النهاية .
هذا مستحيل .

بلائش : أواه ، ليتنى أدرى كيف سيصرعوننى ، وهل ستؤلمنى
ضربتهم ! ترى هل يصيبوننى فى جبينى أو فى وجهى . . . رباه !

سالتا باديل : (فى محاولة للخلاص من ماجيلون فتوقفه) ماذا تريدن
منى أن أفعل ؟ أيدور بخلدك أن يأتى الآن من يحل محله ؟

بلائش : (مرتعدة من برد المطر) لقد جمد الدم فى عروقى !

(متجهة الى الباب) هيا ! (متوقفة) أموت والبرد يسرى فى
أوصالى ؟ (تجر قدميها مترنحة الى الباب وتطرقة طرقا خفيفا) .

ماجيلون : هناك من يطرق الباب .

سالتا باديل : هذا تصفيق الريح فى السقف .
(تطرق بلانش الباب مرة أخرى)

ماجيلون : هناك من يطرق الباب
(تهرول وتفتح الكوة ثم تتطلع منها الى الخارج)

سالتا باديل : شئ غريب !

ماجيلون : (مخاطبة بلانش) من بالباب ؟

(مخاطبة سالتا باديل) انه شاب .

بلانش : أريد المبيت الليلة .

سالتا باديل : سينعم بسبات عميق !

ماجيلون : أجل . وستطول بنا السهرة .

بلانش : افتحوا .

سالتا باديل : (مخاطبا ما جيلون) تمهلى برهة ! اعطني مديتي
لأشحنها قليلا . (تعطيه المديّة فيشحنها على حديد مجز)

بلانش : يا للسماء ! أسمع خشخشة مديّة يشحنونها معا !

ماجيلون : ما أتعسه من شاب ! انه يطرق باب قبره .

بلانش : ان فرائصى ترتعد . ماذا ؟ أفى طريقى الى الموت ؟

(جاثية على ركبتيها) اللهم وانى للقاء وجهك آتية ، اغفر
لكل من أساء الى ، ثم أسألك ياربى كما أسألك يا أبى أن تغفراهم
أيضا . اغفرا للملك فرنسوا الأول ، من أهيم به وأرثى له . اغفرا
للخلق طرا ، حتى للشيطان ، حتى لهذا الملعون الذى يتربص بى
هنا فى الظلام رافعا نصله . اننى أهب حياتى فداء لغادر ، فلئن
طابت بها سعادته فلينسنى ، وليطل الله فى عمر من أقدى ، رافلا
فى نعيم لا يبلى أبدا !

(ناهضة) لابد أن الرجل قد استعد !

(تطرق الباب مرة أخرى) .

ماجيلون : (مخاطبة سالتا باديل) هيا . عجلي . انه يتململ .

سالتا باديل : (مجربا نصله على الخوان) حسنا . انتظري حتى أهيم
نفسى وراء الباب .

بلانش : رباه ! اننى أسمع كل ما يقول .

(يقف سالتا باديل خلف الباب بحيث يجبه حين يفتح الى الداخل عن الشخص القادم ولا يجبه عن أعين النظارة) .

ماجيلون : (مخاطبة سالتا باديل) أنا فى انتظار اشارتك .

سالتا باديل : (من وراء الباب والمدية فى يده) افتحى !

ماجيلون : (تفتح الباب لبلانش) أدخل !

بلانش : (محدثة نفسها) يا للسماء ! سيدا همنى شر مستطير !
(تتراجع)

ماجيلون : وبعد ، علام انتظارك ؟

بلانش : (محدثة نفسها فى فزع) يا لله ! أرى الأخت تساند أخاها .
اغفر لهما يارب ، واغفر لى يا أبى !

(تدخل . واذا تظهر على عتبة الوكر ، يرى سالتا باديل رافعا
خنجره ، ويسدل الستار) .

الفصل الخامس

تريبوليه

المنظر ذاته ، ولكن حين يتفرج الستار يرى
وكر سالتا باديل وقد أغلق تماما عن الابصار .
تبدو الواجهة الامامية بنافذات خشبية لا ينبعث
منها ادنى ضوء . ويخيم الظلام على المنظر
جميعه .

المشهد الأول

تريبوليه : (وحده ، يتقدم من المؤخرة فى بطاء ، ملتفا بمعطفه • خفت
وطاة العاصفة وانقطع سيل المطر ، ولم يعد يرى سوى ومضات
البرق ودوى الرعد يسمع على بعد من حين الى حين • يبدو تريبوليه
مستغرقا فى حلم عميق وفى عينيه فرحة مبهمة)

وأخيرا قضى الأمر ! وسأنتقم ! ها قد انقضى الشهر على ترقبى
وانتظارى • أودى دور المهرج ، وأخفى ما يعتمل فى قرارة نفسى ،
واسكب الدمع دما من خلف قناعى الضاحك (يفحص بابا قصيرا
فى مواجهة الدار) هذا هو الباب • ما أسعد المرء اذ يصمد ويظفر
بنأره ! أعتقد أنه سيحمل الى من هذا الباب ذاته • ان الساعة لم
تحن بعد ، ومع ذلك عدت • نعم ، سأرقب الباب فى انتظار
الموعد • نعم ، هو ذا الباب بعينه (يدوى الرعد) ياله من طقس
عبوس ! ويالها من ليلة حفلت بالأحاجى والأسرار ! عاصفة فى
السماء ومصرع على الأرض ! كم أشعر بعظمتى ها هنا • لقد سرت
الليلة غضبتى العارمة جنباً الى جنب مع غضبة الله ! وأى ملك
أقتل ! أقتل ملكا يدين له عشرون ملكا آخر ، فى يديه مقاليد
الحرب والسلام ، وعلى كاهله أعباء العالم بأسره • سوف ينكس
كل شئ حين يغرب عن الدنيا ! سوف تكون الصدمة قوية مخيفة
حين انتزع هذا القطب • وستهز يدى القاذفة بهذه الصدمة - الى
أمد طويل - سائر أوروبا الباكية ، وتكرهها على التماس توازنها
فى زعامة أخرى ! انى لأتخيل قولة الله فى غد للارض : أيتها
الارض ، أى بركان تفتحت فوهته ؟ ومن ذا الذى أثار هكذا المسلم
والمسيحى ! من ذا الذى أثار كليمان ست ودويا وشارلكان
وسليمان ؟ أى مسيح أو قيصر أو قائد أو رسول قد قلب ألدول
هكذا رأسا على عقب ؟ أى ساعد يؤرجحك أيتها الارض كما يطيب
له ؟ فتجيب الأرض المروعة : انه تريبوليه ! طوبى لك أيها المهرج
الليثيم فى عتوك ! ألا ان ثار المجنون ليزلزل أرجاء العالم ! (بين
صخب العاصفة المودعة تسمع من بعيد ساعة تدق منتصف الليل

فيصغى تريبوليه (

انتصف الليل !

(يهرع الى الدار ويترك الباب القصير) •

صوت من الداخل : من بالباب ؟

تريبوليه : أنا

الصوت : حسنا •

(تنفتح الشرعة السفلى للباب فقط)

تريبوليه : (منحيا لاهثا) أسرع !

الصوت : لا تدخل •

(يخرج سالتا باديل زحفا من السرعة السفلى للباب • ويجذب من هذه الفتحة الضيقة شيئا ثقيلا الوزن ، ربطة مستطيلة الشكل يتعذر في الظلام تمييزها فهو لا يحمل في يده مشعلا ولا ينبعث من الدار أى ضوء) •

المشهد الثانى

تريبوليه - سالتا باديل

سالتا باديل : أف • هذا ثقيل - أعنى يا سيدى لبضع خطوات •

(تغمر تريبوليه فرحة راعشة ، فيمضى ليعينه على حمل غرارة طويلة رمادية اللون تحوى الجثة الى مقدمة المنظر) رجلك فى هذه القرارة •

تريبوليه : لنرام ! يا للفرحة ! آتنى بمشعل •

سالتا باديل : كلا • بالله !

تريبوليه : ممن تخاف أن يراك ؟

سالتا باديل : القناصة وعسس الليل • يا للشيطان ! لا مشعل ! كفى صخباً وهات النقود !

تريبوليه : (يسلمه الصرة) خذ !

(يفحص الغرارة الممددة على الأرض بينما الآخر يحصى الدنانير)
قد تسفر الأحقاد عن بعض المكاسب !

سالتا باديل : هل لى أن أعينك على القائه فى نهر السين ؟

تريبوليه : سأتكفل بذلك وحدى .

سالتا باديل : (فى اصرار) لنحمله سويا ، وبهذا يقصر الطريق .

تريبوليه : اننى لا أحس بثقل عدو أواريه الثرى .

سالتا باديل : لعلك تقصد أن تقول نهر السين ؟ حسنا ، كما ترى
يا سيدى .

(متجها الى نقطة على الجسر) لا تلق به من هنا ، فهذا مكان لا يصلح

(مشيرا الى ثغرة فى الجسر) هنا ، فهذه بقعة بعيدة الغور .
عجل ، طاب مساؤك .

(يعود أدراجه الى الوكر ويوصد الباب خلفه)

المشهد الثالث

تريبوليه : (وحده محدقا فى الغرارة) انه هنا ! ميت ! وان كنت أود
ألا أراه .

(يتحسس الغرارة) الأمر عندى سواء ، انه هو بعينه . انى
أحس به من خلف الغلالة ، وهذا مهمزة يخترق القماش . انه هو
بعينه !

(ينهض ثم يضع قدمه على الغرارة) والآن ، اشهدنى أيها العالم ،
هأنذا المهرج ، وهذا هو الملك . وأى ملك ! سيد الملوك طرا
وأرفعهم شأنا ! ها هو ذا فى قبضتى وتحت قدمى ! انه هو
بعينه ! سيكون له « السين » لحدا وهذه الغرارة كفنا . ومن
قام بهذا ؟

(عاقدا ذراعيه) حسنا ! أنا وحدي - كلا ، اننى ما حققت هذا النصر لتأبى الأقوام فى غد أن تصدقه • ترى ما الذى سيردده المستقبل ؟ وأى ذهول سيعترى الشعوب على اثر هذا الحادث ! اشهد أيها القدر - وأنت موجدنا فى هذه الدنيا ومخرجنا منها - أن واحدا من أعلى الملوك قدرا ومن هو ؟ انه فرانسواى فالوا ، القلب النارى ، غريم شارلكان ، ملك فرنسا ؛ أنه من الخلود قريب ، كساب المعارك من تداعت تحت أقدامه دعائم الحصون • (يدوى الرعد بين الفينة والفينة) بطل واقعة « مارينيان » ، من ظل طوال ليلة يصيح فى كتابه ، ويرفع بها الواحدة تلو الأخرى الى ساحة الوغى ، حتى اذا ما تنفس الصبح لم يبق بين يديه الممزوجتين بالدماء سوى مقاتلين ثلاثة • أشهد أيها القدر ان هذا الملك الذى قلده الدنيا وسام المجد سيغرب بغتة عنها ، وانه حمل فجأة وهو فى أوج سلطانه ، بقضه وقضيضه ، وبين بطانته التى تحرق له البخور ، حملته يد مجهول فى ليلة رابعة كما يحمل وليد سفاح ! ماذا اقول ؟ لقد أصبح هذا القصر وهذا الجبل وهذا الحكم دخانا فى الهواء ، وخبا واندرج وذهب أدراج الرياح هذا الملك الذى تفتحت عيناه على فجر وضىء ! لقد لاح ثم اختفى كواحد من هذه البروق ! وقد يمضى فى غد المنادون ، ذارعين المدائن عبثا ، يصيحون بالمارة الذين أذهلتهم المفاجأة ، ويشيرون اليهم بأطنان الذهب :

هذا حلال لمن يعثر على الملك الضائع ! ياله من مشهد رائع !
(بعد فترة سكون)

أى بنيتى المتناعة ! لقد نال جزاءه الأوفى ومن ثم تحقق لك الشار منه ! ليت شعرى ، كنت أتوق الى اراقة دمه والى قدر من الذهب ، وها انذا قد ظفرت بهما !

(ينحنى على الجثة فى سورة غضب) •

أيها الفاجر ، أtestطيع أن تسمعنى ؟ لقد حسدتنى على ابنتى التى تفوق تاجك قيمة وقدرا ، والتى لم تسيء قط الى أحد من البشر ، فسلبتها منى ثم أعدتها الى - وباللهول - موصومة بالعار والشقاء ! حسنا • خبرنى ، أtestمعنى ؟ لقد تبدل الحال غير الحال • نعم ، أنا الآن هنا ، أنا الذى أضحك وأنتقم ! كنت فى غفلة عنى لأننى

تظاهرت بنسيان ما جرى ! كنت تؤمل فى تسامحى معتقدا أن
غضبة الأب تقلع أنيابها فى سهولة ويسر ! كلا ، ففي هذا الصراع
الذى شب بيننا قد انعقد لواء النصر للضعيف وهذا لذى كان
بالأمس يلعن قدميك ينخر الآن قلبك ! ألا انك الآن فى قبضتى .
(يزيد انحناءه على الغرارة) أسمعنى ؟ أنا الذى أحدثك أيها
الملك الهمام . أنا ذلك المجنون المهرج ، أنا شبه الرجل ، أنا ذلك
الحيوان المريب الذى كنت تسميه كلبا (يركل الجثة) رأيت الى
الثأر يتأجج فى النفس فلا تنام عنه أشد القلوب مواتا ؟ يضخم
الهزيل ، ويتبدل الشرير ، ويشهر العبد حقه من غمده . ويفدو
القط نمرا والمهرج جلادا !

(ينهض الى منتصف قامته) ليته يستطيع أن يسمع كلمتى دون
أن يتحرك !

(ينحنى مرة أخرى) أسمعنى ؟ اننى أمقتك ! امض الى مثواك
الأخير فى أعماق النهر ، وانظر ان كان ثمة تيار يحرفك الى
سان دنيس !

(ناهضا) الى اليم يا فرنسوا الاول !

(يمسك الغرارة من طرفها ويجذبها الى الشاطئ ، واذ يضعها على
الجسر ينفرج باب الوكر بحذر وتحرج منه ماجيلون . تنظر من
حولها بقلق تومئى بإشارة من لا يرى شيئا . تعود الى الوكر
ثم تظهر بعد لحظة بصحبة الملك ، تشرح له بالإشارة أن الطريق
خال ومن ثم يستطيع الانصراف ، ثم تعود أدراجها وتوصد الباب .
يسير الملك الى الساحل فى الاتجاه الذى رسمته له ماجيلون فى
اللحظة التى يتأهب فيها تريبوليه لالقاء الغرارة فى نهر السين) .

تريبوليه : (ويده على الغرارة) هيا !

الملك : (يغنى فى المؤخرة) كثيرا ما تكون المرأة قلبا !

ومن يثق بها فهو مجنون !

تريبوليه : (منتفضا) أى صوت اسمع ؟ ماذا ؟ أتلهو بى هواجس
الليل ؟

(يتلفت ويرهف السمع فى دعر . يختفى الملك ولكن يسمع من
بعيد غناؤه)

صوت الملك : كثيرا ما تكون قلبا !

ومن يشق بها فهو مجنون !

تريبوليه : يا للعنة ! ليس هو من فى قبضتى • لقد زينوا له الهرب ، وثمة امرىء حماء • لقد خدعت !

(يهرع الى الوكر فيجده موصدا ما عدا النافذة العليا فهى مفتوحة)
سفاح !

(يقيس بنظره الارتفاع ، كأنما يريد أن يتسلق الى النافذة)
ما أعلى النافذة !

(عائدة الى الفرازة فى سخط) ولكن من هذا الذى وضعه الغادر
بدىلا عنه ؟ ترى أى برىء ؟ اننى أرتعد ••

(يتحسس الفرازة) نعم • هذا جسم انسان •

(يمزق بخنجره الفرازة من أعلاها الى أسفلها ويتطلع بلهفة الى
ما بداخلها) لا أستبين ما بداخلها • يا له من ظلام دامس !

(يتلفت شاردا) ماذا ؟ ما من أحد فى الطريق وما من شىء فى
الدار !

أما من مشعل ينير ؟

(متكئا فى يأس على الجسد) لانتظرن البرق •

(يظل لحظة وعينه مثبتة على القاررة المفتوحة وقد برزت منها—
بلانش الى منتصفها)

المشهد الرابع

تريبوليه - بلاش

تريبوليه : (يومض البرق فينهض ، وسرعان ما يتراجع ويطلق صرخة
مسعورة)

ابنتى ! يا الهى ! ابنتى ! ابنتى ! اشهدى أيتها الأرض وأنت
أيتها السماء ! هذه ابنتى !

تعداها بجسديدها (رباه ان يدها ندية ! ذم من هذا ؟ لفتني لافله ،
لقد طار لبي ! ياله من حادث مروع ! كلا ، انها طليعي لهما ! أمه
كلا ، هذا ضرب من المحال . لقد رجلت وفي طريقهما الآن الى
« افرو » .

(يجثو على ركبتيه قريبا من الجسد ويرفع عينيه الى السماء)
رباه ! او ليست هذه أضغاث أحلام ، وانك حافظم ابنتي تحت
جناحك ، وهي ليست من ارى يا رباه ؟
(يمرق البرق مرة أخرى فيلقى ضوءا قويا على وجه بلانش الشاحب
وعينيها المغمضتين) نعم ، انها هي ! هي بعينها !

(يرتدى على جسدها وينشج بالبكاء) ابنتي ! طفلي ! اجيبي !
خبريني هل قتلت ؟ أواه ! اجيبي ! يا لسفكة الدماء ! هل من
بكره لهنك يا رب الفير (تلك الأسيرة الرابعة) حديثني ! حديثني
يلد ابنتي ! ياها السماء ! ابنتي لمجد .

بلانش : (تفتح مقلتيها بعض الشيء كأنها قد أفاقها صراخها ، وتقول
في صوت واهن) من يناديني ؟
(مذهولا) انها تتكلم ! انها تتحرك بعض الشيء ! ان قلبها
ينضض وعينها تنفتح ! انها لا تزال حية ! رباه !

بلانش : (تلم الى منتصف قامتها ، فتبدو في قميص ملطخ بالدم شعشاء
الشعر ، أما أسفل الجسد فمستور بالملابس .) محتجب داخل
سلفك الغارقة . أين أنا ؟

تريبولييه : (يرفعها بين يديه) أي طفلي وكل متاعني في هذا الكون !
أعرفت صوتي ! أسمعيني ؟ تكلمي !

بلانش : أبتاه !
تريبولييه : بلانش ماذا فعلوا بك وماي سر وهيب هذا ! أخشى ان
تقتلى اذ لمأمسك . اني لا اري ما بك بقا ابنتي . أبك جراح ؟
قبلي يدي !

بلانش : (في صوت متقطع) لقد طعنت . . اني واثقة . في قلبي .
لقد أحسست . .
سلفك خلفك : (هائل) احسست شيئا ؟
تريبولييه : ومن سدد هذه الطعنة ؟

لوكريس ١٧٧٤

بلانش : آه ، أنا المخطئة .. واني خدعتك تولدت في حبه .. واموت .
من أجله .

تريبوليه : ياله من قدر لا ينضب معين حقه ! لقد صرعت في ثأري !
ويلاه ! هذا بلاء من الله ! ابنتي . كيف اصبت ؟ فسرى لي ،
تكلمي !

بلانش : (محتضرة) لا تحثني على الكلام !

تريبوليه : (يغمرها بقبالاته) غفرانك يا ابنتي ! ولكن ، أفقدك دون
أن أعلم كيف فقدتك ؟ أواه ! ان رأسها يميل !

بلانش : (تتحامل على نفسها لتعتدل في رقدها) أواه ! على الجنب
الآخر ! انني أختنق !

تريبوليه : (يرفعها ويهتف في سحر) بلانش ! بلانش ! لا تموتي !
(ملتفتا في يأس) النجدة ! أي انسان ! ما من أحد هنا ؟ أتترك
ابنتي تموت هكذا ؟ آه . ان جرس الغليون هناك في الجدار -
أي طفلي المسكينة ! هل لك في انتظاري قليلا حتى أمضي فأحضر
لك جرعة ماء وأقرع الجرس كلما يخف الينا أحد ؟ لحظة
واحدة ! (توميء اليه بلانش بعث ما يصنع) أترفضين ؟ ولكن
هذا ضروري (مناديا دون ان يتركها) يا قوم . (يخيم على
المكان سكون عميق والدار على حالها واجمة في الظلام) هذه الدار
يارب ليست سوى مقبرة .

(تعالج بلانش سكرات الموت) ويلاه ! لا تموتي ! أي طفلي ،
انت ذخرى انت حمامتي الوديدة لئن مت فلن يبق لي في الوجود
شيء رحماك لا تموتي .

بلانش : أواه ! ..

تريبوليه : ان ساعدى لا يريحك ، اليس كذلك ؟ انك تتمللين منه .
تمهلي حتى أغير من جلستي . أمرتاحة هكذا ؟ حنايك ! حاولي
أن تبقى على أنفاسك حتى يخف لنجدتنا أحد ! ما من نجدة ؟

بلانش : (في جهد جهيد وصوت هامس) اغفر له يا أبتاه .. وداعا
(يهوى رأسها) .

تريبوليه : (يشد شعر رأسه) بلانش ! ويلاه ! إنها تلفظ النفس
الأخير !

(يهرع الى جرس الغليون ويهزه فى سحق) يا للغوث! الجريمة !
 الثأر ! (عائدا الى بلانش) حاولى أن تكلمينى كلمة ! كلمة واحدة!
 حنانيك ! كلمينى ! (يسعى الى انهاضها) لم تريدن أن تظلى
 هكذا منطوية الجسد ؟ ستة عشر ربيعا ! لا ، هذا عمر قصير !
 أواه الا ، انك لم تموتى ! أى بلانش ، أهان عليك أن تفارقى أباك
 على هذا النحو ؟ أقدر لى ألا أسمع الى الابد صوتك ؟ لم يا الهى ؟
 (يهرع لفيف من الناس الى مصدر الصراخ وفى أيديهم المشاعل)
 كانت السماء خالية من الرحمة حين منحتنى اياك ! لم لم تستردك
 ايتها المسكينة قبل ان تشهدنى جمال نفسك ؟ لم تركتنى أعرف
 ذخرى ؟ وا أسفاه ! ليتك مت وأنت طفلة ، يوم أصابك الفتية
 بجراح وأنت تلعبين !

لهفى على ابنتى وفلذة كبدى !

المشهد الخامس

نفس الأشخاص - رجال ونساء من العامة

امراة : ان كلامه يقطع نياط القلب !

تريبوليه : (ملتفتا) آه ، هأنتم أولاء قدمتم الآن ! فى هذه اللحظة
 الحاسمة !

(يمسك بخناق حوذى يحمل سوطا فى يده) أليدك خيل وعربة ؟
 تكلم !

الحوذى : نعم . كم يهزنى بعنف !

تريبوليه : نعم ؟ حسنا ، خذ رأسى وضعه تحت عربتك !

(يعملون على ابعاد تريبوليه فيقاومهم)

واحد من الكهنة : أرى قتيلة وأبا منكودا ! لزام أن نفصل بينهما .

(يعملون على ابعاد تريبوليه فيقاومهم)

تريبوليه : أريد أن أبقى ! أريد أن أراها ! انى لم أكنى ! انى لم أكنى ! حتى
تأخذوها منى ! انى لا أعرفكم من قبل - ألا تسمعوننى ؟

(مخاطبا إحدى النسوة) سيدتى ، أراك تبكين ، يالك من امرأة
طيبة ! قولى لهم ألا يبعدوننى .

(تصفع له المرأة فيدنو من بلانش ويجثو على ركبتيه)

لشرك أيها الشقي . ولتمت بجوارها !

المرأة : هدى من روعك : فلئن أمعنت فى الصراح فسيقودونك .

تريبوليه : (شاردا) لا ، لا ، دعونى !

(يحتضن بلانش بين ذراعيه) أعتقد أنها مازالت تنففس ! انها
بحاجة الى ! أسرعوا الى المدينة وآتونى بنجدة دعوها بين ذراعى
وبهذا يهدأ روعى .

(يحملها على صدره كما تحمل الأم طفلها النائم) كلا . انها لم
تمت ! ان الله لا يريد لها الموت ، فهو عليم بأن ليس لى تحت
عرشه سواها . ان الناس جميعا تمقت الاشوه وتشيع عنه ،
ولا يحس انسان ببلواه اما هى فقد أحبتنى ! انها بهجتى فى
الحياة وسندى . ان سخر منى أحد بكت معى . أيطوى الردى هذا
الحسن الرائع ؟ كلا . أعطونى ما أمسح به جبينها . (يمسح
جبينها) ان شفيتها لا تزال بلون الورد . آه ليتكم رأيتموها !
انى أمثلها الآن فى خاطرى وهى طفلة فى أعماها الثانى بشعرها
الذهبي . نعم ، لقد كانت حينذاك شقراء ! (يضمها الى صدره
فى لهفة وحنان) لهفى عليك أيتها الشهيدة المسكينة ! لهفى على
سعادتى وفتاتى الحبيبة !

(يهدأ قليلا ويتطلع اليها) كنت أحملها هكذا وهى بعد طفلة ،
وكانت تنام على صدرى كما تفعل الآن . انى ! انى ! انى !
آه لو تعلمون أى ملك كانت ! لم أكن أبدا لها شيئا غريبا ، فكانت
تبسم لى بعينها الملائكتين ، أما أنا فكانت أقبل يديها الصغيرتين !
يا للحمل الوديع ! لقد ماتت ! لا بل نامت لتستريح منذ قليل
كانت الحال . يا سادتى غير الحال ! لقد استقيظت الآن .
لننتظر . سترونها تفتح عينيها بعد برهة . أرايتم الآن يا سادتى

اننى انسان ، رزين وديع ، لا أؤذى أحد ؟ ولما كنت لا أفعل
شيئا مما نهيت عنه فلا بأس عليكم أن تدعوني أنظر الى طفلى .
(متطلعا اليها) ليس فى جبينها غصون ، وليس بها من داء قديم !
أرايتم كيف أدفات يديها منذ هنيهة بين يدى ؟ فلتتحسسوها اذن
قليلا !

(يدخل الطبيب)

المارة : (هاتفة تريبوليه) جاء الطبيب !

تريبوليه : (مخاطبا الطبيب وهو يقترب) هيا . تطلع اليها فلست
مانعك . انها فى اغماءة آليس كذلك .

الطبيب : (يفحص بلانش) لقد ماتت .

(يشب تريبوليه على قدميه فى تشنج بينما يواصل الطبيب كلامه
فى جفاء) فى جنبها الايسر جرح بليغ ، ووقف النزيف أنفاسها ،
ومن ثم كانت الوفاة .

تريبوليه : ويلاه ! لقد قتلت ابنتى ! قتلت ابنتى !
(يخر صريعا على الأرض)

ستار الختام

فهرس

٥	• • • • •	تقديم
١٣	• • • • •	لوكرس بورجيا : مسأسة من ثلاثة فصول
١٥	• • • • •	الفصل الأول : مهانة فوق مهانة
٤٣	• • • • •	الفصل الثاني : الزوجان
٧٠	• • • • •	الفصل الثالث : أموات سكارى
٨٩	• • • • •	الملك يلهو : مأساة من خمسة فصول
٩١	• • • • •	الفصل الأول : السيد دى سان فالويه
١١١	• • • • •	الفصل الثاني : سالتا باديل
١٣٣	• • • • •	الفصل الثالث : الملك
١٥١	• • • • •	الفصل الرابع : بلانش
١٧٠	• • • • •	الفصل الخامس : تريبوليه

يرى فيكتور هيجو أن الأعمال الأدبية لابد أن تعالج الموضوعات الاجتماعية ، وكل مسرحية ينبغي أن تشكل خطوة إيجابية في هذا السبيل ، وهو بهذا ينبه الأذهان إلى ما للمسرح من قيمة ضخمة لا تقف عند حد . . وهو لهذا لا يجب أن يقدم إلى المسرح سوى موضوعات زاخرة بالعبرة والموعظة فهو يعتمد في مسرحيته « لوكريس بورجيا » أن يرى الناس تابوت الموت في قاعة الولايم وأن يسمعون صلاة الموتى خلال أناشيد العبث والشراب وأن يقدم لهم بردة الراهب إلى جوار قناع الكرنفال .